بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك
كلية الآداب
قسم اللغة العربية



السّماع اللّغوي المباشر عند النّحاة قبل سيبويه

The Unmediated Narrated Language within Grammarians before Sibawayh

إعداد الطالب:

إبراهيم أحمد محمد شويحط

إشراف الدكتور:

محمود خريسات

حقل التخصص: لغة عربية / لغة ونحو

٢٠١١ / ٢٠١٢

السماع اللغوي المباشر عند النحاة قبل سيبويه

إعداد الطالب

إبراهيم أحمد محمد شويحط

حاصل على درجة البكالوريوس في اللغة العربية جامعة

اليرموك ٢٠٠٤

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على

درجة الماجستير في اللغة العربية

تخصص اللغة والنحو- جامعة اليرموك

إربد – الأردن

وافق عليها

١- د. محمود سالم خريسات ....

٢-أ.د عبدالقادر مرعي الخليل ....

٣- د.أحمد محمد أبو دلو ....

الإهـــداء



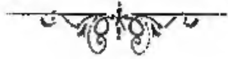
إلى الشمس التي تلقي بدفئها ... ولم تغب عني بنورها ... إلى أعز وأجمل حقيقة ... عرفها التاريخ ... إلى العين التي تحرسني ... واليد التي تباركني

أمي الحبيبة



إلى من ووريَ الثرى ... والذي أسأل الله له الرحمة

روح أبي الغالي



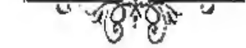
إلى من بعثت في نفسي الأمل ... وأنارت الشموع في طريقي ... إلى من لازمتني أحزاني وأفراحي

زوجتي الغالية أم عمر



إلى قطرات الندى ورحيق الصباح

وَلَدَيَّ عمر والبراء



إلى إخواني وأخواتي جميعًا

إلى شهداء الأمة

شكـر وتقديـر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد

قال الله عز وجل ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (إبراهيم: ٧)

فأتقدم بالحمد لله تعالى والثناء عليه أن أعان ويسّر كتابة هذا البحث وأسـأله سـبحانه أن يتقبله ويجعله خالصا لوجهه الكريم.

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أقدم الشكر الجزيل إلى أستاذي ومشرفي الدكتور محمـود خريسات؛ لما قدمه لي من علم ومعرفة، ونصح وتوجيه، فجزاه الله عني جزاء حسنًا وبـارك فيه، وأشكر كذلك أستاذَيَّ الفاضلَين عُضوَي لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور عبد القادر مرعـي، والدكتور أحمد أبو دلو، على قبولهما مناقشة هذه الرسالة، وتقويم ما فيها، لإخراجها في أصـح صورة وأحسنها.

كما أشكر كل من ساعدني ومد لي يد العون خلال رحلة هذه الدّراسة، وأخـص بالـذكر الدكتور محمد بني يونس، والدكتور يوسف الكوفحي، والسيد فادي النداف، فجزاهم الله عني كل خير.

الباحث

فهرس المحتويات

الملخص

السّماع اللّغوي عند النّحاة العرب قبل سيبويه

هدفت هذه الدّراسة إلى البحث في السّماع اللُّغوي المباشر عند عدد من علمـاء العربيَّـة الذين سبقوا سيبويه، وهم (عيسى بن عمر الثقفي، وأبو عمر بن العلاء، والخليـل بـن أحمـد الفراهيدي). وذلك من خلال الوقوف على سِيَرِهم وأهم إنجازاتهم اللُّغويَّة، وما أُثر عـنهم مـن مسائل سماعية مباشرة عن الأعراب، وتحليلها تحليلاً وصفياً على المستويات اللُّغويَّة (الصَّوتيَّة، الصَّرفيَّة، النَّحويَّة، المُعجمية).

حيث وقفت الدراسة على مرحلة من مراحل تقعيد اللغة المرتكزة على أهم أصـل مـن أصول النحو وهو "السماع"، ويُعدّ السماع عند النحاة في تلك الفترة الزمنية مرحلة غامضة يلفها بعض الضبابية وتُشكل إحدى الحلقات المفقودة في مسيرة النحو العربي.

وقد خَلُصت الدّراسة إلى أنّ السّماع اللُّغوي المباشر كان قليلاً عند ثلاثتهم، مقارنة بعلمهم الغزير، وقد تبين من خلال هذه الدّراسة أنّ من المسائل السّماعيَّة المباشرة المأثورة عن هؤلاء العلماء تجاوزت الحدود الزّمانيَّة والمكانيَّة، وكذلك في سماعهم عن أعـراب الحاضـرة، كمـا ظهرت أيضاً صورة الأعرابي متناقضة في الرواية اللغوية، حيث تقوم على الازدواجيـة بـين النزعة الحضرية والعقلية البدوية.

الكلمات المفتاحية: (السماع اللغوي المباشر، النحاة قبل سيبويه، الأعرابي الراوي، رحلة الأعرابي، رحلة الراوي).

المقدمة

يُعَدُّ السَّماع اللُّغوي أصلاً من أصول النَّحو العربيِّ، فهو محور قضية التقعيد والضبط والإحكام، فالشاهد -غالبًا- على القضايا اللُّغويَّة بشكل عام يكون سماعيًا؛ ولذا فإنَّ موضوع السَّماع يشكل مَفْرَقًا لابُدَّ من الوقوف عليه، ومن الألفاظ الدَّالة على السَّماع المباشر كثيرة، ومنها "قال لي أعرابيٌّ"، "سمعت من أعرابيٍّ"، "سمعت ممن يوثق بعربيَّته"، "وخرج فلان وسمع من العرب الأقحاح" وغير ذلك من الألفاظ.

ومما لا ريب فيه أنَّ كثيرًا من السَّماع يقوم على القصص والحكايات والروايات، ومثال ذلك قول أبي عمر بن العلاء: "أتيت دار قوم باليمن أسأل عن رجل..."[1]، ومنها أيضًا قول الأصمعي: "خرجت حاجا على طريق البصرة..."[2]، ومن هنا لابُدَّ من الوقوف عليه وقفة علمية مُنَقَّحَةً مُحَقَّقَةً لكل ما قيل عن السَّماع. حيث أصبح بمقدور أي شخص أن يضع قاعدة، أو حكما ما، أو يأتي بشاهد شعري، ويقول هذا الدليل سمعته من أعرابي، وقد يكون هذا الدليل بيتًا من الشعر، أو شطرًا من بيت من الشعر، وقد يكون كلمتين كما يقال : "أكلوني البراغيثُ"، أو "هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ".

وعليه فإنَّ هذه الدِّراسة قامت بالبحث عن حقيقة السَّماع اللُّغوي المباشر في ضوء الراوي والعالم نفسه، وحول ما جاء عن السَّماع، وضوابطه، وضوابط الأعرابي، وضوابط الرَّاوي، وذلك من خلال تتبع مناهج ثلاثة من كبار علماء العربية وأصحاب الرِّيادة في التَّقعيد اللُّغوي والمؤسسيين للدَّرس اللُّغوي وذلك في تعاملهم مع السَّماع اللُّغوي المباشر عن الأعراب، وهم (عيسى بن عمر الثقفي، وأبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد الفراهيدي).

---

(1) الأمالي في لغة العرب ١/١٦١.

(2) معجم البلدان ٣/٤٥٧.

وتناولت الدّراسة السّماع عند العرب، ومكانة السّماع بين أصول النّحو العربي، وبواعثه عند العرب بشكل عام، والحدود الزّمانية والمكانية اللّذين قيل فيهما السّماع. وما هي طبيعة الأعرابي والرّاوي؟ كما تناولت متن السّماع ودراسته دراسة علميّة مُحَقّقَةً مُنَقّحَةً من خلال مستويات اللُّغة جميعها (الصّوتيّة، الصّرفيّة، النّحويّة، المُعجميّة). كما تناولت الدّراسة مدى التزام هؤلاء العلماء بالحدود الزّمانية والمكانيّة المُحدّدَة للسّماع عن الأعراب الأقحاح.

ولابُدّ من الإشارة هنا إلى الدراسات السابقة التي تناولت السّماع اللُّغوي بشكل مستقل عند العرب، وهي:

- **السّماع وأهميته في التقعيد اللُّغوي عند سيبويه**، رباح، محمد علي، ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٩٢.

حيث تحدثت هذه الدّراسة عن السّماع بشكل عام وكان التركيز فيها منصبًا على مكانة السّماع اللُّغوي عند سيبويه وتضمنت الشواهد ودرستها دراسة علميّة وتحليليّة، كما تحدثت عن منهج سيبويه في السّماع اللُّغوي عن الأعراب.

- **السّماع اللُّغوي**، الفريح، علي أحمد العبدي، دار الضياء، عمان – الأردن، ٢٠٠٩.

تحدثت الدّراسة عن مفهوم السّماع ونشأته، ودواعيه، وفشو اللّحن في النشأة، وتحدثت عن مصادر السّماع، واعتمدت الدّراسة على وثيقة أبي نصر الفارابي لقياس درجة التزام العلماء بضوابط السّماع، كما ذكرت الدّراسة عددًا من العلماء الرُّواة وهم (الفراء، معمر بن مثنى، سعيد بن أوس الأنصاري، الأصمعي)، وذكرت الدّراسة كذلك موقف العلماء القدماء أمثال أبي عمرو ابن العلاء (١٥٥هـ) والخليل بن أحمد (١٧٥هـ)، والمُحْدَثِينَ أمثال إبراهيم مصطفى (١٩٦٢م) وعبدالله العلايلي (١٩٩٦م) من السّماع وأثره في تقعيد اللُّغة، حيث عرضت الدّراسة

موقف أبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد من السَّماع ببضع صفحات لا تكفي لبيان موقف هذين العالمين من السَّماع، ولم تتحدث عن السَّماع المباشر عندهم.

- **السَّماع اللُّغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة**، صالح، عبد الرحمن، جامعة اليرموك، ١٩٩٧م.

تحدثت هذه الدِّراسة عن مفهوم السَّماع اللُّغوي معاييره وضوابطه، ومعايير وضوابط الراوي، وعن الأشخاص الذين قاموا بالسَّماع عبر الجزيرة العربية وتحدثت عن الخليل وعيسى ابن عمر وأبي عمرو بن العلاء، ولكنَّ الحديث عن هؤلاء العلماء كان مجرد إشارة بصفحات قليلة جدًا، كما تمَّ الحديث عن المناطق التي تم فيها السَّماع.

ومما لا يخفى على الباحث المتتبع قلة الدراسات التي خصصها أربابها بشكل مستقل للحديث عن موضوع السَّماع اللُّغوي عند (عيسى بن عمر، وأبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد) سواء أكانت هذه الدراسات على شكل رسائل علميَّة، أم بحوث منشورة، وتبين للدراسة ذلك من خلال الاطِّلاع على العديد من الرسائل الجامعيَّة، وقواعد البيانات في الجامعات الأردنيَّة والعربيَّة.

وقد اشتملت الدِّراسة على تمهيد ألقت فيه الضوء على ماهيَّة السَّماع اللُّغوي عند النُّحاة بشكل عام ووقفت الدِّراسة فيه عند الحدود الزَّمانيَّة والمكانيَّة التي يجوز فيها السَّماع، والرَّاوي الذي نقل المادة المسموعة، وازدواجيَّة الوظيفة بين الرَّاوي والعالم اللُّغوي. كما تناولت الدِّراسة الأعرابيَّ وصورته التي رسمتها الرِّواية اللُّغويَّة، تلك الصُّورة التي لا تكاد تتماسك ملامحها عند الحديث عنها، حيث جاءت متناقضة تتنازعها البداوة حينًا، والعقليَّة الحضريَّة أحيانًا، حيث يُعتبر الأعرابي أنموذجًا لغويًا يمثل السَّلامة اللُّغويَّة بين البادية مركز الفصاحة، والحاضرة مركز الاختلاط اللُّغوي، الأمر الذي أدى إلى ازدواجيَّة الصُّورة، ومن ثمَّ تتبعت الدِّراسة حركة الأعرابيِّ المكانية بين البادية والحاضرة لمعرفة حقيقة صورة الأعرابي والعلَّة في بروزها.

واشتملت الدِّراسة على ثلاثة فصول:

الفصل الأول:

تضمن هذا الفصل الحديث عن الخليل بن أحمد الفراهيدي، من حيث حياتـــه، وشـــيوخه، وتلامذته، وصفاته، وبيئته، ومنهجه في السَّماع عن الأعراب، والحديث عن الأعرابي الذي سمع عنه الخليل بن أحمد الفراهيدي، هل هو من أعراب الحاضـــرة؟ أم مـــن الأعـــراب الأقحـــاح الموغلين في البداوة. وتناولت الدِّراسة الحدود الزَّمانيَّة والمكانيَّة للتي جرى فيها السَّماع، ورحلة الخليل إلى البادية. كما أنَّ الدراسة بحثت عن المسائل السَّماعيَّة المباشرة التي أُثرت عن الخليل مقتصرة في ذلك على كتابه العين كونه الأثر العلمي الوحيد الذي أُثِرَ عـــن الخليـــل، وقامـــت الدِّراسة بتوزيع هذه المسائل السَّماعيَّة على المستويات اللُّغويَّة (الصَّوتيَّة، الصَّرفيَّة، النَّحويَّـــة، المُعجميَّة)، وذلك بالاحتكام إلى النُّصوص التي سمعها الخليل وتضمنتها هذه الدِّراسة.

الفصل الثَّاني:

تضمن هذا الفصل الحديث عن أبي عمرو بن العلاء، من حيث حياته، وشيوخه، تلامذته، وصفاته، وبيئته، ومنهجه في السَّماع عن الأعراب، والحدود الزَّمانيَّة والمكانيَّة التي جرى فيها السَّماع، ومتن المادة المسموعة المبثوثة في بطون الكتب؛ لأنَّ أبا عمرو لم تصل إلينـــا آثـــاره العلميَّة مُجتمعَة في كتاب واحد؛ لذا عمدت الدِّراسة إلى بطون الكتب؛ للبحـــث عـــن المـــسائل السَّماعيَّة المباشرة، ثمَّ الوقوف على هذه المسائل السَّماعيَّة وتوزيعها على المـــستويات اللُّغويَّـــة (الصَّوتيَّة، الصَّرفيَّة، النَّحويَّة، المُعجميَّة)، وبيان المخالفات التي وقع فيها أبو عمرو من خـــلال الحدود الزَّمانية والمكانيَّة، وسماعه عن أعراب الحاضرة، ومخالفة أبي عمرو لما حـــدَّدَه فـــي السَّماع عن الشُّعراء والرُّجاز من النَّاحية الزَّمنيَّة.

الفصل الثالث:

تضمن هذا الفصل الحديث عن عيسى بن عمر الثقفي، من حيث حياته، وشيوخه، وتلامذته، وبيئته، وأسرته، وصفاته، كما تناولت الأعرابي الذي سمع عنه عيسى بن عمر، والحدود الزّمانيّة والمكانيّة، وبيان كُنْه السَّماع عند عيسى بن عمر، وأنَّ سماعه اقتصر على أعراب الحاضرة (البصرة والكوفة)، حيث لم تعثر الدّراسة فيما رجعت إليه من مظانٍّ على خبر صريح يشير إلى خروج عيسى بن عمر إلى البادية للسَّماع عن الأعراب، ثمَّ الوقوف على المسائل السَّماعيَّة وتوزيعها على مستويات اللُّغة (الصَّوتيَّة، الصَّرفيَّة، النَّحويَّة، المُعجميَّة) وبيان المحظور اللُّغوي الذي وقع فيه عيسى بن عمر.

الخاتمة: وتضمنت الحديث عن جملة من النتائج التي خرجت بها الدّراسة.


التمهيد

تمهيد

يعد السَّماع اللُّغوي واحدًا من أهمّ أُصول النّحو العربيّ، والأساس الذي بُنِيَت عليه أغلب قواعد اللُّغة؛ فهو الطريق الطبيعيُّ لمعرفة كُنْه اللُّغة وبيان ميّزاتها، وهو السبيل لضبط العربية ومعرفة المستعمل منها؛ لذلك يُعدُّ السَّماع المصدر الأول من مصادر اللُّغة، وما عداه متفرّع عنه، وحتّى يُسمَّى السَّماع سماعًا مباشرًا لابُدَّ أن يسمع الرَّاوي بنفسه، وينقل ما سمعه، لا أن ينقل ما سمعه غيره؛ لأنَّ ذلك يعتبر رواية وليس سماعًا.

مَعْنَى السَّماع:

السَّماع لُغَةً: قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ "السَمْعُ: حِسُ الأذن. وَفِي التَنْزِيلِ: (أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَشَهِيدَ)[1]، وقَالَ ثَعْلَبُ: مَعْنَاهُ خَلَا لَهُ فَلَمْ يَشْتَغِلْ بِغَيْرِهِ؛ وَقَدْ سَمِعهُ سَمْعًا وَسِمْعًا وَسَمَاعًا وَسَمَاعَةً وَسَمَاعِيَّةً. قَالَ اللُّحْيَانِيُ: وَقَالَ بَعْضُهُم السَّمْعُ المَصْدَرُ، وَالسِّمْعُ: الاسْمُ والسَّمْعُ أَيضًا الأُذُنُ، وَالجَمْعُ أَسْمَاعٌ. وَابْنُ السُّكَيْتِ: السَّمْعُ سَمْعُ الإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ، يَكُونُ وَاحِدًا وَجَمْعًا"[2].

السَّماع اصطلاحا:

عرف ابن الأنباري السَّماع بقوله:" هو كلام العربي الفصيح، المنقول بالنَّقل الصحيح، الخارج عن حدِّ القلة إلى حدِّ الكثرة، فخرج عنه –إذًا– ما جاء في كلام غير العرب من المُوَلَّدِينَ، وما شذَّ من كلامهم كالجزم بـ(لن) والنصب بـ(لم)..." [3].

---

(1) سورة (ق): آية (٣٧).

(2) **لسان العرب**، ابن منظور، تحقيق: عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتبة العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ٢٠٠٣م، مادة (سمع).

(3) **لمع الأدلة في أصول النَّحو**، ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد، تحقيق: سعيد الأفغاني، د.ط، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ١٩٥٧، ص٨١، وهو منشور مع كتابه **الإغراب في جدل الإعراب**.

يشفُ هذا التَّعريف من خلال قراءة مفهوم السَّماع أنَّه خرج عنه كل كلام ليس عربيًا، وكل عربي ليس فصيحًا، وكل فصيح شذَّ عن الشائع أو طُعِنَ في سنده. وبهذه الصورة يبدو مفهوم السَّماع قائمًا على ثلاثة أركان هي: المادة المسموعة (المتن)، واصطلاح المُتَلَقِّينَ عليها (المحاكمة)، ثمَّ سلامة نقلها إليهم (التلقي والنقل). وهذه الأركان جميعًا ليست من ابتكار علماء اللُّغة، فقد سبق إليها علم رواية الحديث النبوي، ويبدو إنَّها منقولة بالجملة عنه.

وعرف السُّيوطي بعد ذلك السَّماع تعريفًا يعد أكثر شمولًا حدد فيه ينابيع السَّماع ومصادره. فالسَّماع عند السُّيوطي: "ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى، وهو القرآن الكريم، وكلام نبيه محمد ﷺ، وكلام العرب قبل بعثته وفي زمنه وبعده، إلى أنْ فسدت الألسنُ بكثرة المُوَلَّدِينَ نظمًا ونثرًا عن مسلم أو كافر"[١] مع أنَّ هذا التعريف لم يجمع عليه علماء اللغة بسبب رفض عدد[٢] من العلماء الاحتجاج بالحديث النبوي بسبب روايته بالمعنى لا باللفظ[٣].

أهمية السماع:

تنبعث أهمية السماع بداية في تحصيل فطرة اللغة، حيث كان العرب في العصر الجاهلي يتخذون من السماع وسيلة لتربية أبنائهم منذ الصغر على الفصاحة، فكانوا يرسلونهم إلى الباديةِ موطن الفصاحة والفراسة في اعتقادهم الراسخ.

---

(١) الاقتراح في علم أصول النَّحو،السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ)، تقديم وضبط أحمد سليم الحمصي وزميله، ط١، ١٩٨٨م، ص٣٦.

(٢) ابن الضائع وأبو حيان والسيوطي.

(٣) يُنظر: **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، البغدادي، عبد القادر عمر، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٧٩م، ١/٩-١١.

وأكبر مثال يضرب على هذا الاعتقاد الراسخ لدى العرب هو قصة تربية سيدنا محمد ﷺ على يد حليمة السعدية في مضارب بني سعد، فقد أشار ﷺ إلى أثر هذه النشأة في الفصاحة، فقال: "أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش واسترضعت في بني سعد"[1].

واستمرت هذه العادة إلى ما بعد العصر الجاهلي، فكان خلافاء بني أمية يرسلون أبناءهم إلى البادية من أجل التعلم، حيث كانوا يتخذون السماع وسيلة لتعليم أبنائهم الفصاحة في من يرون فيه موهبة معينة كالشعر والخطابة.

ولقد لفت القرآن الكريم إلى أهمية السمع في غير آية، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾[2]، ولنا في رسول الله ﷺ القدوة الحسنة في أهمية السماع إذ حفظ القرآن الكريم سماعاً من جبريل، فأسمعه للناس بلسانه وهو الإنسان الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب.

ويلاحظ المطلع والمتتبع لتراثنا اللغوي اهتمام علمائنا العرب القدماء بالسماع عن الأعراب، فقد نص علماء اللغة على أهمية السماع في تحصيل اللغة وتنميتها، وجاء في المزهر: "تؤخذ اللغة اعتياداً كالصبي العربيّ يسمع أبويه وغيرهما، فهو يأخذ اللغة عنهم على مر الأوقات، وتؤخذ تلقناً من ملقن، وتؤخذ سماعاً من الرواة الثقات ذوي الصدق والأمانة ويتقى المضمون"[3].

ويدل هذا النص على أن اللغة ظاهرة إنسانية مكتسبة ومن مصادرها:

---

(1) **اللُمحة في شرح المُلحة**، الصايغ، محمد بن الحسن، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، نشر عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة – السعودية، ط١، ٢٠٠٤م، ص٤٩٥.

(2) **سورة الأنعام: الآية: (٣٦).**

(3) **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

أ- السماع الفطري وهو ما يكتسبه الفرد طفلاً من أبويه وعائلته، ولفت ابن جني إلى أهمية السماع في تنمية ملكة الفرد اللغوية التي يكتسبها من أبناء جماعته، وذلك عند اتصال العرب ببعضهم البعض، فقال: "إنهم بتحاورهم وتلاقيهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة في دار واحدة، فبعضهم يلاحظ صاحبه ويراعي أمر لغته"[١]. ويؤكد الجاحظ أثر السماع في الفصاحة والتقويم فيقول: "إنه ليس في الأرض كلامٌ هو أمتع ولا آنق ولا ألذ في الأسماع ولا أشد اتصالاً بالعقول السليمة ولا أفتق للسان ولا أجود تقويماً للبيان من طول استماع حديث العرب الفصحاء العقلاء والعلماء البلغاء"[٢].

ب- التلقين: وهو السّماع بغية التعلم وصقل الموهبة، ويكون بالمشافهة، حيث يقصد الناس معلماً يأخذون عنه لغته، ولنا خير مثل في هذا محمد ﷺ، حيث تلقى القرآن سماعاً من جبريل عليه السلام.

ج- الرّواية: وهي أخذ اللغة بوسيط وهذا ما يسمى في عرف العلماء بالرواية أو السّماع غير المباشر، وعليه فقد نصّ العلماء بشأن أخذ اللغة، حيث قال ابن فارس: "فليتحرَّ آخذ اللغة وغيرها من العلوم أهل الأمانة والثقة والصدق والعدالة"[٣]. وقال ابن الأنباري في ناقل اللغة شروطاً منها أن يكون عدلاً فإن كان ناقل اللغة فاسقاً لا يُقبل منه"[٤].

وبناء على ما تقدّم نشط علماء العربيّة في جميع لغتهم من مصادرها (العرب الخُلّص)، فقد أيقنوا وهم يصنعون علومها ضرورة مشافهتهم، فوجدناهم يشافهون الأعراب الذين كانوا

---

(١) الخصائص، ابن جني، أبو الفتح عثمان، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب، القاهرة، ١٩٥٢م، ٢/١٦.

(٢) البيان والتبيين، الجاحظ، عمرو بن بحر، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط١، ١٩٦٨م، ٩١/١.

(٣) المزهر ١٠٧/١.

(٤) السابق ١٠٧/١.

يفدون إلى بلاد الدرس (الكوفة والبصرة)، وكذلك رأيناهم يجوبون البوادي بحثاً عن اللغة، فقد جاء في الكتب أن الكسائي (١٨٩هـ) لما لقي الخليل في البصرة بهرته غزارة علمِه فسأله عن مصدره فقال من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فخرج الكسائي حتى أنفد خمسة عشر قنينة حبراً في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه، وأبا عمر الشيباني ذهب إلى البادية ومعه دستيجان حبراً فما عاد حتى أفناها وهو يكتب ما يسمعه عن الأعراب.

فقد كان معيارهم في اختيار البيئات اللغوية الموثوق في فصاحة لغتها يعتمد على مدى توغل أبنائها في البداوة وانصرافهم عن المداومة والاختلاط بغيرهم من الأمم اختلاطاً يؤثر في لغتهم.

دوافع سماع الرُّواة عن الأعراب:

تكاد الرِّوايات تجمع على أنَّ الاهتمام باللُّغة، وبداية الاشتغال بها، إنَّما تشكل بدافع ديني صِرف، تمثل بالحاجة إلى تفسير آيات القرآن الكريم تفسيرًا لغويًا، ثمَّ الخوفِ على لغة النَّص القرآني من الفساد واللَّحن[١]. وثمة دوافع أخرى تُعدُّ في نظر العلماء من أسباب سماع الرُّواة عن الأعراب، ومنها الدافع اللُّغوي، ويتمثل في تداخل اللُّغة العربيَّة بغيرها من اللُّغات كالفارسيَّة والسريانيَّة[٢].

ويرى بروكلمان أنَّ أهم دوافع التقعيد اللُّغوي هي الخلافات اللُّغويَّة بين لهجات القبائل العربيَّة بعضها ببعض من جانب، وبينها وبين لغة القرآن ولغة الشِّعر من جانب آخر[٣].

---

(١) يُنظر: **مسائل خلافية بين سيبويه والخليل**، قدارة، فخر الدين، دار الأمل للنشر والتوزيع، اربد – الأردن، ط١، ١٩٩٠م، ص٨.

(٢) يُنظر: **المفصَّل في تاريخ النَّحو**، الحلواني، محمد خير، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٧٩م، ص(١٨–٣٠).

(٣) يُنظر: "**تاريخ الأدب العربي**"، بر وكلمان، كارل، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط٥، ١٢٨/٢.

وقد أدرك المشتغلون باللغة، منذ بدأوا، أنَّ تعليم النَّاس اللُّغة هو الوسيلة الوحيدة التي يُدفَعُ بها خطرُ اللَّحنِ، فاتَّجهوا إلى ضبطِها وتقعيدِها في ظلال أنموذج لغويٍّ، ما انفك مقيمًا على الفصاحة سمتًا، بعيدا عن شوائب الاختلاط اللُّغوي. وكان ممَّا توافر عندهم وقتئذ القرآن الكريم، وكلام العرب الفصحاء (شعرًا ونثرًا)، بعدما تستثنى الدراسة الحديث النَّبوي الشريف من مصادر السَّماع؛ لروايته عن النَّبي ﷺ معنى لا لفظًا[(١)]، وقال سفيان الثوريُّ[(٢)] في رواية الحديث النبويِّ بالمعنى "إنْ قلت لكم: إنِّي أحدِّثكم كما سمعت فلا تصدقوني؛ إنَّما هو المعنى"[(٣)].

وعلى الرُّغم من أنَّ لغة القرآن الكريم مثلت الأنموذج الأعلى في الفصاحة والبيان، إلا إنَّها ظلَّت مقترنة بكلام العرب، بعدما أضحت الوسيلة الوحيدة التي يُفسر بها ما أُشكل على العرب فهمُه من معانيه.

روى القرطبيُّ في تفسيره عن عمرَ بن الخطاب ﷺ وقد سُئل عن لفظ القرآن، قال: " أيُّها النَّاس عليكم بديوانِكم لا يضل، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية فإنَّ فيه تفسيرَ كتابكم"[(٤)].

وروى سعيد بن جبير قال:" سمعنا عبد الله بن عباس يسأل عن الشيء من القرآن فيقول فيه كذا وكذا، أما سمعتم الشاعر يقول كذا وكذا"[(٥)].

---

(١) **عقود الزبرجد في إعراب الحديث النبوي**، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: سلمان القضاة دار جيل، بيروت، ط١، ١٩٩٤، ٦٩/١.

(٢) سفيان بن سعيد الثوري من بني ثور بن عبد مناة من مضر، أبو عبد الله أمير المؤمنين في الحديث، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. **الأعلام**، الزركلي، خير الدين، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م، ١٠٤/٣.

(٣) **الاقتراح في أصول النَّحو**، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، علق عليه: د. محمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، كلية الآداب-جامعة طنطا، ٢٠٠٦، ص٩٣.

(٤) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي ، محمد بن أحمد الأنصاري ، دار عالم الكتب ، الرياض-السعودية، د.ط، ٢٠٠٣، ١١٠/١٠-١١١.

(٥) **شرح ديوان الحماسة**، التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي الشهير بالخطيب، د.ط، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦، ٣/١.

وعن عكرمة قال: "ما سمعت ابن عباس فسَّر آية من كتاب الله إلاّ نزع فيها بيتًا من الشعر"[1].

وعلى هذا النَّحو احتاج العلماء إلى لغة القرآن، وكلام العرب؛ لتقعيد اللغة، ثمَّ احتاجوا إلى كلام العرب؛ لفهم لغة القرآن.

ولذلك ازداد الإلحاح بضرورة الاحتجاج بكلام العرب، والسَّماع عن فصحائهم، وصولًا إلى عصر التدوين والتأليف، فقد ظهر الاحتجاج بكلام العرب ولغة القرآن في التقعيد اللغوي، ولكن كان الاحتجاج بلغة القرآن أكثر من الاحتجاج بالشعر العربي، وذلك من خلال النسبة والتناسب.

حدود السَّماع اللُّغوي عن الأعراب:

تطالعنا الأخبار المتعلقة بالأعراب على نحو شائك في مجمل ما رجعت إليه الدِّراسة من مظانٍّ؛ إذ تتنازعها علوم اللغة، والتاريخ، والأدب، والسير، وعلم تفسير القرآن وقراءاته. ويبدو أنَّ ثَمَّة إمكانيَّة لفصل ما يتعلق باللُّغة، ثمَّ إعادة ترتيبه وفق حدود تَضبِطُ الدرس من الانزياح عن قصده، لذا قسمت الدِّراسة السَّماع اللُّغوي إلى حدين:

١- خارجي متعلق بما يجب أن يتوفر في السَّماع.

٢- داخلي متعلق بالمتن المسموع.

أولا: الحدُّ الخارجي:

يتشكل الحدُّ الخارجي للسَّماع اللُّغوي من التئام أربعة أركان رئيسة، تتضام جميعًا مُشَكِّلَةً عَضُدَ الحدِّ ولُحْمَتَهُ وهي: الحيِّز الزَّماني والحيِّز المكانيُّ والراوي والأعرابيُّ.

---

[1] شرح ديوان الحماسة، ص٣.

الحيِّز الزَّمانيُّ:

يمثل الفترة التي ظلت فيها اللغة سليمة خالية من العيوب واللَّحن على ألسنة العرب، فيمن سمعت عنهم اللغة، وقد اعتنى العلماء بتحديدها، منذ نهايات القرن الرابع، وأجْمَلَهـا السيوطي بقوله: "... وكلام العرب قبل بعثته، وفي زمنه، وبعده، إلى أنْ فَسَدَت الألسنةُ بكثرة المُوَلَّـدِينَ نظمًا أو نثرًا..." (١).

ويتضح من خلال قول السيوطي أنَّ الحيِّز الزَّماني للسَّماع اللُّغوي يشتمل على العصر الجاهلي المحدد تقديرًا بمئتي سنة قبل الإسلام، ثمَّ عصر صدر الإسلام كاملا، وصولا إلى الزمن الذي شاع فيه اللحن، وبدأ فيه الخَطَلُ يدب على ألسنة الأعراب، وكان ذلك في نهايات القرن الرابع الهجري، حيث تُرِكَ السَّماع عنهم، ولم يأخذ أكثر العلماء بلغتهم، وفي هذا يقول ابن جِنِّي: "... وكذلك لو فشا في أهل الوَبَرِ ما شاع في لغة أهل المَدَرِ من اضطراب الألسنة وخَبَالِها، وانتقاص مادة الفصاحة وانتشارها، لوجب رفض لغتها، وترك تلقي ما يرد عنها، وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا..." (٢).

وعلى ذلك فالحيِّزُ الزَّماني لجواز السَّماع عن الأعراب، والاستشهاد بلغتهم، يتحدد بستمئة سنة، كحدٍّ أقصى، وهي الفترة الممتدة من مئتي سنة قبل الإسلام، حتى سنة (٤٠٠هـ)، وليست كلها سماعًا مباشرًا، فالحيِّزُ الزَّماني للسَّماع المباشر، إنَّما يبدأ بأول الرُّواة(٣) "أبي عمرو بن العلاء" (٧٠هـ) ويمتدُّ حتى (٤٠٠هـ) فيبلغ بذلك ثلاثمئة سنةٍ، على وجه التقريب.

---

(١) الاقتراح في أصول النَّحو، ص٧٤.

(٢) الخصائص ٢/٥.

(٣) يذهب الباحثون إلى أن تحديد أول المشتغلين بالمسألة، والسَّماع عن العرب أمر متعذر البتة، ويعتبر أكثرهم أن أبا عمرو بن العلاء أول الرُّواة المختصين بهذا الأمر. يُنظر: الرواية والاستشهاد باللغة، عيد، محمد: عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨، ص٧-١٥.

الحيِّز المكانيّ:

ويقصد به المكان الذي تمت فيه عملية السَّماع اللُّغوي، وهو محدد، كما يبدو، بفعل حركة الأعراب من بواديهم إلى حاضرتَي السَّماع "البَصرة" و"الكوفة"، أو بفعل حركة رواة اللُّغة منهما(البَصرة والكوفة) إلى بوادي العرب للسَّماع عنهم.

أولا: قدوم الأعراب إلى الحاضرة وسماع العلماء عنهم:

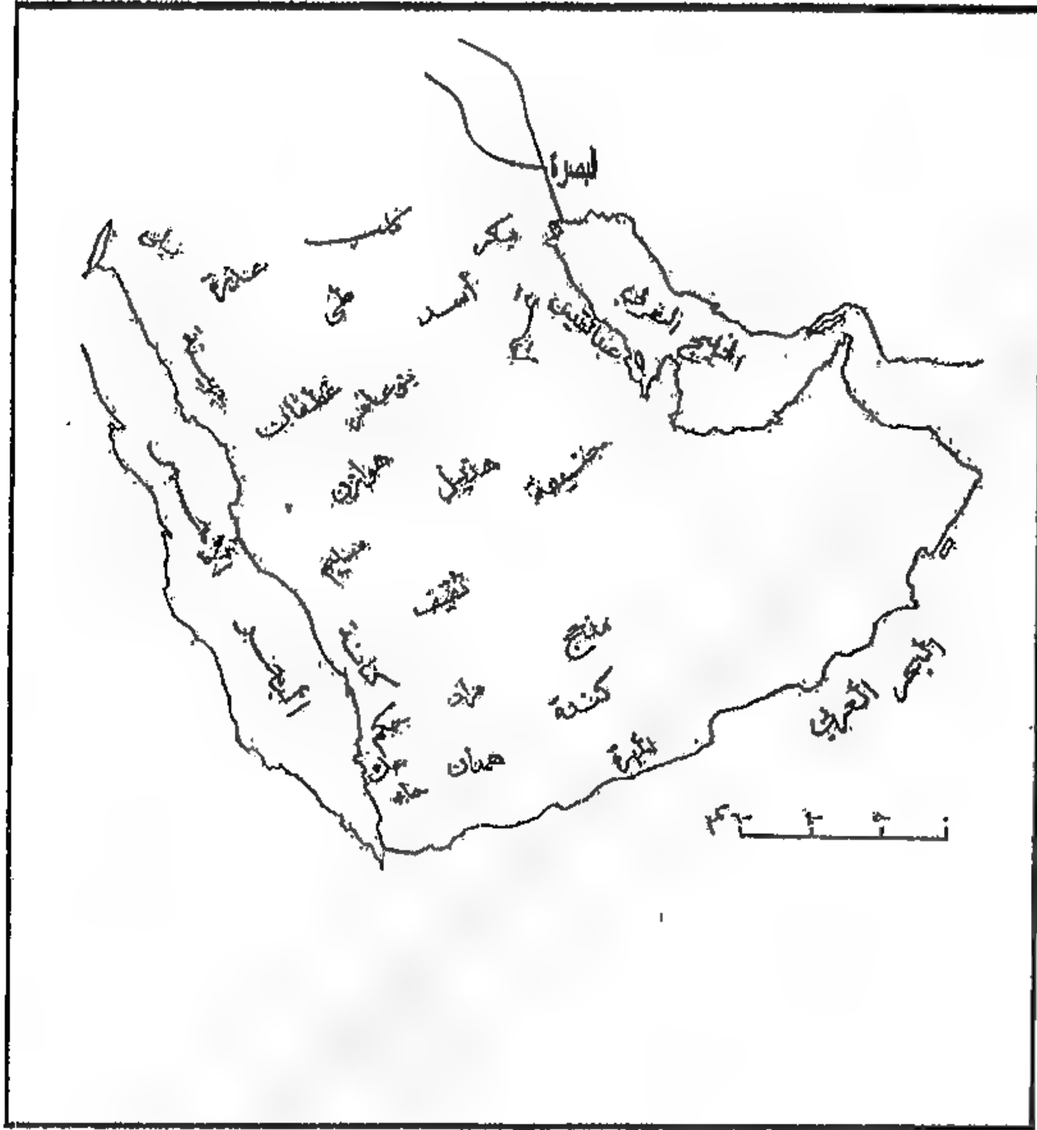
امتلأت الكتب بالأخبار التي تروي قدوم الأعراب إلى الكُناسة (سوق الكوفة) والمِرْبَد (سوق البصرة) الشهيرين، لجلب المِيرة والتزوُّد بما عدموه في بواديهم. وهناك خرج الرُّواة يتصيدون الأعراب حيثما وُجِدوا، فيحادثونهم، ويسمعون اللُّغة من أفواههم وهكذا كأنَّ كل أعرابي معجمٌ ثَرٌّ يدرج في مجامع الأسواق في حالة مكانيَّة كهذه لابُدَّ من التَّنَبُّهِ إلى أمرين لافتين: الأول متعلق بكيفيَّة وصول الأعرابي إلى السُّوق، والثاني بمكان انطلاقه من البادية. أمّا وصول الأعرابي إلى السوق، فالمتوقع أنْ يكون في قافلة، ولو صغيرة، أو في رفقة، ولو رجلين، وفقًا لما يمكن أنْ يُسَمَّى "عرف الارتحال" عند العرب، دفعا لخطر لصوص الصحراء وفُتَّاكها؛ فالأعرابيُّ قاصدٌ المِرْبَد ليبيع ويشتري، مُحَمَّلةً رِحالُهُ ذاهبًا آيبًا، ممَّا يجعله مَطْمَعًا، هذا فضلًا عن حاجته للمَعُونةِ في الطَّريق.

بهذه الصُّورة، يَتَصَعَّدُ إلحاح المنطق بضرورة وجود الرفقة للأعرابي، ومع ذلك، قلما تجد الرُّواة تطرقوا إلى رفقة الأعرابي عندما رأوه في السوق وسمعوا عنه، مع أنَّ السَّماع عن جَمْعٍ من الأعراب أظهرُ للحجة وأقومُ للدليل. والظاهر أنَّ الرُّواة لم يجدوا مع الأعرابي في السُّوق صحبًا ولا رِفقة، ولو وجدوهم، لما توانوا عن ذكرهم. فلمَّا كانت الرفقة مُكَوِّنًا رئيسًا في الرِّحلة حتَّى تتمَّ، بدا إخراج الرِّفقةِ من الرِّواية، إخراجًا للأعرابيِّ نفسه من حيِّز الوجود الحقيقيِّ، وإنْ وُجِدَ بتلك الصُّورة التي رسمها الرُّواة، فرحلته لم تجاوز مسيرة اليوم الواحد على الأكثر، أيْ

أنّك تتحدث عن بوادي البَصرة، وما جاورها، وهذه منطقة لا تصلح للسَّماع، فلا يؤخذ عن أهلها باعتبار ديمومة اختلاطهم بأهل الحاضرة.

إنّ صورة الأعرابي التي رسمتها الرِّواية اللُّغويَّة، لم تُجَاوز ذلك الرجلَ الفقيرَ، الذي لـم تطلْه بعد مجتلبات التَّحضُر وموادُه. ولذلك يتوقع أنْ يكـون قدومـه إلـى الحاضـرة لـشراء الضروري فقط، مما افتقر إليه في مَسكنه هناك من مواد وأغذية، وهي مواد توفرت فـي كـل حاضرة وقتئذ، فلم تكن حكرًا على البَصرة أو الكوفة، كي يرحل الأعراب من أصقاع الجزيـرة إليهما، بل إنّ ما يحتاج الأعرابي شراءه من البصرة موجود في صنعاء ، أو مكّة، أو البحرين، أو غيرها.

بناءً على ما تقدم، وإذا ما أخذت قسوة البيئة، وخطورة الارتحال بعـين الاعتبـار، بـدا منطقيًا أنْ يقصد الأعرابُ أقرب الحواضر إليهم، كلٌ حَسْبَ مَسكنه، فلا يعقل أنْ يترك أعـراب "مَذحج" –على سبيل المثال– حواضر اليمن، ثمَّ يرتحلوا قاصدين البَصرة لجلب المؤونـة، فمـا يُقرُه المنطق، هو أنّ الأعراب الذين قصدوا البَصرة وتواجدوا في مِربَدِها، مَثّلت لهم البَـصرة أقرب سوق يمكن الارتحال إليه.



بالنظر إلى الخريطة[1] رقم (١) الممثلة لتوزيع مساكن القبائل في جزيرة العرب، تبـــدو أكثر القبائل قربًا من البصرة هي: (بكر، أسد، كلب، تميم، طيئ)، وهذا يُفضي إلى أنَّ الأعراب من أبناء هذه القبائل، هم أقوى المرشحين للارتحال إلى أسواق البصرة، لقربهم النسبي منهـــا، وتترتّب على هذا نتيجة مهمة تقضي بأنْ يكون سماع الرُّواة، في الأسواق، مقتصرًا في الأغلب على أعراب هذه القبائل حسب، إذ يصعب التّصديق أنَّ أعرابيًا ثقفيًا، أو كنانيًا، أو عامريّـــا، أو حتّى غطفانيًا، ترك الطائف ومكة والمدينة وجدة، ثمَّ ارتحل إلى أسواق البَصرة ليبيع ويشتري.

(١) جزيرة العرب، البكري، أبو عبيد، تحقيق ودراسة: عبد الله يوسف غنيم، ذات السلاسل للنشر، ط١، ١٩٧٧، ص١٢٩.

وإنْ صح هذا القول، بدا السَّماع اللُّغوي، في سوق البصرة، مقتصرًا في الأغلب على أعراب ثلاث أو قبائل أربع ، لذا إنَّه من الصَّعب التَّصديق أنَّ ما سمعه الرُّواة عن الأعراب، في الأسواق مُمَثِّلٌ لواقع العربيَّة الفُصحى؛ باعتبارها انتشارًا مكانيًا واسعًا، يغطي جزيرة العرب كاملة؛ فهو أقرب ما يكون سماعًا للُغة تميم أو كلب أو أسد، على الأكثر، وهذه النتيجة لا تسعى الدِّراسة إلى إثباتها إن قوبلت بقول الفارابي:" والذين عنهم نقلت اللغة العربية، وبهم اقتُديَ، وعنهم أُخِذَ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس، وتميم، وأسد فإنَّ هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتُّكلَ في الغريب، وفي الإعراب والتَّصريف، ثمَّ هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجملة، فإنَّه لم يؤخذ عن حضريٍ قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم"[1].

وحتَّى إنْ كان ذلك أو تقرر، فالسَّماع لم يشمل أعراب هذه القَبَائِلِ جَمِيعًا، بَلْ اقْتَصَرَ عَلَى فئة محدودة من أبنائها، وهم أصحاب الحاجة الذين جاؤوا لجلب الميرة والتَّزوُد بما عدموه في بواديهم على الأغلب، والتُّجار وأصحاب المال،من يملكون القدرة على تجهيز القوافل وتسييرها، وهؤلاء دائمو التَّرَدُّد على الحاضرة بحكم عملهم، ممَّا يجعل لغتهم عُرْضة للحن، ويبدو أنَّ هذا ما أصاب بعضهم، وفي ذلك يقول الجَّاحظ: "اعلم أنَّ أقبح اللَّحن لحن أصحاب التَّقعير والتَّعقيب والتَّشديق والتَّمطيط ... وأقبح من ذلك لحن الأعاريب النَّازلين على طرق السَّابلة، وبقرب مجامع الأسواق"[2].

---

(1) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١٦٧/١.

(2) البيان والتبيين ٩١/١.

ثانيا: رحلة الرُّواة إلى البادية للسَّماع عن الأعراب:

أخلص الرُّواة في سعيهم دأبا قصد الوصول إلى الحقيقة، فلمّا لم تقدّم لهم الأسواق ما يكفي عن واقع اللغة، شدُّوا رحالهم إلى حيث اللغةُ وأهلُها هناك، في ذلك الحيِّز الذي حُلَّت عراه بعيدًا في صحارى الجَّزيرة العربيَّة، اكتمل الوجه الآخر للسَّماع اللُّغوي.

نقف بداءة على الطَّبيعة الجغرافيَّة لجزيرة العرب، إذ تُغطِّي الصَّحراء السَّواد الأعظم من مساحتها المترامية، لذا يبدو الوصولُ إلى مضارب العرب الخُلَّص، فيه من المشقَّة قدرٌ عظيمٌ. وكان لزامًا على الرَّاوي أن يقطع تلك الفيافي، والقفار الجرداء، وصولًا حيث يوجد الأعراب الأقحاح، وهنا لابُدَّ من التَّنبُه إلى أمرين: الأوَّلِ متعلِّق بكيفيَّة وصول الرَّاوي إلى حيث الأعرابيُّ والثَّاني بمكان إقامة الأعرابي نفسه.

أمّا وصول الرُّواة حيث يقيم الأعراب، فهذا يستدعي، قبل كلِّ شيء دُرْبةً وعلمًا خاصًّا بطرق الصَّحراء، ومواطن الأمواه فيها، أمر كهذا قطع فيه؛ إذ لا يتقنه سوى أصحاب الاختصاص، فمهنة (الدَّليل) سائدة بين عرب الجَّزيرة منذ العصر الجَّاهلي، وهذا الدَّليل ما كان لتَتَهَيَّأَ لهُ هذهِ المعرفةُ وتلكَ الدُّربَةُ إلا لنشوئِهِ في الصحراءِ أصلاً، وإنَّه لَمِنَ العجبِ أنْ تستعينَ قريشُ بدليلٍ، لاقتفاءِ أثرِ النبيِّ ﷺ في الصحراءِ الفاصلةِ بينَ مكةَ والمدينةِ، وهي مأهولةٌ، وقريبةٌ نسبيًا من مكةَ، في حين يقطعُ فيه أبناءُ البَصرةِ والكوفةِ، من شَبُّوا واستقامَ عودُهم في الحاضرةِ، جُلَّ صحاري جزيرةِ العربِ وحدَهم، دونَ دليلٍ أو مرشدٍ في الطريقِ.

وكي يتحققَ أمرٌ كهذا، لابُدَّ أنْ يكونَ الراويُّ عالمًا بجَغرافيَّةِ الجزيرةِ العربيَّةِ عارفًا بأحوالِ البلادِ، وجميعِ الطرقِ الواصلةِ بينَ أهلِها. قضيةٌ كهذِهِ لمْ تَغِبْ عن الأذهانِ، فَقَد ذهب المترجمونَ إلى علمِ الأصمعيِّ بالصحراءِ، وعن تأليفِهِ كتابًا في جغرافيا الجزيرةِ العربيَّةِ، وهو كتابُ "جزيرةُ العربِ"، بَيْدَ أنَّ هذا الزعم سَرعان ما يتكسَّرُ على عتباتِ البحثِ التاريخيِّ الجادِّ؛

فقد أُثبِتَ علميًا أنَّ هذا الكتابَ ليسَ للأصمعيِّ ولمْ يكنْ للأصمعيِّ فيهِ شيءٌ؛ فاسمُ الكتابِ الحقيقيِّ "بلادُ العربِ" ومؤلِفُهُ الحسنُ بنُ عبدِ الله، المعروفِ بلغدةَ الأصفهانيِّ (٣١٠هـ)[١].

إنَّ حقيقةً كهذهِ تعمِّقُ الإحساسَ بالريبةِ، وتُؤكِدُ حِرْصَ الكثيرينَ على نَحلِ هذا الكتابِ، ونسبتِهِ للأصمعيِّ، تأكيدًا منهم على صدقِ ارتحالِهِ، وما فعلوا ذلك إلا ليوفروا دعائمَ خارجيةً لمروياتِ صانعي السَّماعِ فيها. واللافتُ في الأمرِ تماهي البقاعِ التي ارتحلَ إليها الرُّواةُ وذوبان أكثرِها، فإذا كانت درايةُ الأصمعيِّ بمنازلِ العربِ قد هيَّأتْ لهُ تأليفَ كتابِهِ المزعومِ؛ فَلِمَ لَمْ تأتِ أغلبُ رواياتِ الاصمعيِّ بذكرٍ لمساكنِهِم، أو بوصفٍ لكيفيَّةِ وصولِ الأصمعيِّ إليها؟ وقُلْ في مثلِ ذلكَ في رحلةِ الخليلِ والكسائيِّ إلى "بوادي الحجازِ ونجدَ وتِهامةَ"[٢].

فإلى أيِّتها ارتحلا يا تُرى؟ وإقليمُ الحجازِ وحدَهُ مَثَّل وقتئذٍ ربعَ مساحةِ الجزيرةِ العربيةِ تقريبًا.

إنَّ التحديدَ الجغرافيَّ لمنطقةِ السَّماعِ، كما جاء في المُزهرِ، يستثني شمالَ الحجازِ وجنوبَه وغربَه من السَّماعِ اللُّغوي استثناءً قاطعًا، لذا تبدو رحلةُ الخليلِ والكسائيِّ غيرِ مجاوزةٍ لأقصى شرقِ الحجازِ ممّا جاورَ نجد، وهذه المنطقةُ إذا تأملتَها وجدتَها مشتملةً على مساكنِ أغلبِ القبائلِ التي تقررَ سابقًا أنَّ السَّماعَ اللُّغوي كانَ عنها؛ إذ تشتملُ على مساكنِ كَلْب، وأَسَد وبني عامرٍ، وغَطَفَانَ، وبعضُ طيئٍ. ويبدو أنَّ مَنْ نسبَ الرحلةَ للخليلِ والكسائيِّ كانَ عارفًا بما يصنعُ، ماهرًا في تحديدِ المكانِ المفترضِ للسَّماعِ اللُّغوي بدقةٍ متناهيةٍ.

---

(١) يُنظر: تفصيل المسألة في مقدمة كتاب بلاد العرب، الأصفهاني، الحسن بن عبد الله، تحقيق: حمد الجاسر وياسر العلي، منشورات دار اليمامة، الرياض–السعودية، د.ط ، ١٩٦٧م، ص٣٢-٤٢.

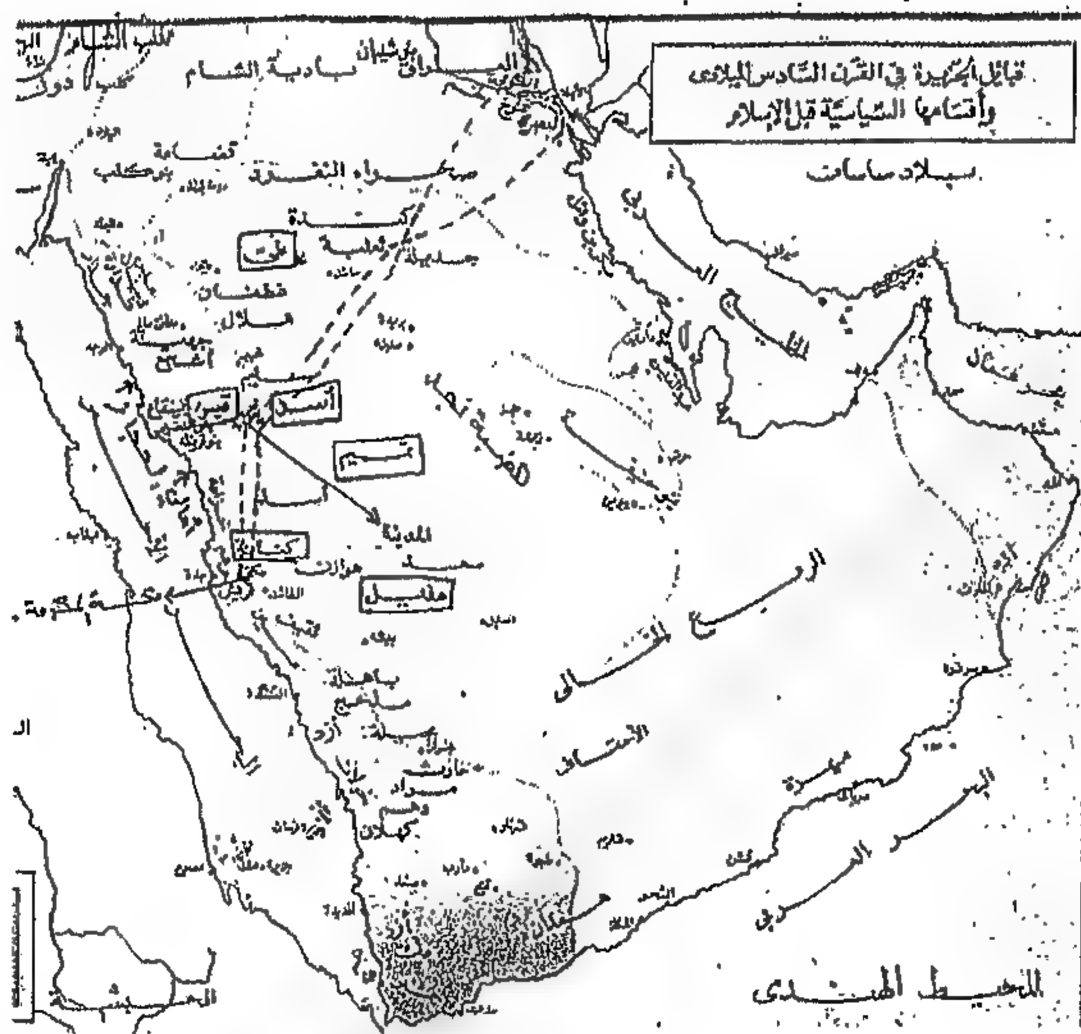
(٢) **إنباه الرُّواة على أنباه النحاة**، القفطي، علي بن يوسف، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٥م، ٢/٢٥٨.

ومَنْ يُمْعِنُ النَظَرَ في مساكنِ القبائلِ التي يُفترضُ أنَّ العلماء رحلوا إليها، ثمَّ تلكَ التي ذكرَها الفارابيُّ في تحديدِهِ، سيجدُها متطابقةً إلى حدٍّ بعيدٍ، ممّا يجعلُ النظرَ إليها، ككُلٍّ واحدٍ، أمرًا مبررًا جدًّا، تسندُهُ إمكانيَّةٌ كبيرةٌ لتحديدِ الحيِّز المكانيِّ للسَّماع اللُّغوي، بمساكنِ هذهِ القبائلِ مجتمعةً، وهي: تَميمُ، وأسَدُ، وكَلْبُ، وغَطَفَانُ، وبنُو عامرٍ، وبعضٌ مِنْ طيئ.

فالملاحظةُ الأبرزُ في مساكنِ هذهِ القبائلِ، أنَّها تترتبُ في حيِّزٍ قُطريٍّ يبتدئُ من مشارفِ البصرةِ جنوبًا، وينتهي قريبًا من الشمالِ الشرقيِّ للمدينةِ المنورةِ، وهذه المنطقةُ إذا تأملتَها، وجدتَّها طريقَ الحجِّ التي سلكَها الحجيجُ وقتئذٍ من البصرةِ إلى مكةَ، لا زيادةَ فيها ولا نقصانَ، فقد توزَّعتْ مساكنُ القبائلِ على هذا الطريقِ منذُ بدايتِهِ إلى نهايتِه[١].

---

[١] يُنظر: الخريطة رقم (٢) جزيرة العرب، ص١٥١.



هكذا يبدو احتكاكُ الرُّواة بالأعرابِ مقتصرًا على طريقِ الحج على الأغلبِ، وتبدو رحلتُهم اللُّغويَّة، للسَّماع عن الأعرابِ، غيرَ مكتملَةٍ لأدنى مقوماتِ الصُّمودِ، فهي في الواقعِ رحلةٌ دينيَّةٌ قَصَدُوا بها زيارةَ بيتِ اللهِ في مكَّةَ، وقد تَصْدُقُ مصادَفَتُهُم الأعرابَ في طريقِهم، أو احتكوا بسكانِ تلك القرى الواقعةِ على الطريقِ فسمعوا عنهم، ولعلَّ هذا ما يفسرُهُ كثرةُ الرِّوايات التي تكثرُ فيها الإشارةُ إلى الحجِ، نذكرُ منها– على سبيلِ المثالِ–:

(أ- ١): " سُئِلَ أبو عمرو بنُ العلاءِ عن اشتقاقِ الخيلِ فلمْ يعرفْ، فَمَرَّ أعرابيٌّ مُحْـرِمٌ فـأرادَ السائلُ سؤالَ الأعرابيِّ، فقالَ لهُ أبو عمرو: دعني، فإنِّي ألطفُ بسؤالِهِ وأعرفُ، فسألَهُ فقالَ الأعرابيُّ: استفادَ الاسمُ مِنْ فِعلِ السيرِ ..."(١).

(أ- ٢): قالَ أبو حاتمٍ: " قلتُ للأصمعيِّ: أتجيزُ أنَّك لتَبرِقُ لي وتَرعِدِ، فقـالَ: لا إنَّمـا تَبْـرقُ وتَرعدُ، فسألتُ عنها أبا زيدٍ الأنصاريِّ، فأجازَها. فنحنُ كذلكَ إذْ وقفَ علينا أعرابـيٌّ محرمٌ، فأخذْنا نسألُهُ، فقالَ أبو زيدٍ: لستُم تُحْسِنونَ أنْ تَسألوهُ، ثمَّ قالَ لهُ: كيفَ تقولونَ أنَّك لتبرقُ وترعدُ فعدتُ إلى الأصمعيِّ فأخبرتُهُ فأنشدَني:

إذا جَاوَزَتَ مِـنْ ذَاتِ عِـرْقٍ ثَنِيَّـةً فقلْ لأبي قابوسَ ما شئتَ فارْعُـدِ ...(٢)

(أ- ٣): قالَ الأصمعيُّ: "خرجْتُ حاجًا على طريقِ البصرةِ، فنزلتُ ضَرِيَّةَ، ووافقَ يومَ الجمعةِ، فإذا أعرابيٌّ قد كوّرَ عمامَتَهُ، وتنكبَ قوسَهُ، ورقى المِنْبَرَ، وحَمِـدَ اللهَ، وأثنـى عليـه وصلى على نبيِّهِ، ثمَّ قالَ: أيُّها الناسُ، اعلمُوا أنَّ الدنيا دارُ ممرٍّ والآخـرةُ دارُ مقـرٍّ، فخذُوا مِنْ مَمَرِكُم لِمقَرِكُم، ولا تَهتِكُوا أستارَكُم ..."(٣).

يتبينُ للقارئ من خلالِ سردِ القصةِ إنَّها حدثَتْ على طريقِ الحَجِّ، فأبو عمرو هنا في مكة موطن قريش(٤)، بدليلِ قولِهِ أعرابيٌّ محرمٌ.

المسألة (أ – ٢) (أ – ٣) تبين من خلال هاتين المسألتين وقوع الروايـة اللغويـة علـى طريق الحج، وذلك بوجود قرائن تدل على ذلك.

---

(١) المزهر ٢٨٠/١.

(٢) الخصائص ٢٩٤/٣.

(٣) معجم البلدان، الحموي، ياقوت، دار الفكر للطباعة، ط٣، ١٩٨٠م، ٤٥٧/٣.

(٤) أصول النحو العربي، الحلواني، محمد خير، جامعة تشرين – اللاذقية، ١٩٩٧م.

قالَ أبو حاتمٍ: "أخبرني الأصمعيُ أنّ معتوهًا جاءَ إلى أبي عمرو بنِ العلاءِ فقالَ: يا أبـا عمرو، لِمَ سُميت الخيلُ خيلاً، فبقي أبو عمرو ليس عنده فيه جوابٌ، فقـال: لا أدري. فقـال: لكنّني أدري، فقالَ: علّمنا نعلم. قالَ: لاختيالِها في المشي، فقالَ أبو عمرو لأصحابِه، بعد ما ولّى المَجنونُ: اكتبُوا الحكمةَ وارووها، ولو عن معتوهٍ"[1].

رويت هذه القصة لتبين أنّ سبب تسمية الخيل بهذا الاسم لاختيالها فـي المـشي، وهـذه القصة حصلت على طريق الحج بدليل قوله أعرابي محرم، والناظر في هذه القصة يتبـين أنّ العرب تأخذ عن المجانين في التقعيد اللُغوي.

وجماعُ القولِ في الحيِّز المكانيِّ، للسَّماع اللُغوي، أنَّ الأعرابَ الذينَ تواجدوا في البصرةِ، إنَّمَا جَاؤُوا على الأغْلَبِ مِنْ مناطقَ محيطةٍ ومجاورةٍ لها، أمَّا رحلةُ العلماءِ إلى الباديةِ، فهي لَمْ تَعْدُ كونَها رحلةً دينيةً، قُصِد بها الحجُ، ونتجَ السَّماع فيها لاحتكاكِ الرُّواة بالأعرابِ ممَّن سكنُوا على طريقِ الحجِّ، أو قريبًا منه. وهنا يثور تساؤلٌ مهمٌ: هل يَصْدُقُ على سكانِ تلك المناطقِ أنْ يوصفُوا بأنَّهم أعرابٌ، يضعون "بيوتَهم، وأبنيتَهم، وسطَ السِّباعِ، والأحناشِ، والهمجِ"؟[2].

أمَّا المناطقُ القريبةُ من طريقِ الحجِّ، فلم تكنْ بلادًا يَظْعَنُ عنها ساكنوها إنْ أجـدَبَتْ، إذ تشيرُ المصادرَ إلى أنَّ أكثرَها بلادُ خضرةٍ وماءٍ، وهذا ما يدفعُ إلى الاعتقادِ بأنَّ سكَّانها كـانُوا دائمي الإقامةِ فيها، على الأغلبِ، فلا يرحلون عنها. سُئلَ أعرابيٌّ عن قريـةِ ضَــرِيَّةَ، فقـالَ: "مساقطُ الحمى حمى ضَرِيَّةَ، بأرضٍ لعمرِ اللهِ ما نريدُ بها بدلاً عنها، ولا حـولاً، قـد نفحتهـا

---

[1] **مجالس العلماء**، الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤م، ص٢٤٦.

[2] **كتاب الحيوان**، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق: عبد السلام هارون، دار جيل، بيروت، ١٩٩٦، ١٣٧/٢.

العذواتُ، وحفتتها الغلواتُ، فلا يملولحُ ترابُها، ولا يمعرُ جنابُها، ليس فيها أذىً، ولا قــذىً ... ونحن فيها بأرفهِ عيشٍ، وأرغدِ معيشةٍ"[1].

إنَّ الاستقرارَ المكانيَّ لسكانِ تلكَ المناطقِ يفرضُ على سكَّانها ديمومةَ الاحتكاكِ بغيرِهم، مما يُعَرِضُ لغتَهم للاختلاطِ بغيرِها، فلا تبقى صافيةً محتفظةً بفصاحتِها، لذا فإنَّ سماعَ الــرُّواة عن أهلِها مفتقرٌ إلى حدودِ السلامةِ اللُّغويَّة التي اشترطُوها.

ثالثاً: الراوي:

ظَهرَ هذا المصطلحُ مُتزامنًا مع ظُهورِ الرِّواية، وقد أُطلِقَ على نَقَلَةِ المــادةِ المــسموعةِ، سواء في ذلك: الشعرُ، أو التاريخُ أو، الحديثُ، وفورَ سحبه على نقلةِ اللغةِ خاصةً، ثمَّ نقلِهِ مــن حيِّزِ التنظيرِ إلى حيِّزِ الواقعِ المباشرِ، وبحالةٍ من التأرجحِ المطلقِ، إذ يَصْعُبُ علميًا الفصلُ بينَ مصطلحاتٍ ثلاثةٍ وهي (الرَّاوي، النَّحوي، الأعرابي).

ويبدو أنَّ تمييزَ القدماءِ بينَ هذهِ المصطلحاتِ خاضعٌ -في الأغلبِ الأعــمِّ- إلــى واقــعٍ نظريٍّ، فالراوي أو اللُّغوي ناقلُ المادةِ اللُّغويَّة، والأعرابيُّ مصدرُها، بينما النَّحويُّ مَــنْ يقــومُ بجمعِها ودراستِها، وفي هذا الفصلِ يقولُ السيوطيُّ: "قالَ عبدُ اللطيفِ البغداديّ: اعلمْ أنَّ اللُّغوي شأنه أنْ ينقلَ ما نطقتْ به العربُ، لا يتعدَّاهُ، وأمَّا النحويُّ فشأنه أنْ يتَصرَّفَ فيما يَنْقُلُهُ اللُّغــوي ويقيسُ عليه...."[2].

بَيْدَ أنَّ تَتَبُّعَ أخبارِ ما اصطلِحَ على أنَّهم رُواةٌ يميلُ إلى نمطٍ من التأرجحِ عجيبٌ؛ فكثيرٌ من هؤلاءِ ازدوجتْ وظيفتُه ضِمنَ هذه الدائرةِ (لغويٌّ، أعرابيٌّ، نحويٌّ) وربَّما اتَّسَعَتْ لتخرجَ عــن أركانها جميعًا، فكثيرًا ما نجدُ الواحدَ منهم (راويًا ونحْويًّا) أو (راويًا وإخباريًّا، أو نسَّابًا) وقــد

---

[1] معجم البلدان ٣/٤٥٨.

[2] المزهر ١/٣٠.

يشترك الأعرابي معهم في وظيفة الرواية حيث يصبح راويا للغة. فأبو عمرو بنُ العَلَاءِ، فضلاً عن كونِهِ شيخاً لنحاةِ البصرةِ، يُذكر أنَّه كان راويًا، وأنَّه ملأَ بيتَهُ إلى السقفِ من روايتِهِ وكتبِ السابقينَ[1].

كذلك الكسائي رأسُ نحاةِ الكوفةِ، إذْ يُذْكر أنَّه رحلَ إلى بوادي الحجازِ ونجدٍ وتِهامةَ، ولمْ يرجعْ إلا وقدْ أنفدَ خمسَ عشرةَ قنينةً حبرًا في السَّماع عن العربِ، وقُلْ مثلَ ذلكَ في الأخفشِ، وثعلبَ، ويونسَ بْنِ حَبِيْبٍ. فجميعُهم كانوا نحاةً ورواةً في آنٍ معًا، وهذا يعني أنَّ مَنْ أخذَ على عاتقِهِ نقلَ المادةِ اللُّغويَّةِ هو مَنْ جَمَعَها، ثمَّ يُعربُها ويعكف على دراستِها.

يُمَثِّلُ الأعرابُ الرُّواة الطرفَ الآخرَ في ثنائيَّةِ التأرجحِ المنازِعَةِ للراوي في وظيفتِه، فقد باتَ في حكمِ المُؤَكَّدِ أنَّ غيرَ قليلٍ من الأعرابِ -بوصفِهم مادة ثرة للمادةِ اللُّغويَّة- كانوا في الوقتِ ذاتِه رواةً عن أنفسِهم في المقامِ الأولِ، وقد ذكرَ ابنُ النديمِ عددًا منهم في ثنايا كتابِه[2] أمثالِ: "الحرمازي الحسن بن علي" و"أبي المنهال" و"أبي ثروان العكلي" و"أبي محكم الشيباني" و"عباد بن كسيب" وغيرهم. فكلُّ أولئكَ جميعًا إنَّما كانُوا أعرابًا من جهةٍ ورواةً للغةِ من جهةٍ أخرى.

ويبدو أنَّ الذينَ أفلتُوا من عقالِ دائرةِ اللغةِ كانُوا رواةً، ولم يكونوا أعرابًا، وكانُوا رواةً، ولَمْ يكونُوا نحاةً بالمعنى المختصِّ، ومع ذلك فلا يمكنُ القولُ بحيادِهم وظيفيًا، فهم واقعيًا ليسوا رواةً للغةِ حسب، بل إنَّهم رواةٌ لكلِّ ما استدعى الرِّواية وقتئذٍ، كالشعرِ، والأخبارِ، والأنسابِ، والتراجمِ، والسيرِ، والحديثِ. وصادفَ أنْ أضحتْ اللغةُ واحدةً مِنَ الأمورِ التي رُوِيتْ فاشتغلُوا بالجملةِ في روايتِها.

---

(1) مراتب النحويين، أبو الطيب، عبد الواحد بن علي اللُّغوي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة نهضة مصر، ١٩٥٥م، ص١٣-٢٠.

(2) الفهرست، ابن النديم، محمد بن إسحاق، دار المعارف، بيروت، ١٩٧٨م، ص٤٥-٥٥.

ومهما يكُن من أمرٍ فصبغةُ العمومِ والشهرةِ تضغطُ باتجاهِ مِنَ الفصلِ بينَ مَنْ عُدَّ في الأثرِ ضمنَ قائمةِ النحاةِ، فانسلكَ فيها كأبي عمرو بنِ العلاءِ، والخليلِ، ويونسَ بنِ حبيبٍ، وسيبويهِ، الكسائيِّ، والفراءِ. وبَيْنَ مَنْ عُدَّ ضمنَ قائمةِ الرُّواة، فانسلك فيها كحمادِ الراويةِ، وخلفِ الأحمرِ، وأبي زيدِ الأنصاريِّ، وأبي عبيدةَ، وأبي عمرو الشيبانيِّ.

فكلُّ أولئك جميعًا -على اختلافِ مشاربِهم- يدخلونَ في حيِّزِ الرِّوايةِ اللُّغويَّةِ، ولا ينفصلونَ بمكانٍ عنها، الأمرُ الذي يؤدي إلى حالةٍ مِنَ التشظِّي تُلقي بجبريتِها على مضمونِ المادةِ المرويَّةِ قبلَ كلِّ شيءٍ؛ ذلك أنَّ الملمحَ الأبرزَ في هذا التنازعِ الوظيفيِّ لمصطلحِ (الراوي) هو تَعَذُّرُ استقلاليتِه وانفصالِه على نحوٍ حياديٍّ، يُبقي وظيفتَهُ -كما يُفترضُ نظريًّا أنْ تكونَ- حلقةَ وصلٍ بينَ مصادرِ المادةِ ودراستِها. وبصورةٍ كهذِهِ تبدو حياديَّةِ الرُّواة وموضوعيتِهم أمرًا مثيرًا للريبَةِ، مُكتَنَفًا بحيزٍ من الجدلِ عريضٍ.

الرُّواة وقدرتُهم الماديَّةِ على البحثِ:

ينبغي التَّنَبُّهُ بدايةً إلى أنَّ روايةَ اللغةِ وسماعَها مِنْ مصادرِها أمرٌ لم يحظَ بدعمٍ ماديٍّ ملموسٍ مِنْ قِبلِ الدولةِ، أو السلطانِ، فليسَ ثَمَّةَ أخبارٌ تشيرُ إلى أنَّ الدولةَ تَكَفَّلَتْ بهؤلاءِ الرُّواة، فأفْرَدَتْ لهم كَتَبَةً، أو شَمِلَتْهُم بجرايةٍ لا تَنْقَطِعُ، أو هيَّأتْ لهم قوافلَ يرتحلونَ بها لسماعِ اللغةِ.

لذلك تبدو مستلزماتُ الرِّوايةِ منوطةً بالرَّاويِّ وحدَهُ، وهذا أمرٌ يستدعي تَوَفُّرُهُ على إمكاناتٍ خاصةٍ تهيئُ لهُ القيامَ بهذا الجهدِ لا سيَّما (القدرةُ الماليةُ)، فعندما نقرأُ أنَّ الكسائيَّ أنفدَ خمس عشرةَ قنينةَ حبرًا، وأبا عمرو الشيبانيَّ دستيجانَ حبرًا في الكتابةِ عن الأعرابِ، ينبغي تخيلُ ذلك الكمِّ الهائلِ مِنَ الجلودِ، وغيرِها ممَّا نابَ منابَ الورقِ، في زمنٍ عزَّتْ فيهِ هذهِ الأدواتُ، وسُخِّرتْ لكتابةِ النَّفيسِ ممَّا يُخشى ضياعُهُ، ولو افتَرَضْنا جدلاً حدوثَ هذا، فأيُّ قافلةٍ تلك التي بُرِّزتْ لنقلِ ما كتبَهُ الكسائيُّ.

فإذا ما أخذنا ندرة الأوراق والجلود بعينِ الاعتبارِ، وأُضيفَتْ إليهِ حاجةُ الراوي للمالِ للإنفاقِ على نفسِهِ في رحلتِهِ، وفي مدةِ إقامتِهِ بينَ الأعرابِ، وقتَها لا يمكنُ للعقلِ أنْ يَقْبَلَ إلا أنْ يكونَ هؤلاءِ الرُّواة مِنْ أثْرى أثْرياءِ المسلمينَ، وكي يتهيأ لهم القيامُ بذلكَ، فَهَلْ كانُوا كذلكَ حقًا؟ تكلمتْ كتبُ التراجمِ بعكسِ الواقعِ الماديِّ لهؤلاءِ الرُّواة، فأكثرُهم كانَ فقيرًا جدًا وفي أحسنِ الظروفِ ليسَ بثريٍّ، ويبلغُ منكَ العَجَبُ مَبْلَغَهُ حينَ تَجِدُ "النضرَ بنِ شميلَ" مقيمًا -كما تروي الكتبُ- أربعينَ سنةً في الباديةِ يسمعُ اللغةَ ويدوِّنُها عَنِ الأعرابَ، ثمَّ عادَ بعدَها إلى البصرةِ، فَلَمْ يَجِدْ فيها قوتَ يومِهِ، فهاجرَ إلى خراسانَ بعدَ أنْ ودَّعَ أصحابَهُ قائلاً: "لو كانَ لي في كلِّ يومٍ ربعٌ مِنَ الباقلاءِ أتَقوَّتُ فيهِ لَمَا ظَعَنْتُ عنْكُم"(١).

أجَلْ، لَمْ يَجِدْ ما يأكلُهُ في البصرةِ حيثُ أصحابُهُ، بينما يُرادُ منَّا أنْ نُصَدِّقَ إنَّه وَجَدَ ما يأكلُهُ أربعينَ سنةً في صحارى العربِ، ثمَّ وَجَدَ بَعْدَ ذلكَ حِبْرًا وجلودًا كَفَتْهُ تدوينَ ما سَمِعَهُ مِنْ أهلِها.

وأشار المناصرة إلى أن النضر بن شميل لم يخرج من البصرة إلا بعد موت الخليل، حيث خرج إلى مسقط رأسه مرو، حيث قال "خرج من البصرة سنة سبعين ومئة -أي بعد وفاة الخليل- وقد عمر النضر إلى الثمانين أي بقي من عمره ثلاث وثلاثون أو أربع وثلاثون عاماً عندما رجع إلى مرو"(٢). وهذا يدل على بطلان الرواية التي ترويها كتب اللغة عن خروج النضر بن شميل إلى البادية مدة أربعين سنة للسماع عن الأعراب.

---

(١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ١٩٦٥م، ٢/٣١٦-٣١٧.

(٢) المأثور من اللغة عن النضر بن شميل في معاجم العربية، المناصرة، جامعة اليرموك، رسالة ماجستير، ٢٠١٠م، ص٢٤.

والواقعُ الذي يُثبتُ لِمَنْ يُطالِعُ أخبارَ الرُّواة أنَّ جُلَّهُم كانُوا مؤدِّبين يشتغلونَ بمهنةِ التعليمِ، وكفى بهذا الخبرِ الذي يسوقُهُ الجاحظُ شارحًا لأوضاعِهم، إذْ يقولُ: "قالَ ابنُ عتابٍ: يكونُ الرجلُ نحويًا وعروضيًّا وقسامًا فرضيًّا وحسنَ الكتابةِ جيِّدَ الحسابِ حافظًا للقرآنِ راويًا للشِّعرِ وهو يرضى أنْ يُعلِّمَ أولادَنا بستينَ درهمٍ، ولو أنَّ رجلاً كانَ حَسَنَ البيانِ حَسَنَ التخريجِ للمعاني ليسَ عندَهُ غيرُ ذلك لم يرضَ بألفِ درهمٍ"(١).

بهذا الخبرِ تَتَّضِحُ حالُ أغلبِ الرُّواة قبلَ اشتهارِ أمرِهِم، وهذا إذا يخبر القارئ بشيء إنَّمَا يخبره بضعفِ القدرةِ الماليَّةِ لهؤلاءِ الرُّواة، ممَّا يجعلُ رحلتَهم إلى بوادي الجزيرةِ،ثمَّ سماعَهم مِن سكَّانها أمرًا لا يسوغُهُ عقلٌ ولا يقبلُهُ منطقٌ.

رابعًا: الأعرابيُّ مَصْدرُ اللُّغَةِ:

لم تَعْدُ جهودُ المشتغلينَ باللُّغةِ حدودَ جمعِها، ومحاولةَ ضبطِها وفْقَ قواعدَ تُسهِلُ على سكانِ الحضرِ غيرِ المطبوعينَ على الفصاحةِ تعلُّمَ العربيَّةِ بصورتِها المثاليَّةِ الصافيةِ لِذَا بَدَتْ الحاجةُ مُلِحَّةً بضرورةِ وجودِ الأنموذجِ اللُّغوي كمثالٍ يُقاسُ عليهِ، فكانَ الأعرابيُّ حبلَ الخلاصِ الوحيدِ الذي تعلَّقَ بِعُراهُ أكثرُ الرُّواة.

فالمسألة كما تُصورُ لا تَعْدُو كونُها بحثًا عن بيئةٍ لغويَّةٍ ما زالَ أهلُها مُحْتَفِظِينَ بلغتِهم سليمةً مِن شوائبِ اللَّحْنِ وعلى الرُّغمِ مِن بساطةِ الطرحِ وعفويةِ المشهدِ تبدو لمساتُ الصنَّاعِ، ماثلةً بقوةٍ خلفَ كلِّ هذا، تدفعُ باتجاهٍ يبدو فيهِ الأعرابيُّ (حالةً) أكثرُ منهُ (شخصاً) تلبيةً لمجتلباتِ الثنائيَّةِ التي نَشأَ البحثُ اللُّغوي عنها، وهي (اللحنُ – الأعرابُ).

---

(١) البيان والتبيين ٢٠٩/١.

لقد وضعَ اللُّغويونَ (الإعراب) مُذ بدأوا معادلاً منطقيًا لـ(اللحنِ) لذا لمْ يكنْ أمامَهم سوى إخضاعِ جميعِ مجتلباتِ هذهِ الثنائيةِ إلى المنطقِ أيضًا، فكما أنَّ اللحنَ نقيضُ الإعرابِ فمكان اللحن إذن (الحاضرةُ) نقيض لمكان الأعراب (الباديةُ) ومَنْ يلحنُ (الحضريُّ) نقيضٌ لِمَن يُعْرِبُ (الأعرابيُّ) بصورةٍ كهذهِ نستطيعُ الفصلَ بينَ طرفي المعادلةِ كما يلي:

لحنٌ – حاضرةٌ – حضريٌّ ← إعرابٌ – باديةٌ – أعرابيٌّ

فبجبريَّةٍ مِنْ هذهِ المُعادَلَةِ المنطقيَّةِ رُسِمَتْ صورةُ الأعرابيِّ رسمًا دقيقًا، تُظْهِرُهُ بصورةٍ مناقضةٍ تمامًا لصورةِ الحضريِّ فشخصُ الأعرابيِّ لابُدَّ أنْ يكونَ جلفًا نَابيَ الهيئَةِ واللِّباسِ أميًّا لا يعرفُ القراءةَ والكتابةَ ساذجًا جاهلاً بالمدينةِ ومظاهرِها، وهذه الصفاتُ إذ تأملتَها وجدتَها نقيضةً تماماً لصفاتِ الحضريِّ؛ لذا حرصَ عليها كلُّ مَنْ أرادَ البقاءَ في دائرةِ الضوءِ ليأخذُ عنهُ الرُّواة ويقصِدُهُ العلماءُ ويتحاكمُونَ إليهِ.

ولهذا فقد أصرَّ بعضُ الأعرابِ ممن سكنُوا البصرةَ على إظهار عكسِ الواقعِ الذي هم عليهِ، فأبو مهديةَ أعرابيٌّ سكنَ البصرةَ روى عنه الأصمعيُّ وأبو عبيدةَ[1] كان يُعلِّقُ على ملابسِهِ صوفًا وقذرًا فإذا سُئِلَ عنها قال "أنجاسٌ حتى يَتَنَجَّسَ مني الموتُ فلا يَقْدِرُ عليَّ"[2].

وهو القائلُ [3]:

يَقُولُونَ لِي شَنْبِذْ وَلَسْتُ مُشَنْبِذًا طَوالَ اللَّيالِيَّ مَا أَقَامَ ثَبِيرُ
ولا قَائلاً زُودًا لِيَعْجَلَ صَاحِبِي وبِستان في قَولي عَلَيَّ كَثِيرُ

---

(١) البيان والتبيين ٣/٢٢٥.

(٢) طبقات النحويين واللُّغويين، الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٥٤م، ص١٧٥.

(٣) السابق، ص٣٩.

علّقَ عبدُ الحميدِ الشلقانيُّ على هذهِ الأبياتِ بقولِهِ: "وحقيقةُ الأمرِ إنَّها صورةٌ منَ المصارَعَةِ بينَ الطبيعةِ والتَّعمُّلِ، ولا أباعدُ في الرأيِّ إذا ذهبتُ إلى القولِ بأنَّه أنْشَدَ هذهِ الأبياتِ ليوهِمَ بأنَّه على أعرابيَّتِهِ، فقد كانتْ هذه الصفةُ هي كلُّ سلطانه في حَضَرِهِ"[1].

ولَمْ يقفِ الأمرُ عند حدودِ تَقَمُّصِ شخصيَّةِ الأعرابيِّ وهيئتِهِ بل تعداهُ إلى أكثرَ منْ هذا وهو التظاهرُ بالجهلِ والأميَّةِ، فذو الرُمَّةِ يتوسلُ إلى حمَّاد الراويةِ بعدما عرفَ الأخيرُ أنَّه يكتبُ، ثمَّ يقولُ لهُ "اكْتُمْ عليَّ"[2].

وما كان ذو الرُمَّة ليفعلَ ذلكَ في الحكايةِ إلاّ ليقينِهِ بأنَّ معرفةَ الكتابةِ سببٌ في إخراجِ شعرِهِ مِنْ دائرةِ الاحتجاجِ اللُّغوي، يقولُ الجاحظُ: "سَمِعْتُ ابنَ بشيرٍ وقالَ لهُ أبو الفضلِ العنبريُّ (وهو أعرابيٌّ) عثرتُ البارحةَ بكتابٍ وقد التقطتُهُ وهو عندي، وقد ذكرُوا أنَّ فيه شعرًا، فإنْ أردتَهُ وهبتُهُ لَكَ، قالَ ابنُ بشيرٍ: أريدُهُ إنْ كانَ مقيدًا، قالَ: واللهِ ما أدري أمقيدٌ هُوَ أمْ مغلولٌ؟ ولو عرفَ التقيُّدَ لم يلتفتْ إلى روايتِهِ"[3].

ولا تلبثُ منطقيةُ الثنائيةِ (اللحنُ – الإعرابُ) حتى تعودَ مِنْ جديدٍ تلقي بنفسِها هذه المرةَ على لغةِ الأعرابيِّ، إذْ يجبُ أنْ تكونَ على النقيضِ التامِ للغةِ الحضريِّ، فَسِمَةُ لُغَةِ الأخيرِ اللينُ والسهولةُ، لذا بدا منطقيًا أن تظهرَ لغةُ الأعرابيِّ غريبةً وحشيَّةً فَجَّةً.

لقد أدركَ العلماءُ أنَّه كلما زادَ البونُ بينَ لغةِ الأعرابيِّ ولغةِ الحضريِّ زادَ انفصالُهما وعدمُ احتكاكِهِما، أي زيادةُ بُعْدِ بيئةِ الأعرابيِّ عن الحاضرةِ، وترى الدِّراسة أنَّ روايةَ الغريبِ

---

(1) رواية اللغة، الشلقاني، عبد الحميد، دار المعارف، مصر، د. ط، د. ت، ص٧٢.

(2) أدب الكاتب، الصولي، محمد بن يحيى: المطبعة السلفية، بغداد، ١٩٢٠م، ص٦٢.

(3) البيان والتبيين ١٦٣/١.

اللُّغوي إنَّما دخلتْ إلى مضمونِ الرِّواية عامَّةً بإلحاحٍ من هذِهِ الفكرةِ؛ إذ يكفي بالراوي أنْ يأتيَ بالغريبِ عَنِ الأعرابِ ليؤكِّدَ بذلكَ أنَّه سَمِعَ اللغةَ عن أُناسٍ موغلةٍ بيئتُهم في الانعزالِ، فيؤكِّدُ رحلتَهُ اللُّغويَّةَ إلى مجاهلِ الصحراءِ، أو يَخْلُقُ انطباعًا لدى الغيرِ عن صدقِ جميعِ مروياتِهِ، فما دامَ إنَّه قد روى الغريبَ فهذا يَعْني إنَّه اتَّصلَ بالأعرابِ المحتفظينَ بلغتِهم سليمةً مِنَ اللَّحْنِ، فيَصْدُقُ بذلك حينَ يروي غيرَ الغريبِ عَنهُم.

لقد كانَ إلحاحُ الرُّواة على المعالمِ الخارجيَّةِ للأعرابيِّ الحالةَ، وتأكيدُهم عليها، هو السببُ الرئيس في ذوبانِ الأعرابيِّ الشخصِ في معظمِ مروياتِهِ، فهيئةُ الأعرابيِّ، وشكلُهُ، ثمَّ أميَّتُهُ وجهلُهُ، كلُّ هذهِ العوامل أغنتهُم عَن ذكرِ الاسمِ والنسبِ وجَعَلِ شَخْصِ الأعرابيِّ غيرَ مُهمٍ على الرُّغم مِنْ أنَّهم لم يكونُوا جميعًا فصحاءَ سليمِي اللغةِ[1].

والعجيبُ المحيِّرَ في مسألةٍ كهذهِ، أنَّ إلحاحَ الرُّواة على توافرِ هذه الصفاتِ في شخصِ الأعرابيِّ ظَلَّ حتميًّا يلقي بِجِرانِهِ، ما دامَ الأعرابيُّ نكرةً غيرَ معروفِ الهويةِ، فإنْ عُرِفَ باسمٍ، أو لقبٍ، أو كنيةٍ سرعانَ ما تزولُ هذهِ الشروطُ عنهُ. ومِنَ الأمثلةِ على ذلكَ[2]:

١- أبو ثروان العكلي: أعرابيٌّ مِنْ أعرابِ الكوفةِ لَزِمَهُ الفراءُ وسَمِعَ عنه اللغةَ له كتابٌ في خلقِ الإنسانِ ومعاني الشعرِ.

٢- أبو ملحم الشيباني: له كتابُ الأنواءِ، وكتابُ الخيلِ، وكتابُ خلقِ الإنسانِ.

٣- جهم بن خلف المازني: أعرابيٌّ بصريٌّ، كانَ راويًا، وعالمًا بالغريبِ والشعرِ، وقد سَمِعَ عنه الأصمعيُّ وخلفُ الأحمرِ.

---

[1] يُنظر: تفصيل ذلك في المزهر ٢٠٢/١.

[2] يُنظر: أخبار هؤلاء الأعراب وغيرهم في: **الفهرست**، ص٦٥-٧٤.

٤- دلامز البهلول: له كتابٌ في النوادرِ والمصادرِ.

٥- ربيعة البصريّ: له كتابانِ: "ما قيلَ في الحياةِ مِنَ الشعْرِ والرّجَزِ"، وكتابُ "حنينُ الإبلِ إلى الأوطانِ".

٦- أبو الشمخ: له كتابُ الإبلِ.

٧- عبدُ الله بنِ سعيدِ الأمويّ: لهُ كتابُ النوادرِ، وكتابُ رَحْلُ البيتِ.

٨- أبو مالكٍ عمرو بنِ كركرةَ: كانَ يُعَلِّمُ في الباديةِ، ويُورِقُ في الحضرِ صنَّفَ كتابَ خلقِ الإنسانِ وكتابَ الخيلِ.

٩- أبو العذافرِ الكنديّ: سمعَ منهُ الأصمعيُّ، وذَكَرَهُ الجاحظُ بأنَّه واحدٌ مِنَ الشعراءِ الذينَ كانُوا يتملحونَ بأنْ يُدخلُوا في شعرِهم شيئًا مِنْ كلامِ الفارسيَّةِ.

١٠- أبو سرارٍ المازنيّ: سمعَ عنهُ أبو عبيدةَ، ولَهُ قراءاتٌ في المصحفِ تُنْسَبُ إليهِ.

١١- شبيلُ بنِ عزرةِ الضبعيّ: لهُ قراءاتٌ تُنْسَبُ إليهِ.

١٢- أبو السمّالِ قعنبُ بنِ أبي قعنبَ العدويُّ القارئ: رويتْ عنهُ حروفٌ في القراءاتِ، وقدْ روى عنهُ أبو زيدٍ بعضَها.

فكلُّ هؤلاءِ أعرابٌ سَمِعَ عنهم العلماءُ ما كانُوا أجلافًا، ولا جفاةً، ولا أميينَ، ولا جَهَلَةً، فهم لا يعرفونَ القراءةَ حسبُ، بل يؤلفونَ الكتبَ ،وينظمونَ الشعرَ، ولبعضٍ منهم رأيٌ في قراءةِ المصحفِ، وهذا تباينٌ عجيبٌ مُثيرٌ للريبةِ؛ فالأعرابيُّ لابُدَّ أنْ يكونَ أميًّا ما دامَ نَكِرةً فإنْ عُرِفَ ارتقى مباشرةً إلى مصافِ طبقةِ العلمِ الأولى، وفي الحالتيْنِ على تناقضِهما سُمِعَتْ عنهم اللغةُ.

يبدو هذا التناقضُ مُبَرَّرًا إنْ نَظَرْنَا إليهِ باعتبارِهِ واحدًا من مجتلباتِ ثنائيةِ (اللحنِ الأعرابِ) فما دامتْ الحاضرةُ نقيضَ الباديةِ، إذن لابُدَّ أنْ يكونَ أعرابُ الحاضرةِ أيضًا على النقيضِ التامِّ مِنْ أعرابِ الباديةِ، فالأعرابيُّ البَدويُّ موغلٌ في الأميَّةِ؛ إذن تقتضي المنطقيَّةُ أنْ

يكونَ الأعرابيُّ الحضريُّ موغلاً في العلم. وعلى هذا النّحو ظهرَ أعرابُ الحاضرةِ، وقد صنفُوا الكتبَ ووضعُوا المؤلفاتِ، فهل يَصِحُّ هذا؟ وكيف يَصِحُّ؟ ومواضيعُ الكتبِ وعناوينِها تدورُ كما هي موزعةٌ. فـ(كتابُ الخيلِ) لأبي مالك عمرو بن كركرة، ولأبي ملحم الشيباني، وهذانِ الاثنانِ يتنازعانِ مَعَ أعرابيٍّ ثالثٍ (أبو ثروانَ العكليٌّ) كتابًا آخرَ وهو كتابُ (خلق الإنسانِ).

ومهما يكنْ مِنْ أمرٍ لم تجدِ الدّراسة فيما رجعت إليه من مظانٍّ أحدًا مِنَ القدماءِ يقتبسُ مِنْ هذهِ المؤلفاتِ المزعومةِ أو يذكرُها بخبرٍ، الأمرُ الذي يثير الشك بوجودها على الحقيقة، كانتفاءِ وجودِ أكثر أعرابِ الحاضرةِ الذين رُسِمُوا كما يَتّضِحُ بدقةٍ متناهيةٍ معادلــةً لــصورة أعرابــي البادية. فنحنُ لا نعرفُ عن هذهِ الشخصياتِ سوى الأسماءِ، أو الكنى، أو الألقابِ، وحتى هذهِ فقد اختُلفَ فيها أيّما اختلافٍ[1].

ومِنْ أبرزِ ما يمكنُ ملاحظتُهُ في أسماءِ الأعرابِ اجتماعُ أكثرِها على الغرابــةِ الــشديدةِ ويبدو أنَّ هذهِ الغرابةَ وُضِعَتْ بقصديَّةٍ ما من قبل الصنّاع أُريدَ مِنْ خلالِها التأكيدُ على أنَّ هؤلاءِ النفرَ وإنْ تواجدُوا في الحاضرةِ فقدْ قَدِمُوا إليها مِنْ تلكُ الصحاري البعيدةِ التي مــا زالَ أهلُهــا على وحشيَّتِهم فلمَّا يتحضرُوا، وهنا نلاحظ أيضًا لمساتِ الصنَّاعِ إذ أدركُوا أنَّ "سلطانَ البيئــةِ الحياتيَّةِ" هو الأقوى في تحديدِ الدلالةِ الاسميَّةِ[2].

لذا كانَ لزامًا أنْ تكونَ أكثرُ أسماءِ الأعرابِ وحشيَّةً كالبيئةِ الصادرينَ عنها، وقد خلفُــوا بهذا حالةً مِنَ التصورِ المسبقِ، فمتى قرأتَ أو سمعتَ اسمًا غريبًا تنبَّــأتَ أنْ يكــونَ صــاحبُهُ أعرابيًّا وفي هذا يقول حسين خريوش " فالإنسانُ قبلَ أنْ يُوجَدَ الاسمُ، يحاولُ أنْ يُكَوِّنَ لنفــسهِ

---

(1) يُنظر: تفصيل ذلك في الأعراب الرُّواة – **صفحات في فلسفة اللغة وتاريخها**، الشلقاني، عبد الحميد، دار المعارف، مصر، د.ط ، ١٩٧٧م، ص١٧٩-٢٦٠.

(2) **التسمية – ماهيتها وفلسفتها وخصائصها الدلالية**، خريوش، حسين يوسف، منشورات عمادة البحث العلمي، جامعة اليرموك، اربد، ١٩٩١م، ص٢١.

فكرةً عَنْ هذا الشخصِ القادمِ، وعَنْ الصورةِ التي يتصورُهُ عليها؛ لذلكَ فإنَّ الإنسانَ يجتهدُ على أنْ يفيضَ خاطرُهُ بالمسمياتِ أو الألقابِ، كلَّما يتسعُ تصورُهُ عَنِ المسمَّى"(١).

وتبدو الغرابة واضحة إنْ تأملْنا بعضَ أسماءِ الأعرابِ مِمَّنْ ذكرَتْهُم المصادرُ في البصرةِ أوِ الكوفةِ:

(أبو البيداء الرياحي) ،(أفار بن لقيط)، (عمر بن عامر البهدلي)، (أبو ثـروان العكلـي) (ثور بن يزيد – أبو جاموس)،(جرو بن قطن) (أبو الحدرجان)، (أبو الحصين الهجمي)، (أبـو دثار) (درواس)، (أبو الدقيش القناني)، (دلامز البهلول)، (رهمج بن محرز)، (شبيل بن عـزرة الضبعي)، (شويس العدوي أبو الذيال)، (العدبس الكناني)، (أبو القماقم الفقعسي).

فهذهِ المُسمياتُ والكُنى تَحفلُ بوافرٍ مِنَ الغَرابَةِ، حتى أنَّك قد لا تَجِدُ أحدًا تَسَمَّى بها مِـنْ العربِ البائدةِ أو الباقيةِ غيرهم.

ثمّةَ ظاهرةٌ أخرى يَجدرُ ملاحظتُها في الأعرابيَّاتِ اللواتي دَخَلْنَ أو أُدْخِلْنَ قسرًا إلى حيِّزِ السَّماعِ اللُّغوي إمعانًا في جعلِ المشهدِ أكثرَ طبيعةً فـ(أمُّ) الهيثمِ كنيةٌ ذاتُ علامةٍ مميزةٍ متـى سمعتَها تَعيَّنَ أنْ تَتَنبأَ بوجودِ سماعٍ ولغةٍ وأعرابٍ.

فأبو عبيدةَ (٢١٠هـ) يروي عَنْ أمِّ الهيثمِ في البصرةِ[٢]، والمبردُ (٢٨٦هـ) يروى عَنْ أمِّ هيثمَ أخرى في الكوفةِ[٣].

فإنْ عَرَفَ البعضُ أنَّ مِنَ الأعرابياتِ واحدةً تُسَمَّى (غنية) ثمَّ نَـسِيَ إنَّهـا تُكَنَّـى (بـأمِّ الحمارسِ)[٤] لا يُعنِّي نفسَهُ كثيرًا إذ يُعيدُ هدرجةَ الكُنيَةِ لتُصبِحَ غنيةُ (أمَّ الهيثمِ)[٥] وينتهيَ الأمرُ.

---

(١) التسمية – ماهيتها وفلسفتها وخصائصها الدلالية، ص١٣.

(٢) المزهر ٢/٥٤٠.

(٣) الفاضل، المبرد، محمد بن يزيد، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب، القاهرة، ١٩٥٦م، ٢٢-٢٣.

(٤) إصلاح المنطق، ابن السكيت، يعقوب ابن إسحاق، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٤٩م، ص٣٨٩-٣٩٠.

(٥) أنباه الرواه ٤/١١٤.

ثانياً: الحدُّ الداخلي للسَّماع اللُّغوي:

يقومُ الحدُّ الداخليُّ للسَّماع اللُّغوي على متنِ المادةِ المسموعةِ حسب؛ لذا فهو لا يتعلقُ بأيٍّ مِنَ الأركانِ الخارجةِ عن صُلْبِ الموضوعِ الذي ظهرَتْ الرِّواية أصلاً لخدمتِهِ.

إنَّ مناقشةَ المتنِ المسموعِ أمرٌ مِنَ الاتِّساعِ بحيثُ يَصْعُبُ أنْ يُلَمَّ بجميعِ جوانبِهِ، ومَعَ ذلكَ تحاول الدراسة توضيح الجوانبِ اللُّغويَّة التي اشتملتْ عليها المتونُ المسموعةُ. فيما يلي بعضُ الرِّوايات المُتَشَكِّلَةِ عَنِ السَّماع:

(أ – ١): جاءَ في مغني اللبيبِ "سُمِعَ أعرابيٌّ يقولُ بعدَ انقضاءِ رمضانَ يا ربَّ صائمه لنْ يصومَهُ ويا ربَّ قائمه لنْ يقومهُ، وهو ممَّا تَمَسَّكَ بهِ الكسائيُّ على إعمالِ اسمِ الفاعلِ المجردِ بمعنى الماضي"[1].

(أ – ٢): جاءَ في الخصائصِ نقلاً عن أبي حاتمٍ قالَ: "قَرَأَ عليَّ أعرابيٌّ بالحرمِ طيبي لهم وحسنَ مآبٍ، فقلتُ: طوبي، فقالَ: طيبى، قلتُ: طوبي، قالَ: طيبي، فلمَّا طالَ عليَّ قلتُ: طوطو، قال: طي طي"[2].

(أ – ٣) جاءَ في كتابِ اللاماتِ: "والعربُ قد تُسمِّي الشيءَ باسمِ عاقبتِه كما قالَ تعالى: (إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ)[3].

إنَّما كانَ يعصرُ عنبًا تَؤولُ عاقبتُهُ أنْ يكونَ خمرًا، فسمّاها بذلكَ، وحكى الأصمعيُّ عَنِ المعتمرِ بنِ سليمانَ إنَّه قالَ: " لَقِيَني أعرابيٌّ ومَعَهُ عِنَبٌ، فقلتُ لهُ ما معكَ؟ فقالَ: خَمْرٌ"[4].

---

(١) **مغني اللبيب**، الأنصاري، ابن هشام، تحقيق: مازن المبارك ومحمد حمد الله، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨م، ١٧٩/١.

(٢) **الخصائص** ٣٨٤/١.

(٣) سورة يوسف آية (٣٦).

(٤) **اللامات**، الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي، أبو القاسم، تحقيق: مازن المبارك، الناشر: دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٨٥م، ١١٩/١-١٢٠.

(أ - ٤) جاءَ في البيانِ والتبيينِ: "سَمِعَ أعرابيٌّ رجلاً يقرأ: (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ)"[١].

قالها بِفَتْحِ الكافِ، فقالَ الأعرابيُّ لا يكونُ، فقرأها عليهِ بضمِ الكافِ وكَسْرَ الفـاءِ، فقـالَ الأعرابيُّ: يكون"[٢].

(أ - ٥) سَمِعَ أعرابيٌّ رجلاً يقولُ: أشهدُ أنَّ محمدًا رسول الله بفتحِ (رسول) الله، فتـوهمَ إنَّه نصبَهُ على النعتِ، فقالَ: يَفْعَلُ ماذا؟"[٣].

(أ - ٦) يقولُ ابنُ خالويهِ في قراءةِ قولهِ تعالى: (صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)[٤].

قُرِئَتْ بتخفيفِ اللامِ: قالَ أبو عمرو بنُ العلاءِ: سمعتُ أعرابيًا يقولُ: اللهُ الذي يُخَفِفُ"[٥].

(أ - ٧) حكى صاحبُ المُزْهِرِ روايةً عَنِ الأصمعيِّ قالَ: "اختلفَ رجلانِ في الصَّقْرِ فقالَ أحدُهما بالسينِ وقالَ الآخرُ بالصادِ فتحاكَمَا إلى أعرابيٍّ ثالثٌ فقالَ: أمَّا أنا فأقولُ بالزايِّ، فقـالَ ابنُ خالويهِ: فدلَّ على إنَّها ثلاثُ لغاتٍ"[٦].

(أ - ٨) قالَ أبو حاتمٍ: "قلتُ لأمِّ الهيثمِ، واسمُها غنيةُ: هل تُبْدِلُ العربُ مِنَ الجيمِ ياءً فـي شيءٍ مِنَ الكلامِ فقالتْ: نَعَمْ ثمَّ أنشدتْني مِنَ الطويلِ:

إنْ لَـمْ يَكُـنْ فِـيكُنَّ ظِـلٌّ ولا جَنى فَأَبْعَدَكُنَّ اللهُ عَنْ شَـيَرات[٧]

---

(١) سورة القمر آية (١٤).

(٢) البيان والتبيين ٣٧٥/١.

(٣) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القلقشندي، أحمد بن علي، تحقيق: يوسف علي الطويل، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٧م، ٢٠٦/١.

(٤) سورة الفاتحة آية ٧

(٥) مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، ابن خالويه، مكتبة المتنبي، القاهرة، ص٩.

(٦) المزهر ٣٦٧/١.

(٧) السابق ٣٦٧/١.

(أ – ٩) إذا الفجائيةُ "المسألةُ الزنبوريّةُ"[١]:

هذهِ المسألةُ متعلّقةٌ بالمناظرةِ التي دارتْ بينَ سيبويهِ والكسائيِّ، في بغدادَ عند يحيى بنِ خالدِ البرمكيِّ، حيثُ سألَ الكسائيُّ سيبويهِ: "كنتُ أظنُّ أنَّ العقربَ أشدُّ لسعةً منَ الزُّنْبُورِ فإذا هو هي"، وقالوا أيضًا: "فإذا هو إياها"، وهذا هو الوجهُ الذي أنكرَهُ سيبويهِ، وأجابَ: "فإذا هو هي"، ولا يجوزُ النصبُ، وسألَهُ الكسائيُّ عَنْ أمثالِها نحوَ: (خرجْتُ فإذا القائمُ أو القائمَ) وأجابَ سيبويهِ: كلُّ ذلكَ بالرفعِ، فقالَ الكسائيُّ: العربُ ترفعُ كلُّ ذلكَ وتَنْصِبُ.

هذه الرِّوايات وردَ فيها جميعًا السَّماع عَنِ الأعرابِ، واحتُجَّ بها في مواضيعَ مختلفةٍ تنتمي إلى جوانبَ لغويَّةٍ متعددةٍ أَمْكَنَ حصرُها بما يلي:

١- **الجانبُ النحويُّ:**

يُمَثِّلُ هذا الجانبَ المسائل (أ – ١، أ – ٥، أ – ٩) فقد احتجَّ الكسائيُّ في الأولى بكلامِ الأعرابيِّ على جوازِ إعمالِ اسمِ الفاعلِ إذا جاءَ بمعنى الماضي مخالفٌ بذلكَ جمهورَ النُّحَاةِ، إذْ اشترطوا في إعماله أنْ يكونَ دالاً على الحالِ أو الاستقبالِ حتى يعملَ عملَ فعلِهِ أمَّا إذا دلَّ على الماضي فهو بالإجماعِ ليسَ عاملاً البتةَ.

وقوله: "يا رُب صائمه ... إلخ" استدل الكسائي على إعمال اسم الفاعل وجاء بمعنى الماضي، إذ لو لم يكن عاملاً النصب في ضمير رمضان، لكانت إضافته إليه محضة؛ لأنها إضافة وصف إلى غير معمولة، فتفيد التعريف مع أن رُبَّ لا تجر المعرفة وقد يجاب بأنه حكاية حال ماضية بلفظ حكايتها قبل مضيها، فاسم الفاعل غير ماضٍ تنزيلاً، وقوله لن يصومه، ولن يقومه، عُبِّرَ بلن الاستقبالية؛ لأن المراد لن يجوز ثواب صيامه، وقيامه يوم القيامة، أو لن يعيش إلى صيام مثله وقيامه"[٢].

---

[١] المغني ١/ ١٠٢-١٠٨.

[٢] حاشية العلامة الصبّان على شرح الشيخ الأشموني: على ألفية الإمام ابن مالك، الشافعي، محمد بن علي الصبّان، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٧٩م، ١/٣٤٣.

أمَّا المسألة الخامسة فقد احتجَّ بها على لسانِ الأعرابيِّ بضعفِ نصبِ (رسولِ) على إنَّـــه نعتٌ لـِ (محمدٍ)، ذلك أنَّ حدَّ الجملةِ النحويِّ لا يكتملُ إلا بتقديرِ خبرٍ لـِ (أنَّ) نحو: "أن محمدًا رسولَ اللهِ نبيٌّ" والأولى كما يرى النحاةُ رُفِعَ (رسولٌ) على إنَّه خبرٌ لـِ (أنَّ) فلا يحتاجُ بـــذلكَ إلىٰ تقديرِ محذوفٍ.

أمَّا المسألة التاسعة فجوابُ سؤالِ الكسائيِّ ما قالَهُ سيبويهِ، وهو (فإذا هو هي) هـــذا هـــو وجهُ الكلامِ، مثلُ (فإذا هي بيضاءُ) (فإذا هي حيةٌ)، وأمَّا "فإذا هو إياها"، وإن ثَبتَ، فهو خـــارجٌ عَنِ القيـــاسِ واستعمـــالِ الفصحـــاءِ، كالجزمِ بـــ (لَنْ) والنصبِ بـــ(لَمْ) والجـــر بـــــ(لَعَـــلَّ)، وسيبويهِ وأصحابُهُ لا يلتفتونَ لمثلِ ذلكَ.

ولكنَّ مَوطِنَ الشاهدِ في هذهِ المناظرةِ هو قولُ الكسائيِّ واحتجاجِهِ بكلامِ العربِ، وإنَّه سَمِعَ هذا الكلامَ مِنْ أفواهِ العربِ، حيثُ طَلَبَ الكسائيُّ مِنَ الإمامِ يحيى حضورَ العربِ الذينَ يقفـــونَ ببابِ الخليفةِ كي يسمعَ منهم ويحكمَ على الصوابِ، وعندما سمعَ منهم الخليفةُ، حيثُ قالوا: القولُ قولُ الكسائيِّ.

يقول ابنُ هشامٍ في المغني: "إنَّ العربَ قد رُشُوا على ذلك، أو أنَّهم علمُوا بمنزلةِ الكسائيِّ عندَ الرشيدِ، ويُقالُ إنَّ سيبويهِ طلبَ مِنْ يحيى أنْ يَلْفِظُوا بذلكَ القولِ الذي قالَـــهُ الكـــسائيُّ فـــإنَّ ألسنتَهم لا تَطُوعُ بهِ"[1].

وبَيْنَ سطورِ القصةِ التي أوردَها ابنُ هشامٍ يساورُ القارئَ الشكُ حيثُ تنطوي تحتَ هـــذا الخبرِ– إنْ ثبتَ تاريخيًا– أمورٌ شتى لابُدَّ مِنْ مراجعتِها وتحديدًا قراءاتِ الكسائيِّ.

---

[1] **المغني** ١/ ١٠٨.

ذكرَ ابنُ هشامٍ المسألةَ مَعَ ما انتهى إليهِ مِن خبرِها التاريخيّ، وأجمــلَ فيهــا كــذلكَ أنَّ التعارضَ في هذهِ المسألةِ تَعارضٌ في السَّماع، فالسائلُ الكسائيُّ انطلــقَ مِــن كــلامِ العــربِ، وسيبويهِ أيضًا انطلقَ مِن كلامِ العربِ، ومِن خلالِ النظرِ في هذهِ المسألةِ يتبينُ ما هو آتٍ:

أولاً: أثبتَ ابنُ هشامٍ التعارضَ في هذه المسألةِ وأثبتَ لكلِ فريقٍ وجهةَ نَظَرِهِ.

ثانياً: اعتمدَ كلا الفريقينِ على الدليلِ السماعيِّ للمسألةِ.

ثالثاً: رَجَّحَ ابنُ هشامٍ كلامَ سيبويهِ على كلامِ الكسائيِّ.

رابعاً: شَكَّكَ ابنُ هشامٍ بصحةِ سماعِ الكسائيِّ، واستدركَ إنَّه خارجٌ عن المشهورِ والأصل في كلامِ العربِ.

٢- الجانبُ الصرفيُّ:

تُمثِلُ هذا الجانبَ المسألةُ الثانيةُ والمسألةُ الثامنةُ؛ أمَّا المسألةُ الثانيةُ فالمرادُ منها تأصــيلُ كلمةِ (طوبى) فهو يعتقدُ أنَّ أصلَها (طيبي) ثمَّ قُلِبتْ الياءُ (واوًا) وضُمَّ ما قبلَها فجاءَ باعتقادِهِ هذا على لسانِ الأعرابيِّ إظهارًا للحجةِ وتأكيدًا على ما يقولُ وعلى الرُّغمِ من أنَّك تعدمُ أصلاً لهــذهِ المفردةِ في العربيَّةِ، حيث قالَ ابنُ خالويهِ: "وليسَ في كلامِ العربِ صفةٌ على فِعلي، إنَّما تكــونُ على فُعلى مثلُ (حُبلى) ومثلُ هذا (طوبى لهم وحسن مآب) إنَّما هو من الطيبِ، فانقلبــتْ اليــاءُ واوًا لانضمامِ ما قبلها، فلذلكَ قرأها مكسورةً- الأعرابيُّ (طيبى لهم) بكسرِ الطاءِ"[١].

أمَّا المسألةُ الثامنةُ فهنا أم الهيثم تعرفُ الصرفَ والإبدالَ جيدًا فَتُسألُ عن إبدالِ الجيمِ ياءً فَتُقِرُهُ، بَلْ وتَستَشهِدُ عليهِ بالشعرِ، ثمَّ يُستشهدُ بالسَّماعِ عنها دونِ أدنى شكٍّ بصدقِ مــا تَــزْعُم. فالنحاة كانوا يبهجرون الأعرابي الذي يفهم اللغة الهجينة[٢]، وقالَ الجاحظُ: "ومَنْ لَمْ يَفْهَمْ هذا لَمْ

---

(١) ليس في كلام العرب، ابن خالويه، الحسين أحمد تحقيق: محمد عبد الغفور عطار، مكة المكرمة، ط٢، ١٩٧٩م، ص٢٥٦.

(٢) أصول النحو العربي، الحلواني، محمد خير، جامعة تشرين – اللاذقية، ١٩٧٩م، ص٤٥.

يَفْهَمْ قولَهم ذهبتُ إلى أبو زيدٍ ورأيتُ أبي عمرو ومتى وَجَدَ النحويون أعرابيًّا يَفْهَمْ هذا وأشباهَهُ بهرجوه ولَمْ يسمعُوا منهُ لأنَّ ذلك يدلُّ على طولِ إقامتِهِ في الدارِ التي تُفْسِدُ اللغةَ وتُنقِصُ البيانَ"[1].

٣- الجانبُ الصوتيُّ:

وتمثلُهُ المسألة السابعة فموضوعُها الأصواتُ الصفيريَّةُ، فقد أضافَ الأعرابيُّ إلى (السينِ) و(الصادِ) صوتًا صفيرًا آخرَ وهو (الزايُ)، فتحقَّقَتْ بذلكَ مشروعيةُ نُطْقِ كلمةِ (الصَّقْرِ) وفْقَ الصُوَرِ الصوتيَّةِ الثلاثةِ المتقاربَةِ المخارجِ (صَقْرٌ- سَقْرٌ- زَقْرٌ).

٤- الجانب الدلالي والمعجمي:

تمثِّلُ هذا الجانبَ المسألتان الثالثة والرابعة. أما المسألة الثالثة فقد وُضِعَ الأعرابيُّ لتأصيلِ المجازِ في قولِهِ تعالى: (إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ)[2] تأكيدًا على أنَّ العربَ عرفَتْ مثلَ هذا الأسلوبِ فلم يَكُنْ غريبًا عنه، أمَّا المسألة الرابعة فإنَّ الغايةَ مِنْ وجودِ الأعرابيِّ فيها تعليميَّةٌ صِرْفَةٌ، فموضوعُها التفريقُ بينَ (كَفَرَ) و(كُفِرَ)، (كفِر) وعلاقةُ كلٍّ منها بمعنى الآيةِ القرآنيَّةِ.

٥- القراءاتُ القرآنيَّةُ:

تمثِّلُ هذا الجانبَ المسألة السادسة، وإنْ صحَّ سماعُ أبي عمرو فيها، فلَنْ ندريَ بعدَها ما حدُّ الفرقِ بَيْنَ أعرابيٍّ استشارَ أبَا الأسودِ الدؤليَّ بلحنِهِ في القرآنِ فدفعَهَ إلى الاشتغالِ بهِ، وبينَ آخرَ هنا بدا قارئًا فذًّا يسمعُ عنه العلماءُ. واللافتُ أنَّ الأعرابيَّ في هذه المسألة يعرفُ ما معنى التخفيفِ ويدركُ أثرَهُ في النطقِ جيدًا فهل يتماشى هذا مع أمنية الأعرابي؟.

---

[1] البيان والتبيين ١/٩٩.

[2] سورة يوسف آية (٣٦).



الفصل الأول

السّماع اللّغوي عند عيسى بن عمر الثقفي

عيسى بنُ عُمَرَ الثّقفيّ

اسمه ونسبه:

عيسى بن عمر بن عبدا لله بن إسحاق بن الأعرج الثقفي، من أهل البصرة، إمام في النّحو والعربية والقراءة، وليس بعيسى بن عمر الهمداني، كنيته أبو سليمان، ويقال أبو عمرو، ويقال أبو عمر، مولى خالد بن الوليد، نزل بثقيف، فنسب إليهم توفي سنة تسع وأربعين ومئة، وقيل سنة خمسين ومئة[1].

شيوخه:

تتلمذ عيسى بن عمر الثقفي على أيدي مجموعة من العلماء في علوم متنوعة كالقراءات والنّحو والصّرف وغيرها من علوم العربية، وحسبنا أن نذكر من هؤلاء العلماء الذين كان لهم أثر في علم عيسى بن عمر:

- يَحْيَى بنُ يَعْمَرَ أبُو سُلَيْمَانَ العَدْوَانِيُّ (١٢٩هـ):

يحيى بن يعمر الوشقي العدواني، أبو سليمان: أول من نقط المصاحف، قاضي مرو، وُلِدَ بالأهواز، وسكن البصرة، وكان من علماء التابعين، عارفا بالحديث والفقه ولغات العرب، من كُتّاب الرسائل الديوانيّة، وفي لغته إغراب وتَقَعُّر، أدرك بعض الصحابة، وأخذ اللغة عن أبيه، والنّحو عن أبي الأسود الدؤلي، وكان فصيحًا، ينطق بالعربيّة المحضة طبيعة فيه، غير مُتكلّف[2].

---

[1] يُنظر: ترجمته في: **أخبار النحويين البصريين**، السيرافي، القاضي أبو سعيد الحسن بن عبدالله، تحقيق: طه محمد الزين، ومحمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٥، ص٢٥، **وسير أعلام النبلاء**، ٢٠٠/٧، **ومراتب النحويين** ص٢١، **نور القبس المختصر من المقتبس**، المرزباني، اختصار أبي المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود الحافظ اليغموري، تحقيق: رودلف زلهايم دار النشر فرانتس شتاينز، ١٩٦٤م، ٤٦/٢٣. **وطبقات الزبيدي** ص٤٠، **وبغية الوعاة**، ٢٣٧/٢، **ونشأة النّحو وتاريخ أشهر النحاة**، طنطاوي، محمد، دار المعارف – مصر، ط٢، د.ت، ص٧٥، **الأعلام** ١٠٦/٥.

[2] يُنظر: **الأعلام** للزركلي ١٧٧/٨، **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، شمس الدين، تحقيق شعيب أرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٥م، ٤٤١/٤.

- الحَسَنُ البَصْرِيُّ أبو سَعِيْدٍ

الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعيٌّ، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنـــه، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء، ولد بالمدينة المنورة، وشب في كنف علي بن أبي طالب، واستكتبه الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة، وعَظُمَتْ هيبتُه فـــي القلوب، فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، ولا يخاف في الحق لومة لائم، وكان أبـــوه من أهل ميسان. قال الغزالي: كان الحسنُ البصريُّ أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء، وأقربهم هديا من الصحابة، وكان غاية في الفصاحة، تتصبب الحكمة من فيه[1].

- عبدُاللهِ ابنُ أبِي إسْحاقَ:

مولى آل الحضرمي وهم خلفاء بني عبد شمس، وهو أعلم أهل البصرة، وأول مـــن بعـــج[2] النّحو، ومدّ القياس، وشرح العلل، وتكلم في الهمز حتى عُمل كتابًا مما أملاه وكـــان رئـــيسَ النّاس وواحدَهم[3].

- أبو عَمْرِو بنُ العَلاءِ[4]:

أحد القراء السبعة، كان أعلمَ النّاس بالقرآن الكريم والعربيَّة والشّعر، وهو في النّحـــو فـــي الطبقة الرابعة قال الأصمعي: قال أبو عمرو بن العلاء: لقد علمت من النّحو ما لم يعلمـــه

---

(1) يُنظر: **سير أعلام النبلاء** ٢/٢٢٦، **تهذيب التهذيب**، العسقلاني، ابن حجر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٤م، ٢/١١٠، و **سير أعلام النبلاء** ٤/٥٦٤.

(2) بعج هو الشق، ولعل المقصود أنّ ابن إسحاق أول من استوفى تقسيم النّحو وتصنيف أبوابه.

(3) يُنظر: **البلغة في تراجم أئمة النّحو واللغة**، ص٢٨، **وطبقات الفقهاء**، الشيرازي، أبو إسحاق، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، لبنان – بيروت، ط١، ١٩٧٠، ١/٨٧.

(4) وتخبر بعض المصادر أن عيسى هو مَن أخذ عن أبي عمرو، يُنظر: ذلك في **مراتب النحويين**، ص٢١، **ومعجم الأدباء**، الحموي، ياقوت، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ١٦/١٤٨. وتخبر بعض المصادر الأخرى أن أبا عمرو هو من أخذ عن عيسى، يُنظر: ذلك في **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، الحنبلي، عبد الحي بن أحمد، تحقيق: عبد القادر أرناؤوط ومحمود أرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٥م، ١/٢٢٥، وترى الدراسة أن أبا عمرو هو من تتلمذ على يد عيسى بن عمر.

الأعمش وما لو كُتب لما استطاع أنْ يحمله، وقال أيضًا: سألت أبا عمرو عن ألف مسألة، فأجابني فيها بألف حجة، وكان أبو عمرو رأساً في حياة الحسن البصري مُقدَّمًا في عصره، وقال أبو عبيدة: كان أبو عمرو أعلمَ النَّاس بالأدبِ والعربيَّة والقرآن والشِّعر[١].

- عَوْنُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ عُتْبَةَ الهُذَلِيُّ:

الإمام، القدوة، العابد، أبو عبد الله الهذلي، الكوفي حدّث عن: أبيه، وأخيه، وابن المسيب، وابن عباس، وعبد الله بن عمرو، وطائفة، وحدّث عن: عائشة، وأبي هريرة. وقال الأصمعيُّ: كان من آدبِ أهل المدينة، وأفقههم، كان مُرجِئًا[٢]، ثمَّ تركه، وقيل: خرج مع ابن الأشعث، وفرَّ، فأمَّنَهُ محمَّد بن مروان بالجزيرة، وتعلَّمَ منه ولده مروان توفي سنة بضع عشرة ومئة[٣].

تلامذته:

يُعَدُّ عيسى بن عمر من الينابع التي شرب منها كثير من العلماء، فهو إمام الأئمة، حيث تتلمذ على يده عدد من علماء العربية وحسبنا أن نذكر منهم:

- الخَليلُ بنُ أحمد الفَراهيدِيُّ

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم بن فرهود بن فهم بن مالك بن نضر بن الأزد وقيل في نسبه الفراهيدي الأزدي، ولد سنة (١٠٠هـ) في عُمان، ونزل البصرة

---

(١) وفيات الأعيان ٤٦٦/٣.

(٢) المرجئة: فرقة إسلامية، خالفوا رأي أهل السنة في مرتكب الكبيرة وغيرها من الأمور العقدية، وقالوا بأنَّ كلَّ من آمن بوحدانية الله لا يمكن الحكم عليه بالكفر؛ لأنَّ الحكم عليه موكول إلى الله تعالى وحده يوم القيامة، مهما كانت الذنوب التي اقترفها.

(٣) يُنظر: سير أعلام النبلاء ١٠٤/٥-١٠٥.

عاش ومات فيها سنة سبعين ومئة للهجرة، وقيل سنة خمس وسبعين ومئة للهجرة، وقيل سنة ستين ومئة للهجرة، ومات وهو ابن أربع وسبعين سنة[1].

- **خَلَفُ الأحمرُ بنُ حَيَّان**

خلف بن حيان الأحمر، مولى أبي بردة بن موسى الأشعري، يكنى أبا مُحْرِزٍ، وكان أعلمَ النَّاس بالشِّعر وأعلمهم بالقافية، أخذ النَّحو عن عيسى بن عُمر، وأخذ اللُّغة عن أبي عمرو، ولم يُرَ أحدٌ أعلمَ بالشِّعر والشعراء منه، أخذ عنه أهل الكوفة وأهل البصرة[2].

- **سيبويه:**

عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر، طلب الفقه، ثمَّ صحب الخليل وبرع في النَّحو، وهو مولى لبني الحارث بن كعب، ويُكنَّى أيضًا أبا الحسن، وتفسير سيبويه بالفارسية رائحة التفاح سمي بذلك لأنَّ وجنتيه كانتا كأنَّهما تفاحتان، قال المبرد: كان سيبويه وحماد بن سلمة أعلم بالنَّحو من النَّضر بن شميل، والأخفش، وقال ابن عائشة: كنّا نجلس مع سيبويه في المسجد، وكان شاباً جميلاً نظيفًا قد تعلق من كل علم بسبب مع حداثة سنه، وقال أبو بكر العبدي النحوي: لما ناظر سيبويه الكسائي ولم يظهر سأل من يرغب من الملوك في النَّحو فقيل له: طلحة بن طاهر فشخص إليه إلى خراسان فمات في الطريق[3].

- **الأصمعيُّ**

عبد الملك بن قريب بن أصمع، أبو سعيد الأصمعيُّ، الباهليُّ البصريُّ، إمام اللُّغة، وأحد الأعلام في الشِّعر والأدب وأنواع العلم، فهو أتقنُ القوم لغةً، وأعلمهم بالشِّعر، وأحضرهم

---

(1) يُنظر: طبقات النحويين واللغويين، ص٥١، وإنباه الرواة، ٣٤١/١.

(2) يُنظر: الطبقات للزبيدي، ص١٦١، ونور القبس ٧٢/٢٣، ومراتب النحويين، ص٤٦-٤٧.

(3) شذرات الذهب ٢٥٢/١.

حِفظًا، وكان ناقدًا للشعر، قال الأصمعيُّ: الأصمع الأملس المحدد وبه سُميت الصومعةُ. قال: ويقال رجل أصمع إذا كان ذكيًا[1].

- أبو عُبَيدَةَ مَعْمَرُ بنُ المُثَنَّى:

الإمام العلامة، أبو عبيدة، معمر بن المثنى التَيْمِيُّ، البصريُّ، صاحب التصانيف. ولد سنة عشر ومئة، في الليلة التي توفي فيها الحسن البصري. حدث عن: هشام بن عروة، ورؤبة بن العجاج، وأبي عمرو بن العلاء وطائفة، قال الجاحظ في حقه: لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه. وكان الغريب أغلب عليه وأخبار العرب وأيامها، وقيل: من أراد أخبار الجاهلية، فعليه بكتب أبي عبيدة[2].

- قُطْرُبُ مُحَمَّدُ بنُ المُستَنيرُ

أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد النَّحويُّ اللُّغوي البصريُّ، مولى سالم بن زيادة، المعروف بقطرب. أخذ الأدب عن سيبويه، وعن جماعة من العلماء البصريين، وكان حريصًا على الاشتغال والتعلُّم، وكان يُبَكِّرُ إلى سيبويه قبل حضور أحد من التلامذة، فقال له يومًا: ما أنت إلا قطرب ليل، فبقي عليه هذا اللقب، وقطرب: اسم دُوَيْبة لا تزال تَدُبُّ ولا تفتر، وكان من أئمة عصره. له من التصانيف: كتاب معاني القرآن، وكتاب الاشتقاق، وكتاب القوافي، وكتاب النوادر، وكتاب الأزمنة[3].

---

(1) يُنظر: البلغة في تراجم أئمة النَّحو واللغة، الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي – الكويت، ط١، ١٩٨٦م، ٣٥/١، ومراتب النحويين، ص٤٦، ونور القبس ١٢٥/٢٣.

(2) يُنظر: وفيات الأعيان وأبناء الزمان، شمس الدين، خلكان، أحمد بن محمد خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧٠م، ٢٣٥/٥، وسير أعلام النبلاء ٤٤٥/٩.

(3) يُنظر: السابق ٣١٢/٤، والبلغة، ص٧٢.

صفاته:

يُعَدُّ عيسى بن عمر من العلماء الأفذاذ الذين نقشوا أسماءهم على صفحات العربيَّة، والذين قدموا خدمات جليلة لعلومها، فهو أولُ من هذَّب النَّحو ورتَّبه، وعلى طريقته مشى سيبويه. كان صاحب تَقَعُّر في الكلام مُكْثِرًا من استخدام الغريب[(١)]، وكان يطعن على العرب ويخطِّئ المشاهير منهم، مثل النابغة في بعض أشعاره وغيره[(٢)]. ويقول الرافعي: "كان عيسى بن عمر رأس المتقعرين وفاتحة تاريخهم"[(٣)]، فقد كان يعدل عن سهل الألفاظ إلى التَّقَعُّرِ والغريب وممن جملة تَقَعُّرِهِ في الكلام ما روي أنَّه "سقط يومًا عن حمار له في السوق، فاجتمع عليه الناس، فقال: ما لكم تكأكأتم علي تكأكؤكم على ذي جِنَّةٍ، افرنقعوا عني؛ معناه: ما لكم تجمعتم علي تجمعكم على مجنون، انكشفوا عنِّي، وكان به ضيق النَّفس، فأدركه ضيق النَّفس يومًا وهو في السُّوق، فوقع ودار النَّاس حوله يقولون: مصروع مصروع، فَبَيْنَ قارئ ومُعَوِّذٍ من الجانّ، فلمَّا أفاق من غشيته نظر إلى ازدحامهم فقال: هذه المقولة، فقال بعض الحاضرين: إنَّه جِنِّيٌّ يتكلم بالهندية"[(٤)].

وكان من قرَّاء البصرة، غير أنَّ له اختيارًا في القراءة على مذاهب العربيَّة يُفارق قراءة العامَّة، وكان غالبا ما ينصب إذا وجد لذلك سبيلاً[(٥)]. ومن ذلك (حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ)[(٦)]، (ٱلزَّانِيَةُ

---

(١) يُنظر: الأعلام للزركلي ١٠٦/٥.

(٢) وفيات الأعيان ٤٨٧/٣.

(٣) تاريخ آداب العرب، الرافعي، مصطفى، راجعه وضبطه: عبد المنشاوي ومهدي البحقيري، مكتبة الإيمان، ط١، ١٩٩٧م، ص٢٠٨.

(٤) يُنظر: وفيات الأعيان ٤٨٧/٣.

(٥) يُنظر: غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، شمس الدين، طبعة جديدة مصححة اعتمدت على الطبعة الأولى للكتاب التي عنى بنشرها سنة ١٩٣٢ ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٩٧١، ٥٤١/١.

(٦) سورة المسد، آية (٤).

﴿وَٱلزَّانِى﴾[1]، ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾[2]، حيث كان ينصب حمالةَ والزانيةَ والسارقَ، فقد قال الجمحي في طبقات فحول الشعراء: كان عيسى بن عمر إذا اختلفت العرب نزع إلى النّصب[3] فمنهج عيسى العقلي في دراسة النّحو يميل إلى تفسير الظواهر الإعرابية عن طريق ربطها بالمعنى ، فهو ينصب كل اسم فيه معنى التعظيم أو التحقير[4].

أسرته وبيئته وعلمه:

نشأ عيسى بن عمر في أسرة اهتمت بالقرآن الكريم، والحديث النبوي، ومادتهما أفصح كلام العرب، فبذرة الفصاحة إذن غُرِسَت في قلب عيسى بن عمر منذ صغره، فكانت عاصمًا له أنْ يتطرق إلى اللّحن أو العُجمة[5]، وقد نمّى هذه البذرة اشتغال عيسى بطلب القرآن والحديث جريًا على عادة أهله[6].

نشأ عيسى بن عمر في بيئة علميّةٍ خصبةٍ، فقد عاش في البصرة موطن العبقرية والعلماء، وفيها المِربَد موئل الفصاحة، فقد كان المِربَد مكانا للشعراء يدلون بضاعتهم فيه، ومن هؤلاء الشعراء جرير والفرزدق والأخطل، وما كان يدور بينهم من مساجلات شعرية، وكان العلماء ومنهم عيسى بن عمر من المتابعين لهؤلاء الشعراء في ما يقولونه حيث يقوّمون ما في أشعارهم من اعوجاج- إن وجد- حيث يُعَدُّ عيسى عالمًا بدقائق اللغة، ومستوعبًا لألفاظها، جامعًا

---

(1) سورة النور، آية (٢) .

(2) سورة المائدة، آية (٣٨) .

(3) طبقات فحول الشعراء، الجمحي، محمد بن سلام، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة – السعودية، ١٩/١.

(4) يُنظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة، معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٣١٥/٢.

(5) يُنظر: عيسى بن عمر الثقفي نحوه من خلال قراءاته، السالم، صباح عباس، منشورات مؤسسة العليمي بيروت، ودار التربية بغداد، ط١، ١٩٧٥،ص٣٥.

(6) السابق، ص٣٥.

لكلماتها[1]، ويضاف إلى ذلك الشعراء الذين يأتون من البادية أمثال أبي محمد اليزيدي وسلم الخاسر، فقد جاء في طبقات الشعراء[2] إنَّه اجتمع يومًا من الأيام عند عيسى بن عمر أبو محمد اليزيدي وسلم الخاسر. وكان علماء عصره يعرفون منزلة عيسى بن عمر العلميَّة، فقد قال الأصمعيّ: "وجاء عيسى بن عمر يوما إلى أبي عمرو بن العلاء فقال له: مررت بقنطرة قرّة، فلقيني بعيران مقرونان في قرن، فما شعرت شعرة حتى وقع قرانهما في عنقي، فلُبِجَ[3] بي، فافرنقع عنِّي و النَّاس قيام ينظرون قال: فكاد أبو عمرو ينشقُّ غيظًا من فصاحته"[4]، وقال يونس: "وكانا إذا اجتمعا في مجلس لم يتكلَّم أبو عمرو مع عيسى لحسن إنشاده وفصاحته"[5]، وقد ساعد عيسى بن عمر على فصاحته ونمو ثقافته واتساعها كثرة الشيوخ الذين روى عنهم[6]، فقد كان يسارع إلى تسجيل العلم الذي يأخذه عن شيوخه وعن الشعراء حتى يتسنى له الرجوع له؛ لأنَّ الإنسان بطبيعته ينسى، فقد روي عنه: "قال عيسى بن عمر[7]: كنت أنسخ بالليل حتى ينقطع سَوائي[8]".

وبالرُّغم من فصاحته التي يُقرُّ بها أبو عمرو إلا أنَّ الخلاف اللُّغوي كان قائمًا بينهما، ومن ذلك ما قاله يونس بن حبيب: "كان عيسى بن عُمَر يتحدَّث في مجلس فيه أبو عمرو بن العلاء

---

(1) الحلقة المفقودة في تاريخ النَّحو العربي، مكرم، عبد العال سالم، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٣م، ص١٣٤.

(2) طبقات الشعراء، ابن المعتز، عبدالله بن محمد، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة- مصر، ط٣، ص٢٧٢.

(3) لَبَجَ فلانٌ لَبْجًا إذا صُرِعَ.

(4) طبقات الزبيدي، ص٤١.

(5) الخصائص، ٣٠١/١.

(6) الحلقة المفقودة في تاريخ النَّحو العربي، ص ١٣٤.

(7) المزهر ٢٦٢/٢.

(8) السواء: الوسط.

فقال عيسى في حديثه: ضربه فَحُشّت يدهُ. فقال أبو عمرو: ما تقول يا أبا عمر! فقال عيسى: فَحُشّت يدُه، فقال أبو عمرو: فَحَشّت يده، قال يونس: التي ردّه عنها جيّدة، يقال: حُشّت يده – بالضمّ – وحَشّت يدُه –بالفتح– وأحَشّت[1]. ومن ذلك أيضا ما أورده أبو يوسف صاحب إصلاح المنطق: "أخبرني محمد بن سلام الجمحي قال: سألت يونس عن قول الله جل وعز ﴿لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾[2]، فقال: قال أبو عمرو بن العلاء: الدُولة في المال، والدَولة في الحرب قال: وقال عيسى بن عمر: كلتاهما تكون في الحرب والمال سواء، وقال أمّا أنا فوالله ما أدري ما بينهما"[3]، ولكن هذه المنزلة التي وصل إليها عيسى بن عمر لم تمنع علماء اللغة من انتقاده، فقد نقده تلميذه يونس ورماه بالتّصحيف[4]. فقد قال محمد بن سلام الجمحي: "قلت ليونس بن حبيب إنّ عيسى بن عمر قال: صحّف أبو عمرو بن العلاء في الحديث: (اتقوا على أولادكم فَحْمة العشاء)[5]. فقال بالفاء، وإنما هي بالقاف، فقال يونس: عيسى الذي صحّف ليس أبا عمرو وهي بالفاء كما قال أبو عمرو لا بالقاف كما قال عيسى"[6].

---

(1) الخصائص ٣٠١/٣.

(2) سورة الحشر، آية (٧).

(3) إصلاح المنطق ١١٥.

(4) الحلقة المفقودة في تاريخ النّحو العربي، ص١٣٦.

(5) متن الحديث الموجود في كتب الحديث الصحيحة فيما رَجَعتْ إليه الدّراسة من مظانّ ليس كما يرويه الجمحي حيث ينص الإمام مسلم في صحيحه "لا ترسلوا فواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء فإن الشياطين تنبعث إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء"، صحيح مسلم، النيسابوري، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت – لبنان، ١٥٩٥/٣. وفي رواية الإمام البخاري "اكفتوا صبيانكم عند فحمة العشاء، فإن للشيطان انتشارًا وخطفة بالليل". شرح صحيح بخاري، ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشيد، الرياض – السعودية، ط٢، ٢٠٠٣، ٢ /٤٣٦.

(6) المزهر ٣٠٩/٢.

ما أثر عن عيسى بن عمر:

لابُدَّ لعالم مشتغل بالعربيَّة عارفٍ بالكتابة كعيسى بن عمر أن يدوِّنَ في سجلاته علمَه الذي تحصّل عليه من بين حلقات العلم، ومجالسة العلماء، والسَّماع عن الأعراب، فقد قال سيبويه عن تصانيف عيسى بن عمر عندما سأله الخليل عنها: قد صنَّف نيِّفًا وسبعين مصنفًا في النَّحو، وإنَّ بعض أهل اليسار جمعها وأتت عليها عندهم آفة فذهبت، ولم يبقَ منها في الوجود سوى تصنيفين؛ أحدهما اسمه الكامل، وهو بأرض فارس عند فلان، والجامع، وهو هذا الكتاب الذي أشتغل فيه عليك، وأسألك عن غوامضه، فأطرق الخليل ساعة ثمَّ رفع رأسه، و قال: رحم اللّه عيسى ثمَّ أنشد ارتجالا:

ذَهَبَ النَّحو جَمِيعًا كُلُّهُ   غَيرَ ما أحْدَثَ عيسى بنُ عُمَرَ
ذَاكَ إكْمَالٌ وَهَذا جَامِعٌ   فَهُمَا للنَّاسِ شَمْسٌ وَقَمَرٌ

فأشار إلى (الإكمال) بالإشارة إلى الغائب في قوله: ذاك، وأشار إلى (الجامع) بالإشارة إلى الحاضر بقوله: وهذا[١]. وقال صاحب معجم الأدباء "هذان كتابان ما علمنا أحدا رآهما ولا عرفهما"[٢]، ويتضح لنا من خلال ما تقدم أن مصنفات عيسى بن عمر التي دوَّن فيها ملاحظاته وآراءه النحوية واللُّغوية لم يكتب لها البقاء طويلا فلم يصل إلينا منها شيء.

السَّماع اللُّغوي عند عيسى بن عمر:

يُعَدُّ عيسى بن عمر من اللُّغويين الذين حرصوا على اللغة، وفهموها فهما جيدًا من شفاه الأعراب، ومن خلال مجالسته للعلماء والشعراء سواء أكانوا شعراء الحضر، أم شعراء البادية الذين كانوا يأتون إلى البصرة، فقد كان الشعر من المنابع المهمة التي ارتوى منها عيسى بن

---

(١) يُنظر: إنباه الرُّواة على أنباه النحاة ٣٤٧/٢، ووفيات الأعيان ٤٨٦/٣. .

(٢) معجم الأدباء ٥ /٢١٤١.

عمر، فهو في هذا المضمار راويًا، وناقدًا وكان حريصًا على تدوين ما يسمعه من الشعراء والعلماء، ويُخطِّئ المشاهير منهم؛ مثل النّابغة في بعض أشعاره[1].

فقد كان عيسى بن عمر يكتب ما يسمعه من الشعراء والأعراب، حيث قال ذو الرُمَّة لعيسى بن عمر الثقفي: "أكتب شعري، فالكتاب أحبّ إليّ من الحفظ؛ لأنّ الأعرابي ينسى الكلمة قد سهر في طلبها ليلته فيضع في موضعها كلمةً في وزنها ثمّ ينشدها الناس، والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاماً بكلام"[2]، ولكن كثيرًا من هذا التراث الذي أُريد به تخليد عمل العرب قد ضاع، بسبب عدم تدوينه وتخليده في كتاب، واعتماد النّاس في روايته على الحافظة وحدها، والحافظة لا تحفظ المحفوظ لأمد طويل، فضاع منه ما ضاع، ووصل بعض منه، وآفة كل ذلك هو المرض الذي يصيب الذاكرة، وهو مرض النسيان؛ لذلك كان عيسى بن عمر يعمد إلى كتابة ما يسمعه.

تطالعنا المصادر فيما رجعت إليه الدّراسة من مظانّ بالأخبار التي تؤكد اهتمام عيسى ابن عمر بالسّماع عن الأعراب، فقد كان عيسى بن عمر يعترف باختلاف لغات القبائل، ولا ينكر لغة لم يسمعها حتى لو خالفت ما سمعه، ولكن لا يقيس عليها، فقد سُئل يومًا: "أخبرني عن هذا الذي وضعت يدخل فيه كلام العرب كله، قال: لا، قلت: فمن تكلم بخلافك واحتذى ما كانت العرب تكلم به أتراه مُخطئًا؟ قال: لا. قلت: فما ينفع كتابك؟"[3]، وأسس أصول كتابه (الجامع) على الأكثر، وسمّى ما شذ عن الأكثر لغات، وكذا فعل في كتابه (الإكمال)[4]، وكان عبدالله ابن

---

(1) إنباه الرُواة ٢/٣٧٥.

(2) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، دار الساقي، ط٤، ٢٠٠١م، ١٧/٧٢.

(3) أخبار النحويين، المقري، أبو الطاهر، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا- مصر، ط١، ١٩٩٠م، ص٩، وإنباه الرُواة ٢/٣٧٥.

(4) النحاة والقياس، الزعبلاوي، صلاح الدين، مجلة التراث العربي – مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد٣٢، السنة الثامنة، ١٩٩٨م، ص٨.

أبي إسحاق الحضرمي وتلميذه عيسى بن عمر أشد ميلًا للقياس، وكان لا يأبهان بالشواذ، وكانا لا يتحرجان من تخطئة العرب[1].

ولأنَّ آثار عيسى بن عمر العلميَّة لم تصلنا، فإنَّ الدِّراسة بحثت عن السَّماع اللُّغوي المباشر عند عيسى بن عمر في أخباره المتناثرة في بطون الكتب، وحتى تتضح حقيقة هذه المسائل السَّماعيَّة، والتوصل إلى كُنْهِ المسائل السَّماعيَّة عند عيسى بن عمر وجب علينا الوقوف على حدود السَّماع عنده.

حدود السَّماع اللُّغوي عند عيسى بن عمر:

١- أولاً: الحدُّ الخارجي وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ- الحيِّز الزماني:

يمتد الحيِّز الزَّماني للسَّماع اللُّغوي المباشر عند عيسى بن عمر عن العرب بما لا يعدو ٧٠-٧٥ سنة، وهي الفترة الممتدة تقريبا من طفولته غير المعروفة لدينا. ولم يشر إليها أحد من الذين ترجموا لحياته، ولكن ذهب صباح السالم[2] إلى أنّ مسألة تحديد تاريخ ميلاد عيسى بن عمر هي مسالة تقديرية رابطًا إياها ببدء أَخْذِهِ عن يحيى بن يعمر الذي توفي سنة (٨٣هـ) على افتراض أنَّ أَخْذَهُ عن شيخه يحيى بدأ، وهو في سن الخامسة عشرة؛ لذا قدَّر ولادته بين (٦٠-٦٥هـ)، وتاريخ وفاته مسألة خلافية حُدِّدت بين (١٤٩-١٥٠هـ)، فالحيِّز الزَّماني عند عيسى بن عمر مسألة تقديرية، نظرًا لعدم معرفتنا بتاريخ الميلاد.

ب- الحيِّز المكاني: وينقسم إلى قسمين:

١- سماع عيسى بن عمر عن الأعراب في البصرة (المِربَد)

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي، الأسد، ناصر الدين، دار المعارف المصرية، ط٧، ١٩٨٨م، ص٤٣٦.

(٢) يُنظر: عيسى بن عمر الثقفي نحوه من خلال قراءته، ص٢٠.

سمع عيسى بن عمر عن شعراء البصرة، فقد حكى عن الفرزدق، قال: "سمعت الفرزدق يقول: نقدت لها مائة، بمعنى نقدتها"[1]، وسمع عن شعراء البادية وأعرابها كذي الرُّمة، وأبي محمد اليزيدي، وسلم الخاسر[2]،ومن هنا يتبين أنَّ عيسى بن عمر سمع عن الأعراب الذين وفدوا إلى البصرة، وأقاموا فيها مدة كاليزيدي والخاسر ورؤبة بن العجاج، وبالرُّغم من عدم وجود روايات تشي صراحة بخروج عيسى إلى المِربَد للسَّماع عن الأعراب، لكن المأثور اللُّغوي عن عيسى بن عمر يهدي القارئ إلى القول بسماعه عن الأعراب الذين وفدوا إلى المِربَد، ويقول السالم: بسبب مكانة المِربَد الأدبية فقد كان موئل الفصاحة حيث تدور فيه مساجلات شعرية بين الشعراء والأدباء، وهو مادة قيمة للدرس، وأنَّ شيخ عيسى بن عمر عبدالله ابن أبي إسحاق كان يهتم بالسَّماع عن الأعراب في المِربَد، فمن المعقول جدا أن يكون عيسى بن عمر خرج إلى المِربَد، واستفاد من المواسم الأدبية التي كانت تعقد فيه، وقد يكون دون بعضه فإنَّه كان يعرف الخط والكتابة كما بينت الدِّراسة سابقًا، وربما اشترك في مناقشته، فمدارسة الفصيح تكسب الفصاحة[3].

رحلته إلى البادية:

تطالعنا الأخبار فيما رجعت إليه الدِّراسة من مظانَّ بأخبار نادرة وليست صريحة تشي بخروج عيسى بن عمر إلى البادية للسَّماع عن الأعراب، فابن الجزري يطالعنا في غاية النهاية

---

(١) كتاب النوادر، أبو مسحل، عبد الوهاب بن حريش، تحقيق: د. عزة حسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق – سوريا، ١٩٦١، ٢٤١/١.

(٢) يُنظر: الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، المرزباني، أبو عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى، جمعية نشر الكتب العربيَّة، القاهرة – مصر، المطبعة السلفية، ١٣٤٣هـ-١٩٩٢م، ص٢٧٩، وطبقات الشعراء، ص ٢٧٢، والمزهر ٤٩/٢.

(٣) يُنظر: عسى بن عمر الثقفي نحوه من خلال قراءته، ص ٣٥-٣٦.

بخبر يستطيع القارئ أن يستنتج من خلاله خروج عيسى بن عمر إلى الحجاز لأداء مناسك الحج أو العمرة فجلس إلى شيخي القراء ابن كثير وابن محيصن[1]، وقد قال السالم: "إنّ عيسى بن عمر الثقفي أخذ عن الأعراب الوافدين إلى البصرة دون أنْ يخرج إلى البادية في أغلب الظن"[2].

فلم تعثر الدّراسة فيما رجعت إليه من مظانّ على الأخبار الصريحة التي تدل دلالة واضحة على خروج عيسى بن عمر إلى البادية للسّماع عن الأعراب.

ب- الأعرابي

تطالعنا كتب التّراجم فيما رجعت إليه الدّراسة من مظانّ عن الأعراب الذين سمع عنهم عيسى بن عمر، ومن هؤلاء الأعراب:

- **ذو الرُّمّة[3]:**

من فحول الشعراء، غيلان بن عقبة بن بهيس، مضري النسب، وله مدائح في الأمير بلال بن أبي بردة، قال أبو عمرو بن العلاء: افتتح الشعراء بامرئ القيس، وختموا بذي الرمة[4].

- **رؤبة بن عبد الله العجاج التميمي السعدي، أبو محمد، راجز:**

من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة، وكانوا يحتجون بشعره، ويقولون بإمامته في اللغة، مات في البادية، وقد أسن، ولما مات رؤبة قال الخليل: دفنا الشعر واللغة والفصاحة[5].

---

(1) يُنظر: غاية النهاية ٦١٣/١.

(2) يُنظر: عيسى بن عمر الثقفي نحوه من خلال قراءته، ص٢٠.

(3) الرُّمة: الحبل.

(4) سير أعلام النبلاء ٢٦٧/٥.

(5) الأعلام، ٣٤/٣.

- **المنتجع:**

من بني نبهان، ومن طيئ روى عنه أبو عمرو بن العلاء[1].

- **أبو مُحَمَّد اليزيديُّ (ت ٢٠٢هـ):**

شيخ القراء، أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدويُّ، البصريُّ، النحويُّ، وعرف باليزيديِّ؛ لاتصاله بالأمير يزيد بن منصور، خال المهدي، جود القرآن على أبي عمرو ابن العلاء المازنيِّ، وحدَّث عنه، وعن ابن جريج، وكان ثقة، عالمًا، حجة في القراءة، لا يدري ما الحديث، لكنه إخباريٌّ نحويٌّ، علاَّمَة، بصير بلسان العرب، أخذ العربيَّة عن أبي عمرو، وعن الخليل[2].

- **سلم الخاسر:**

سَلْمُ بنُ عَمْرِو بنِ حَمَّادٍ هُوَ مِنْ فُحُولِ الشُّعَرَاءِ، مِنْ تَلاَمذَةِ بَشَّارِ بنِ بُرْدٍ، مَدَحَ المَهْدِيَّ، وَالرَّشِيْدَ، وَبَاعَ مُصْحَفَهُ، وَاشْتَرَى بِثَمَنِهِ دِيْوَاناً، فَلُقِّبَ: بِالخَاسِرِ

- **الفــرزدق:**

همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، شاعر من النبلاء، من أهل البصرة.

السِّمة البارزة في سماع عيسى بن عمر عن هؤلاء الأعراب أنَّ السَّماع حدث في البصرة وهذا ما يؤكد عدم سفر عيسى بن عمر وخروجه من البصرة للسَّماع عن الأعراب.

---

(١) يُنظر: البلغة ٧٧/١.

(٢) سير أعلام النبلاء، ٥٦٢/٩-٥٦٣.

الحدُّ الداخلي لسماع عيسى بن عمر عن الأعراب (المتن)

قامت الدّراسة بجمع المأثور اللُّغوي مِمَّا أُثر عن عيسى بن عمر في بطون الكتب ومما سمعه عن العرب سماعًا مباشرًا بنفسه، واعتمدت الدّراسة على الرّوايات الصحيحة التي ثبت فيها السّماع المباشر عن الأعراب، سواء أكان ذلك بالبصرة أم في بوادي الصحراء، إذ كان الراجح فيما رجعت إليه الدّراسة من مظانّ أنّ عيسى بن عمر لم يخرج إلى البادية للسّماع عن الأعراب، وفيما يلي بيان المسائل السّماعيَّة التي تدلُّ على سماع عيسى بن عمر عن الأعراب فيما رجعت إليه الدّراسة من مظانّ:

١- قال الأصمعي: "أخبرني عيسى بن عمر الثقفي وأبو عمرو بن العلاء قال: سمعت ذا الرمة يقول: قاتل الله أمة بني فلان ما أفصحها قلت كيف كان المطر عندكم فقالت: غثنا ما شئنا"[١].

٢- قال عيسى بن عمر: سمعت أبا النجم[٢] يقول: "أغدُ لغنًا في الرهانِ نرسلة"[٣].

٣- أخبَرَ عيسى بن عُمَر عن رؤبة: "مُرَيءٌ تصغير مَرء، والجمع مرؤون"[٤].

٤- قال عيسى بن عمر: "سألتُ ذا الرُّمة عن شيء على غير جهته، فقال لي: أتعرفُ اليَتْنَ فقلتُ: نعم، قال: كلامك يَتْنٌ"[٥].

---

(١) إصلاح المنطق، ص ٢٥٥.

(٢) هو الفضل بن قدامة، وهو من رجال الإسلام، والفحول المتقدمين في الطبقة الأولى منهم، وله مع هشام بن عبد الملك أخبار طويلة، وكانت وطأته آخر دولة بني أمية.

(٣) إيضاح شواهد الإيضاح، القيسي، أبو علي الحسن بن عبدالله، دراسة وتحقيق: د. محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٧، ١٤٨/١.

(٤) الاشتقاق، ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ط٣، ص٣٨٣.

(٥) يُنظر: الزاهر في معاني كلمات النّاس، الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، تحقيق: حاتم صالح الضامن مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ١٩٩٢م، ١٢١/١.

٥- قال الأصمعي: أخبرني عيسى بن عمر إنَّه سمع العرب تُنْشِدُ هذا البيتَ لابـن همَّـام السّلوليّ[١] على هذه اللغة[٢]:

وَذَمُّوا لَنَا الدُّنْيا وَهُم يَرْضِعونَها   أَفاوِيقَ حَتَّى ما يَدِرُّ لَها ثُعْلُ[٣]

٦- قال عيسى بن عمر: "سألت ذا الرُّمة عن النضناض، فلم يزدني أنْ حرَّك لسانه فـي فيه"[٤].

٧- قال عيسى بن عُمَر: "قال لي أعرابيٌّ: شَهِدت عليك بالفِقْه"[٥].

٨- قال الأَصْمَعِيُّ: أَخْبَرَنِي عِيسَى بنُ عُمَرَ: "إِنَّه سَمِعَ هُذَيْلاً تَقُولُ أَرابَنِي أَمْرُه"[٦].

٩- قال عيسى بن عمر: "مرَّ بي أعرابي وأنا أعلف بَعيراً لي فقال كَـذَبَ عليـك البَـزْرُ والنَّوَى"[٧].

١٠- قال الأصمعي: أخبرني عيسى بن عمر قال أنشدني ذو الرُّمَّة[٨]:

وَظَاهِرْ لَهَا مِنْ يَابِسِ الشَّخْتِ واسْتَعِنْ   عَلَيهَا الصَّبَا واجْعَلْ يَدَيكَ لَها سِتْرَا

ثمَّ أنشد بعد: من بائس الشخت.

---

(١) عبد الله ابن همام السلولي من بني مرة بن صعصعة، شاعر إسلامي، كان مكينا عند آل مروان، وهو الذي بعث يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية، وكان يقال له العطار لحسن شعره، وهو من التابعين لا من الصحابة.

(٢) يُنظر: تاج اللغة وصحاح العربيَّة، عطار، أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، لبنان، ط٣، ١٩٨٤م، ١٢٢٠/٣.

(٣) خِلْفٌ زائدٌ صغير في أَخْلافِ الناقة، وفي ضرع الشاة، يقال: ما أبينَ ثُعْلَ الشاةِ، والجمع ثُعولٌ.

(٤) المزهر ١١٢/١.

(٥) المخصص ٢٦١/١.

(٦) المحكم و المحيط الأعظم ١٠ /٣٠٨.

(٧) المزهر ٣٠١/١.

(٨) ديوان ذي الرُّمَّة، عنى به وشرح غريبه: عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٦، ص٨٨.

فقلت له: أنك أنشدتني: من بائس، فقال (يابس وبائس) واحد[1].

١١- قالَ الأصمَعِيُّ: حَدَّثَنِي عِيسَى بنُ عُمَرَ قالَ: "سألْتُ جَبْرَ بنَ حَبِيبٍ[2]: لمَ سُمِّيَ الهُبَعُ هُبَعاً قالَ: لأنَّ الرِّبَاعَ تُنْتَجُ في رِبْعِيَّةِ النِّتاجِ، أي: في أولِه، ويُنْتَجُ الهُبَعُ في الصَّيْفِيَّةِ، فإذا ماشَى الرِّباعَ أبْطَرَتْهُ ذَرْعَه، لأنَّها أقْوَى منْهُ"[3].

١٢- قال الراعي: أنشدني عيسى بن عمر إنَّه سمع بعض العرب تقول:

يا ابْنَ الَّتِي عَلَى قُعُودٍ حِفَادِ[4]

١٣- قالَ عيسى بن عُمَر: سمعتُ رجلاً يقولُ: "برئتُ إليكَ من كلِّ داءٍ تداوُهُ الإبلُ"[5].

١٤- قال الأصمعي: حدثني عيسى بن عمر قال: سمعت رؤبة ينشد:

تَيِّه في تِيه المتيهين[6] فجعلها من الياء.

تشترك هذه المسائل بجملة من الخصائص أمكن إجمالها بما يلي:

١- اقتصار كثير من هذه المسائل السَّماعيَّة المباشرة على رواية الأصمعي.

٢- الاختصار النسبي في جميع هذه المسائل، فجميعها يأتي بالخبر مباشرة.

---

(١) **الخصائص** ٢/٤٦٧.

(٢) جَبْر بن حبيب بن عطيّة، كان عالماً باللُّغة؛ أخذَ عنه علماءُ البصرة، والجَبْر: الملك.

(٣) **تاج العروس من جواهر القاموس**، الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تحقيق: عبد المنعم إبراهيم، وكريم سيد محمد محمود، بيروت – لبنان، ٢٠٠٧م، مادة (كفر).

(٤) **كتاب الإبل**، الأصمعي، أبو سعيد عبدالملك بن قريب بن علي بن أصمع، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق – سوريا، ط١، ٢٠٠٣، ص١٣٩.

(٥) **إصلاح غلط المحدثين**، البستي، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، تحقيق: د. محمد علي عبد الكريم الرديني، دار المأمون للتراث، دمشق – سوريا، ١٩٨٦، ص٦١.

(٦) **المنصف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني**، ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، دار إحياء التراث القديم، ط١، ١٩٥٤م، ص ٢٦٢.

٣- اشتراك السَّماع في المسالة الأولى بين عيسى بن عمر وأبى عمرو بن العلاء، حيث سمعا المسألة ذاتها عن ذي الرمة.

٤- غياب عُنْصُرَي الزمان والمكان في جميع هذه المسائل السَّماعيَّة.

٥- يقتصر السَّماع المباشر عند عيسى على عدد محدود من الأعراب، كذي الرمة الذي يكثر عيسى في السَّماع عنه، ورؤبة بن العجاج، وابن حبيب.

٦- عدم إفصاح عيسى بن عمر في بعض هذه المسائل عن الأعرابي الذي سُمع عنه.

٧- الأعرابي الذي سمع عنه عيسى بن عمر في المسائل السَّماعيَّة التالية (١، ٢، ٣، ٤، ٦، ١٠، ١١، ١٤) معرفة، وباقي المسائل الأعرابي فيها نكرة، باستثناء المسألة (٨) ذكر اسم القبيلة حيث قال: هذيل.

٨- يقع السَّماع في جميع هذه المسائل بالعبارات التي تعتبر من محددات السَّماع المباشر من قبل الراوي نفسه، وهي:

أ- سمعت- سمعنا (١، ٢، ٥، ٨، ١٢، ١٣، ١٤)

ب- قلت ... قال (٧، ٩)

ج- سألت ... سأل (٤، ٦، ١١)

د- أخبر (٣)

هـ- أنشد (١٠)

٩- تختلف المسائل في النَّص المسموع من خلال ما يدل عليه النَّص المسموع من جوانب لغوية، حيث توزع موضوع المتن على الجوانب اللّغوية كما يلي:

أ- الجانب النحوي:

لا يوجد في هذه النصوص السَّماعيَّة نص يدل على احتجاج عيسى بن عمر بقول العرب على مسائل النَّحو.

ب- الجانب الصرفي

تمثل هذا الجانب:

- **المسألة (٣)** الاحتجاج بالسَّماع في هذه المسألة عن معرفة وهو رؤبة بن العجاج، حيث استشهد عيسى بن عمر بسماعه عن رؤبة أن مُرَيءٌ تصغير مرء، والجمع مرؤون، وهذا يدخل تحت تصغير الاسم الثلاثي، ويأتي بضم الحرف الأول وفتح الثاني وزيادة ياء ساكنة بعده تسمى ياء التصغير.
- **المسألة (٥)** الاحتجاج بالسَّماع في هذه المسألة عن العرب حيث سمع عيسى بن عمر العرب تقول لابن همام السلولي: يرضِعونها بكسر الضاد، وهي لغة نجدية، حيث إنّ أهلَ نَجْدٍ يقولون: رَضَع يَرْضِع على وزن فعَل يَفْعِل، ورَضَع يَرْضِع لغةٌ في رضَع يرضَع، فرَضَعَ يَرْضَعُ بفتح الضاد على وزن فَعَلَ يَفْعَلُ، وهي لغة تِهامة، فيقال: رَضَع الصبيُّ وغيره يَرْضِع مثال ضرب يضرِب لغة نجدية، ورَضِعَ يَرْضَع رَضْعًا ورَضَعًا ورَضِعًا ورَضاعًا ورِضاعًا ورَضاعةً ورِضاعة فهو راضِعٌ والجمع رُضَّع وجمع السلامة في الأخيرة أكثر على ما ذهب إليه سيبويه[1].

---

[1] يُنظر: لسان العرب مادة (رضع)، تاج اللغة وصحاح العربية مادة (رضع)، وتاج العروس مادة (رضع)، وتهذيب اللغة، الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تحقيق: محمد عوض راغب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ٣٠٠/١، جمهرة اللغة، ابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٧م، مادة (رضع)، وديوان الأدب، الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم، تحقيق: د. أحمد مختار عمر، مراجعة: د. إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة – مصر، ٢٠٠٣، ١٧٠/٢.

- المسألة (٨) الاحتجاج بالسَّماع في هذه المسألة عن نكرة، ولكن ذكر عيسى بن عمر اسم القبيلة، وهي قبيلة هذيل، وموطن الاحتجاج في هذه المسالة في عبارة أرابني أمره، وأَرَابَ الأَمْرُ: صَارَ ذَا رَيْبٍ، ورِيبَةٍ ، فهو مُرِيبٌ[1]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبِۭ﴾[2] أي ذا ريب.

- المسألة (١٤) الاحتجاج بالسَّماع في هذه المسألة عن معرفة (رؤبة بن العجاج) وغرضه بيان أنَّ معنى "تيّه فعل تجري مجرى" قطّع "وكسّر" في أنَّهما لتكرير الفعل، فمن هنا حُمل على "فعّل"، يدل على أن "تيه فَعّلَ، دون فَيْعَلَ"، ولو كان "تَيَّهَ: فَيْعَلَ" من الواو، لوجب أنْ يقال فيه إذا بني للمفعول "تُوِّهِ" كما يقال: "قُوْوِمِ زيد وقُوْوِلِ". ذهب أبو عثمان إلى أنَّ "تيه وطيح" من الياء، فالأظهر أن يكون "طاح يطيح، وتاه يتيه" من الياء[3].

ج- الجانب الصوتي

تمثل هذا الجانب:

- المسألة (٢) الاحتجاج بالسَّماع في هذه المسألة عن معرفة (وهو أبو النَّجم) وغرضه بيان أنَّ (لغنا) لغة في (لعلنا) تم فيها إبدال العين غيناً، وقال علماء اللغة: لعنك، ورعنك، ولغنك، كل ذلك على البدل، فقد أراد أبو النجم في لغنا لعلنا[4]، وقال العلماء

---

(١) يُنظر: تاج العروس مادة (ريب)، ولسان العرب مادة (ريب)، المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيدا، علي بن إسماعيل، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٠م، ١٠ /٣٠٨.

(٢) سورة سبأ، آية (٥٤).

(٣) المنصف، ص٢٦٢.

(٤) يُنظر: إيضاح شواهد الإيضاح ١٤٧/١.

في لعل إنُّها مركبة من عل واللام الزائدة وقيل من لام الابتداء وفيها لغات أُخر عدتها ثلاث عشرة لغة عل بحذف اللام قال: (لا تُهينَ الفقيرَ علَّك أن تَرْكَعَ يومًا...) ولعنَّ بإبدال اللام نونًا قال: (أَخُوك ولا تَدْرِي لعنَّك سَائِلُهْ...) [1] إلى آخره من هذه اللغات في لعلَّ.

د- الجانب المعجمي والدلالي:

تمثل هذا الجانب عدة مسائل وهي:

- **المسألة** (١) الاحتجاج بالسَّماع في المسألة عن معرفة (ذي الرمة) جاء لتفسير كلمة غثنا، وهي هنا بمعنى العشب لأنَّ الأعراب تسَّمي الشيء باسم مسببه قال صاحب المصباح المنير "وسمي النبات غيثا تسمية باسم السبب، ويقال رعينا الغيث"[2].
- **المسألة** (٤) الاحتجاج بالسَّماع في المسألة عن معرفة (ذي الرُّمَّة) جاء لتفسير كلمة البيتن وتعني المقلوب[3].
- **المسألة** (٦) الاحتجاج بالسَّماع في المسألة عن معرفة (ذي الرُّمَّة) جاء لتفسير كلمة النضناض، وتعني تحريك الحية لسانها وقيل هي المُصَوِّتَةُ وقيل هي التي تقتلُ إذا نَهشَتْ من ساعتها وقيل هي التي لا تَستَقِرُّ في مكان[4].

---

[1] **همع الهوامع شرح جمع الجوامع**، السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، تحقيق: د.عبد الحميد الهنداوي، المكتبة الوقفية، مصر، ١ /٤٨٩.

[2] **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان، ٢/٤٥٨.

[3] **الزاهر في معاني كلمات الناس** ١ /١٢١.

[4] **الصحاح في اللغة** مادة (نضنض)، **لسان العرب** مادة (نضض)

- المسألة (٧) الاحتجاج بالسّماع في هذه المسألة عن نكرة جاء لتفسير كلمة الفقــه، أي الفهم والفطنة[١]، وفي الحديث: "من أراد الله به خيراً فقّهه في الدين وألهمه رشده"[٢]، وقال عمر بن الخطاب لجرير بن عبد الله: "كنت سيداً في الجاهلية وفقيهاً في الإسلام، وما كنت فقيهاً، ولقد فقِهْتُ فَقاهَةً"[٣]، وفقِه الشيءَ علِمَه، وفقَّهَه وأفْقَهَه، علَّمه وأفْقَهْتُــه أنا؛ أي بَيَّنْتُ له تَعَلُّم الفِقْه، وفَقِهَ عنه بالكسر فَهِمَ ويقال فَقِهَ فلانٌ عني ما بَيَّنْتُ له يَفْقَه فِقْهاً إذا فَهِمَه، قال الأزهري: قال لي رجل من كلاب: وهو يَصِف لي شيئاً فلما فــرغ من كلامه قال أَفَقِهْتَ ؟ يريد أَفَهِمْتَ[٤]، وفي حديثِ سلْمَان: إنَّــه نَــزَلَ علـــى نَبَطِيَّـــةٍ بالعِرَاقِ، فَقَالَ: هل هنا مكانٌ نَظِيفٌ أُصَلِّي فيه ؟ فقَالت: طَهِّرْ قَلْبَكَ وَصَلِّ حَيْثُ شِئْتَ، فَقَالَ سلْمَانُ: فَقِهَتْ أيْ فَطِنَتْ وَفَهِمتْ[٥].

- المسألة (٩) الاحتجاج بالسّماع في هذه المسألة عن نكرة جاء لتفسير عبارة كذب عليك البزر، حيث قال الأصمعي: "تقول العرب هذه الكلمة إذا أراد أحدهم الشيء قال: كذب عليك كذا: يُريد عليك بكذا"[٦] وقال الأزهري: "تقول للرَّجلِ إذا أمرتَهُ بالشَّيءْ وأغْرَيته: كَذَبَ عليكَ كَذَا وكذا أي عليكَ به ، وهي كَلمةٌ نادِرَةٌ"[٧]، والعرب تقول للمريض كذب عليك العسلُ بالرفع أي عليك به[٨].

---

(١) أساس البلاغة، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٨م، ٣٢/٢.

(٢) المدخل إلى السنن الكبرى، البيهقي، أحمد بن الحسين الخراساني، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، باب فضل العلم، ص٢٥٤.

(٣) يُنظر: أساس البلاغة ٢ /٣٢.

(٤) يُنظر: لسان العرب مادة (فقه).

(٥) يُنظر: تاج العروس مادة (فقه).

(٦) المزهر، ٣٠١/١.

(٧) تهذيب اللغة ١٠٠/١٠.

(٨) شرح نهج البلاغة، أبو حامد، عبدالحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، ١٢٨/١٢.

- المسألة (١٠) الاحتجاج بالسَّماع في المسألة عن معرفة (ذي الرمة) جاء لبيان أنَّ كلمة يابس وبائس تؤديان نفس المعنى فقوله يابس الشخت، والشخت هو ما دَقَّ من الحطب[١]، وقيل إنَّ الشخت هو الدقيق من كل شيء[٢]، لذلك اليابس من الحطب والبائس من الحطب نفس المعنى، وقال أبو بكر محمد بن الحسن عن أبي العباس أحمد ابن يحيى قال: أنشدني ابن الأعرابي:

وَمَوْضِعِ زَبْنٍ لا أُرِيدُ مَبِيتَه كأنّي به مِن شدَّةِ الرَّوْعِ آنِسُ

فقال له شيخ من أصحابه: ليس هكذا أنشدتنا إنما أنشدتنا: وموضع ضيق، فقال: سبحان الله! تصحبنا منذ كذا وكذا ولا تعلم أنَّ الزبن والضيق واحد[٣].

- المسألة (١١) الاحتجاج بالسَّماع في هذه المسألة عن معرفة وهو(جبر بن حبيب) جاء لبيان أنَّ الهبع هو ما نتج من أولاد الإبل في الصيف، والربع ما نتج من أولادها في الربيع[٤].

- المسألة (١٢) الاحتجاج بالسَّماع في هذه المسألة عن نكرة جاء لتفسير حِفَادٍ وهو طريقة مشي القدمين [٥]. وقيل الحاء والفاء والدال أصلٌ يدلُّ على الخِفَّة في العمل، والتجمُّع، فالحفَدة: الأعوان؛ لأنَّه يجتمع فيهم التجمّع والتخفُّف، واحدُهم حافد، والسُّرْعة إلى الطاعة حَفْدٌ، ولذلك يقال في دعاء القنوت: "إليك نسعى ونَحْفِدُ"[٦].

---

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس ٣١٦/٢.

(٢) تهذيب اللغة ٧ ٣٨.

(٣) الخصائص ٤٦٧/٢.

(٤) ديوان الأدب ٢٥٤/١.

(٥) كتاب الإبل، ص ١٣٩.

(٦) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن زكريا أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط١، ١٩٧٩م، مادة (حفد).

- المسألةُ (١٣) الاحتجاج بالسَّماع في هذه المسألة عن نكرة جاء لتفسير الداءُ: اسمٌ كُلِّ مَرَضٍ ظاهرٍ؛ حتَّى الحُمْقُ داءٌ، ورَجُلٌ داءٌ وامْرأةٌ داءَةٌ: ذَوَا داءٍ[١]. ويُقالُ: دَوِيَ الرجلُ يَدْوَى دَوىً، إذا كانَ به مرضٌ باطِنٌ. فأمَّا الداءُ مهموز فاسمٌ لكلِّ مرضٍ ظاهرٍ وباطِنٍ[٢].

وقفات في السَّماع عند عيسى بن عمر الثقفي

سلك العلماء مسلكا دقيقا في جمع اللغة، ومن أسس هذا المسلك عدم الأخذ عن أهل الحضر، حيث قال الفارابي: "لم يؤخذ عن حضري قط"[٣] أو من جاور الحضر وذلك لأن المدن والقرى مجالاً للاتصال بالأمم الأخرى ومناطق احتكاك لغوي، خشي العلماء من اعتماد على أهل الحضر في أخذ اللغة[٤]، فمخالطة الحضر لغيرهم من الأمم يؤدي إلى فساد ألسنتهم، وسَعَوا إلى الأخْذِ عن أهل البداوة الموغلين في بداوتهم بعيدا عن أهل الحضر، فقد بقيت لغتهم سليمة صافية يبلور سلامتها وصفاءها خاصية الإعراب، فالإعراب في المعنى مقابل للحن، حيث قال الفراء: "طباع أهل البدو الإعراب، وطباع أهل الحضر اللحن"[٥] ويَعْتَبِرُ النُّحاة الإعراب فرعًا، به تتمُّ سلامة اللسان لأصل يفسر علل هذه السلامة وهو النَّحو.

وإذا أردنا في هذه الدِّراسة أنْ نطبق هذا المسلك الذي سلكه العلماء في تقعيدهم للغة على المسائل السَّماعيَّة المباشرة عند عيسى بن عمر فإنَّنا لا نستطيع أنْ نطبق ذلك كله على أغلب

---

(١) المحيط في اللغة، عباد، إسماعيل، تحقيق: الشيخ محمد حسين آل ياسين، مطبعة دار المعارف، بغداد – العراق، ط١، ١٩٧٥م، ٢/٣٦٦.

(٢) إصلاح غلط المحدثين، ص ٦٦.

(٣) المزهر ١ /١٦٧.

(٤) يُنظر: عصور الاحتجاج في النحو العربي، عُبادة، محمد، دار المعارف، ١٩٨٠م، ١/٢٣٦.

(٥) وفيات الأعيان ٦ /١٧٧.

هذه المسائل وذلك بسبب غياب عنصري الزمان والمكان في هذه المسائل، كما لا نستطيع أن نعرف مدى التزام عيسى بن عمر في الأخذ عن القبائل المعتمدة في التقعيد اللُّغوي، وبعده عن القبائل التي نهى العلماء في الأخذ عنها.

أمّا فيما يخص الأعراب الذين سمع عنهم عيسى بن عمر وذكر أسماءهم صراحة فإنّ هؤلاء الأعراب هم ذو الرُّمَّة، وابن همام السلولي، وأبو النجم، وجبر بن حبيب، ورؤبة بن العجاج. وأكثر ما سمع عيسى من بين هؤلاء الأعراب عن ذي الرمة، ويبدو أنّ ثمّة علاقة وطيدة بين عيسى وذي الرُّمَّة فقد كان عيسى بن عمر يستودع أسراره عند ذي الرُّمَّة، قال عيسى بن عمر الثقفي: "أتيت ذا الرُّمَّة فذكرت شيئًا، فقال: وما عليك إنا والله نأخذ ولا نعطي"[1]، فقد احتج عيسى بن عمر بكلام ذي الرمة في التقعيد اللُّغوي مع أنّ ذا الرُّمَّة كما بيّنت الدِّراسة سابقًا كان كثيرَ التردُّدِ على الحاضرة (البصرة)، فقد قال عنه الأصمعي: "طالما أكل المالح، والبقل في حوانيت البقَّالين"[2]، وذلك كناية عن طول مُكْثِهِ في الحاضرة، وهذا يؤدي إلى توهين لغته، فليونة اللسان وضعف اللغة بسبب الاختلاط بأهل الحاضرة وطول البقاء فيها[3]. يضاف إلى ذلك معرفته القراءة والكتابة فقد روى أبو عمرو بن العلاء: "إنَّه رأى ذا الرُّمَّة في دكّان طحّان بالبصرة يكتب، قال: فقلت: ما هذا يا ذا الرُّمَّة! فقال: اكتم عليَّ يا أبا عمرو[4]، قال عيسى بن عمر: قال لي ذو الرُّمَّة: "ارفع هذا الحرف، فقلت له: أتكتب؟ فقال بيده على فيه، أي: اكتم عليّ: فإنَّه عندنا عيب!"[5]، وقال عيسى بن عمر الثقفي: "أملى عليَّ ذو الرُّمَّة شعراً فبينما

---

(1) جمل من أنساب الأشراف، البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط1، 1996م، 11/287.

(2) المزهر 2 /232.

(3) الرواية والاستشهاد باللغة، ص172.

(4) الخصائص 3 /298.

(5) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، دار الحديث، القاهرة – مصر، 2002م، 1/516.

أنا أكتبه إذ قال لي: أصلحْ حرف كذا وكذا فقلت له: أنَّك لا تَخُطُّ قال: أجَلْ قَدِمَ علينا عراقيٌّ لكم فعلّم صبياننا، فكنت أخرج معه في ليالي القمر، فكان يخط لي في الرمل فتعلّمْتَهُ"[1] وعدّه ابن سلام الجمحي في الطبقة الثانية من الشعراء الإسلاميين[2]، كل هذه الصفات التي توافرت في ذي الرُمَّة مدعاة إلى عدم الأخذ عنه في التقعيد اللُّغوي.

أمَّا الشعراء الآخرون الذين سمع عنهم عيسى بن عمر فإنَّهم شعراء ورجّاز إسلاميون ومن هؤلاء الشعراء من هو من أهل الكوفة وهو عبدالله بن همام السلولي[3]. فهل يجوز الأخذ عن أهل الكوفة في التقعيد اللُّغوي وهي حاضرة؟ حيث الشاعر الحضري يستكره اللغة ويُنقحها فتأتي كلها جيدة وهو بذلك يفتقد البداهة التي تدل على الفطرة اللغوية[4]. وأمَّا أبو النَّجم العجلي فهو راجز أمويٌّ إسلاميٌّ يعرف القراءة والكتابة[5] وجبر ابن حبيب عالم باللُّغة أخذ عنه أهل البصرة[6]، ورؤبة بن العجاج فهو من أعراب البصرة[7]، كل هؤلاء الأعراب يملكون من الصفات التي تدعو إلى عدم الأخذ عنهم في التقعيد اللُّغوي وأكثر ما يؤخذ على هؤلاء الشعراء والرجاز والأعراب أقامتهم في المدينة ومعرفتهم القراءة والكتابة، فقد كان العلماء الرُّواة يرون أنَّ معرفة الشاعر الكتابة عيب ينتقص من شاعريته، وذلك أنَّ معرفة الكتابة أمر طارئ على العرب، وهو من أمور المدنية التي كانت تفسد الأعراب وسلائقهم اللُّغويَّة الفطرية، فكانوا يشكون في كلِّ أعرابيٍّ يتصل بالمدينة ويكتسب من مظاهر حضارتها، وهذا الحكم الذي فرضوه

---

(1) المزهر ٢٩٩/٢.

(2) طبقات فحول الشعراء ص٢٤٨ وما بعدها.

(3) يُنظر: نور القبس ٢٥٩/٢٣.

(4) الرواية والاستشهاد باللغة، ص١٧٣.

(5) يُنظر: مصادر الشعر الجاهلي، ص١٧٧.

(6) يُنظر: الاشتقاق، ص ٢٥٩.

(7) يُنظر: سير أعلام النبلاء ١٦٢/٦.

على الأعراب سحبوه أيضًا على الشُّعراء[1]. قال الآمدي في الموازنة: إنَّ اللَّحن لم يسلم منه أحد من الشعراء الإسلاميين والمُحْدَثين[2]، وقد كان العلماء يطعنون في فصاحة عدد من الشعراء الداخلين في النطاق الزماني للاحتجاج ؛ معللين هذا الطعن بحضريتهم[3].

أمَّا بالنسبة لخروج عيسى بن عمر إلى البادية للسَّماع عن الأعراب، فلم تعثر الدِّراسة فيما رجعت إليه من مظانَّ على خبر صريح يخبر القارئ بخروج عيسى بن عمر إلى البادية للسَّماع عن الأعراب، وهذا إنْ دل على شيء فإنَّما يدل على أنَّ السَّماع المباشر عند عيسى بن عمر منحصر في البصرة (الحاضرة)، والبصرة حاضرة لا تصلح للسَّماع، فإذا كانت بوادي البصرة، وما جاورها لا تصلح للسَّماع، فلا يؤخذ عن أهلها باعتبار ديمومة اختلاطهم بأهل الحاضرة (البصرة)، فكيف نقول بالأعراب الذين أقاموا في الحاضرة نفسها (البصرة) هل يجوز السَّماع عن هؤلاء في العرف اللُّغوي عند العلماء؟ الذين بينوا أثر الحاضرة في ليونة لغة أهلها، وقبولهم للتأثر، والتَّغيُّر.

السَّماع اللُّغوي المباشر عند عيسى بن عمر قليل جدا إذا ما قورن بغزارة علمه في اللغة والنحو والقراءات، ومما يدلُّ على ذلك المسائل السَّماعيَّة المباشرة القليلة التي توصلت إليها الدِّراسة فيما رجعت إليه من مظانّ، ومن الأدلة أيضا على أنَّ السَّماع المباشر قليل عند عيسى بن عمر المسألة المشهورة التي دارت بينه وبين أبي عمرو بن العلاء (ما الطيب إلا المسك) حيث أنكر عيسى بن عمر على أبي عمرو بن العلاء الرفع في (المسك)، فقال له أبو عمرو: نِمْتَ وأَدْلَجَ النَّاسُ ليس في الأرض حجازيٌّ إلا وهو ينصب، ولا تميميٌّ إلا وهو يرفع، وكان من

---

(1) يُنظر: مصادر الشعر الجاهلي، ص١١٧-١١٨.

(2) يُنظر: الموازنة بين أبي تمام والبحتري، الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٩٤م، ٢٩/١.

(3) يُنظر: الاحتجاج بالشعر باللغة، جبل، محمد حسن حسين، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر، ص٨٢.

الأعراب الذين يقيمون في البصرة وهو من أهل تميم ويرفعون كلمة المسك المنتجع وقد سمع عنه أبو عمرو بن العلاء، ولكن عيسى بن عمر لم يسمع عنه مع أنَّه مقيم في البصرة، والسماع المباشر عند عيسى بن عمر على الأغلب فيما رجعت إليه الدِّراسة من مظانٍّ حصل في البصرة، ومع ذلك لم يسمع عيسى بن عمر عن المنتجع، وهذا يدل دلالة أكيدة أنَّ السَّماع المباشر عند عيسى بن عمر كان قليلا.

ولعل مرد قلة السَّماع المباشر عنده إنَّه كان يطعن على العرب ولا يتحرج من تخطئتهم، فقد "كان ابن أبي إسحاق الحضرمي وتلميذه عيسى بن عمر أشدَّ ميلًا للقياس، وكانا لا يأبهان بالشواذ، وكانا لا يتحرجان من تخطئة العرب"[1]. يقول تمام حسان في كتابه الأصول: "وُرِثَ عن عيسى بن عمر الطعن على العرب؛ معتدا بما لديه من القواعد"[2]، وكان عيسى بن عمر من العلماء الذين عوّلوا على القياس[3]، ومن الأمثلة التي تدلُّ على تعويله على القياس ما ذكره سيبويه في الكتاب: "وكان عيسى بن عمر يقول يا مطرًا، يشبّه بقوله يا رجلاً، يجعله إذا نُوّن وطال كالنَّكرة، ولم نسمع عربيًا يقوله، وله وجه من القياس إذا نُوّن وطال كالنَّكرة"[4]. وهذا يدل أنَّ عيسى بن عمر كان يعتمد على القياس، فسيبويه يقول إنَّ هذا لم يُسْمَعْ عن العرب، ولكن له وجه في القياس، ويري الحلواني أنَّ لعيسى بن عمر نظرة قياسيَّة في النُّصوص اللُّغويَّة حيث قال: "إنَّ عيسى بن عمر كان صاحب نظرة قياسية بالنسبة للنصوص اللُّغويَّة، وليس هذا حسب، بل أفاد –كأستاذه الحضرمي– من مناهج الفقهاء في عصره، ذلك أنَّه عاصر أبا حنيفة، صاحب

---

(1) **مصادر الشعر الجاهلي**، ص٤٣٦.

(2) **الأصول**، حسان، تمام، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٣٤.

(3) يُنظر: **النحاة والقياس**، ص ٣٤٢.

(4) يُنظر: **الكتاب**، لسيبويه، أبي بشر عمرو بن عثمان، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م، ٢/٢١٢.

مذهب الرأي والتأويل، واستخدام القياس والجدل في فقهه وفتاواه، كما أنَّ المناخ الفكريَّ في البصرة يتيح لأمثال عيسى بن عمر أنْ يفيد منه، لما كان يعج بالصراع الديني بين دعاة الفرق الإسلامية من أبرزها: المعتزلة[1]، وأهل سنة"[2].

ومن الأمثلة التي خالف فيها عيسى بن عمر إجماع النُحاة إنَّه كان يرفع الاسم في مثل: ادخلوا الأولَ فالأولَ. قال سيبويه: "وكان عيسى بن عمر يقول: ادخلوا الأولُ فالأولُ، لأنَّ معناه: ليدخل، فحمله على المعنى"[3]، على حين ينصبه النحاة بتأويل: ادخلوا مرتين، أو ادخلوا واحدا بعد واحد، ولا يجيزون الرفع على اعتبار إنَّها حال جامدة مؤولة بمشتق مع ما يليها.

نظرة عامة في السَّماع اللُغوي عند عيسى بن عمر:

بعد هذا العرض عن السَّماع اللُغوي عند عيسى بن عمر أمكن الخروج بما يلي:

- يتحدد السَّماع اللُغوي المباشر عند عيسى بن عمر (٧٠-٧٥) سنة، وهذه مسألة تقديرية نظرًا لعدم توصلنا إلى معرفة تاريخ ولادته.
- لم تتوصل الدِّراسة إلى خبر صريح يبين للقارئ سفر عيسى بن عمر إلى البادية للسَّماع عن الأعراب.

---

[1] المعتزلة فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي، وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة. وقد أُطلِقَ عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة والقدرية والعدلية وأهل العدل والتوحيد والمقتصدة والوعيدية، ومن أشهر شيوخها واصل بن عطاء، القاضي عبد الجبار الهمذاني.

[2] يُنظر: المفصل في تاريخ النَّحو العربي قبل سيبويه ١/١٦٦.

[3] الكتاب ١/٣٩٨.

- لم تعثر الدّراسة فيما رجعت إليه من مظانّ إلا على أربع عشرة مسألة سماعية مباشــرة، وهذه المسائل موزعة في بطون الكتب، لأنَّ مؤلفات عيسى بن عمر لم تصلنا، وهذا العدد القليل من المسائل السّماعيّة يؤكد قلة السّماع المباشر عند عيسى بن عمر.
- اقتصار السّماع المباشر عند عيسى بن عمر على أعراب الحاضرة.
- سماع عيسى بن عمر اقتصر على الشعراء والرُّجاز الإسلاميين من الكوفـــة والبــصرة وممن جَاورهما.
- المسائل السّماعيّة التي استشهد فيها عيسى بن عمر معظمها يدخل في الجانب المعجمي.

الفصل الثاني

السّماع اللُّغوي عند أبي عمرو بن العلاء

أولاً: أبو عمرو بن العلاء:

اسمه ونسبه:

اختلفت الرّوايات في تحديد اسم أبي عمرو بن العلاء، فقد قيل في اسمه زبَّان، وهو أشهرها، وقيل العُريَانُ، ورَبَّانُ، وقيل إنَّ اسمه أبو عمرو، وَجَبْرُ، وعُتَيْبَةُ، وعُقْبَةُ، وعَمَّارُ، وَعيَّار، ومُحَمَّدٌ، ورَيَّانُ، وَحمّادُ .....، أبو عمرو بن العلاء بن عمَّار بن العُريَان بن عبد الله بن الحُصَيْن بن الحارث بن جَلْهم بن عمرو بن خُزَاعِيٍّ، التميميُّ المازنيُّ، البصريُّ، ولد أبو عمرو سنة سبعين للهجرة بمكة، وقيل سنة ثمان وستين للهجرة، وقيل خمس وستين للهجرة، وسكن البصرة، ونشأ فيها، وتوفي بالكوفة سنة (١٥٤هـ) على الأرجح، وقيل (١٥٥هـ)، وقيل (١٥٩هـ)[1].

شيوخه:

ممّا لا شكَّ فيه أنَّ أبا عمرو بن العلاء من أكثر القراء شيوخاً، فقد تتلمذ على شيوخ مكة، والمدينة والبصرة والكوفة[2]. وأخذ أبو عمرو بن العلاء عن مجموعة من العلماء الذين كان لهم الأثر الراسخ في العربيَّة، واليد الطولى في علومها، وحسبنا أن نذكر منهم:

---

[1] تنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، ٤٠٧/٦، ومراتب النحويين، ص١٤، ومعرفة القراء الكبار، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، تحقيق: بشار عواد معروف وشعيب أرناؤوط وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م، ١٠٠/١، وبغية الوعاة ٢٣١/٢، وفوات الوفيات، الكتبي، محمد شاكر، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت. ٢٨/٢، والمزهر ٣٥٨/٢، وتهذيب التهذيب ١٦٠/١٢، ومعجم الأدباء ٣٤٧/٣.

[2] السَّماع اللُّغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، صالح، عبد الرحمن، جامعة اليرموك، رسالة ماجستير، ٢٠٠٧م، ص٣٣٧.

- نَصْرُ بنُ عَاصِمِ اللَّيْثِيُّ (٩٠هـ)[١].

- يَحْيى بنُ يَعْمَر (١٢٩هـ):

يُعدُّ عالمًا بالعربية، والحديث، والفقه، والقراءة، وروى عن ابن عباس وابن عمر – رحمهما الله–، وأخذ النَّحو عن أبي الأسود الدؤلي، وكان يستعمل الغريب في كلامه[٢].

- عبدُ اللهِ بنُ أبي إسْحاقَ (١١٧هـ)[٣].

- الحَسَنُ بنُ أبي الحَسَنِ البَصْرِيُّ (١١٠هـ):

ولد أواخر خلافة عمر بن الخطاب، يُعدُّ عالمًا جامعًا فقيهًا حجة ناسكًا كثير العلم، وكان سريع الحفظ، قال عنه أنس بن مالك ما رأيت أحدًا أشبه رأيًا بعمر بن الخطاب منه[٤].

تلامذته:

من بين النجوم الزاهرة التي ملأت سماء البصرة، يزهو نجم أبي عمرو بن العلاء، ذلك العالم الذي تلألأت أنوار علمه لتضيء دروب العلم والمعرفة، فقد كان عالمًا متميزًا في علوم العربيَّة المختلفة، حيث توافد عليه طلاب العلم ينهلون من هذا النبع، وكانت حلقاته تَغُصُّ بطلاب العلم، وذات يوم مرَّ الحسن البصري به، وحلقته متوافرة، والناس عُكوف. "فقال: من هذا؟ فقالوا: أبو عمرو، قال: لا إله إلا الله، كاد العلماء أنْ يكونوا أربابًا!" [٥]، وهذا يَدلُّ على علو مكانة أبي عمرو العلمية، وارتفاع شأنه في العلم، ممَّا دفع تلامذته للتزاحم في مجلسه من أجل

---

(١) سبق التعريف به في الخليل من هذه الدّراسة، يُنظر: ص٣٦.

(٢) معجم الأدباء ٦/٢٨٣٦، وطبقات الزبيدي، ص٢٧-٢٨.

(٣) سبق التعريف به في فصل عيسى بن عمر مبحث شيوخه.

(٤) مراتب النحويين، ص١٢، والسابق، ص٢٩.

(٥) نور القبس، ٢٣/٢٥-٢٦.

أخذ العلم عنه سماعًا، ومشافهةً، وكتابةً في علوم العربيّة جميعها، وحسبنا أن نذكر من هـؤلاء العلماء:

- الخَليلُ بنُ أحمد الفَراهيدِيُّ (ت ١٧٥هـ)، سِيبَويهِ (ت ١٨٥هـ) (١).
- **يُونُسُ بنُ حبيبٍ الضَّبِّيُّ (ت ١٨٢هـ):**

يُونُسُ بنُ حَبِيبٍ الضَّبِّيُّ أبو عبد الرحمن، بارع في النّحو، من أصحاب أبي عمـرو بـن العلاء، سمع عن العرب، وروى عن سيبويه فأكثر، وله قياس في النّحو، ومذاهب يتفـرد بها. سمع منه الكسائي والفراء، وكانت له حلقة بالبصرة ينتابها أهل العلم وطـلاب الأدب وفصحاء الأعراب والبادية، قارب يونس تسعين سنة، ولم يتزوج ولد سنة تسعين للهجـرة ومات سنة ثنتين وثمانين ومئة للهجرة(٢).

- أبو مُحَمّد اليزيديُّ (ت ٢٠٢هـ) (٣).
- **الأَصْمَعيُّ (ت ٢١٧هـ):**

الإمام، العلامة، الحافظ، حجة الأدب، ولسان العرب، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الأصمعيُّ، البصريُّ، اللُّغوي، الإخباري، أحد الأعلام، وكان أوثق النّاس في اللغة، وأسرع النّاس جوابًا، وأحضر النّاس ذهنًا(٤).

- **أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (٢٠٩هـ):**

الإمام العلاّمة، البحر، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيميُّ، البـصريُّ، النحـويُّ، صـاحب التصانيف ولد سنة عشر ومئة، في الليلة التي توفي فيها الحسن البصري، كان عالمًا بأيـام العرب وعلومهم(٥).

---

(١) سبق التعريف بهما في فصل عيسى بن عمر مبحث تلامذته. من هذه الدّراسة.

(٢) بغية الوعاة ٢/٣٦٥.

(٣) تُنظر: ترجمته في فصل عيسى بن عمر مبحث الأعرابي.

(٤) السابق ١٠/١٧٧، والطبقات، ص١٦٩.

(٥) مراتب النحويين، ص٤٤، وسير أعلام النبلاء ٩/٤٤٥.

صفاتـه:

كان أبو عمرو بن العلاء زاهدًا، ورعًا تقيًا، فقد كان إذا دخل رمضان لا ينشد بيتًا من الشّعر حتى ينقضي[١]، وكان حكيمًا، سأله ابن مناذر: حتى متى يحسن بالمرء أنْ يتعلمَ قال: ما دامت الحياة تُحْسِنُ به[٢]، وكان رجلاً مضيافًا يحب إكرام الضيف، فكان يقول: "عاجل الأضياف بالحاضر؛ فإنّ الضيف متعلّق القلب بالسرعة"[٣]. وكان يقول الحقّ، ولا يخاف في الله لومة لائم، فقد دخل على سليمان بن علي، فسأله عن شيء، فصدقه، فلم يعجب ذلك سليمانُ، فخرج أبو عمرو متعجّبًا من كساد الصادق عندهم، ونفاق الكذب فقال[٤]:

أَنِفْتُ مِنَ الذُّلِّ عِنْدَ المُلُوكِ ... وإِنْ أَكْرَمُونِي وإِنْ قَرَّبُوا
إذا مَا صَدَقْتَهُم خِفْتَهُم ... وَيَرْضَوْنَ مِنِّي بِأَنْ يُكْذَبُوا

وهذه الأبيات تدل على رفض أبي عمرو بن العلاء للنفاق، والكذب من أجل إرضاء الملوك ويستغرب من الذين يفعلون ذلك إرضاء للملوك، وكان أبو عمرو بن العلاء مثالاً للصدق، فقد قال ما زدت في شعر العرب قطّ إلا بيتًا واحدًا، واعترف أنّه للأعشى، وهو:

وَأَنْكَرَتْنِي وَمَا كانَ الَّذي نَكِرتْ ... مِنَ الحَوَادِثِ إلاَّ الشَّيْبَ والصَّلَعَا[٥]

وكان متواضعًا، فلم يكن يتفاخر بكثرة علمه، ومن ذلك ما رواه عنه الأصمعي: إنّما نحن في من مضى كبقل في أصول نخل طوال[٦]، وكان يتواضع لِمَنْ هو أعلم منه، ويعترف بذلك،

---

(١) مرآة الجنان، اليافعي، عبد الله بن أسعد، وضع حواشيه إبراهيم منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ٢٥٤/١.

(٢) وفيات الأعيان ٤٦٨/٣.

(٣) نور القبس ٢٧/٢٣-٢٨.

(٤) السابق ٣٠/٢٣، وإنباه الرُواة، ٣٢/٣، ووفيات الأعيان ٤٦٨/٣.

(٥) ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، شرح وتعليق محمد محمد حسين، دار النهضة العربيّة، بيروت، ١٩٧٤م، ص١٥١.

(٦) معرفة القراء الكبار ١٠٤/١.

فقد روي أنَّه اعترف بأنَّ ابن أبي إسحاق أعلم منه في الهمز، فقال: ما ناظرني أحَدٌ إلا غلبته وقطعته، إلا ابن أبي إسحاق، فإنَّه ناظرني في مجلس بلال بن أبي بردة في الهمز، فقطعني، فجعلت إقبالي على الهمز حتى ما كنت دونه(1). وهذا يَدلُّ على حِرْصِهِ على الاستزادة من العلم. وكان يتصدق من ماله كل يوم، فقد روى عنه الأصمعي قال: "كان لأبي عمرو كل يوم يشتري كوزًا وريحان بفلسين، فإذا أمسى، تصدق بالكوز..." (2).

أسرته وبيئته وعلمه:

تحسن الإشارة هنا إلى أنَّ أبا عمرو قد تأثَّر تأثرًا ملحوظًا بأسرته، فقد نشأ في أسرة مهتمة بالعلم، وهي ذات نشأة ثقافيَّة طيِّبة، وعلى مستوى علميٍّ عالٍ، فأبوه كان من الرُّواة الذين رَوَوا عن الصحابة، فقد قيل إنّ أبا عمرو روى عن أبيه عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ لِكُلِّ داخِلٍ دَهْشَةً فَأَلقُوهُ بالتَّحِيَّةِ"(3)، وكان لأبي عمرو بن العلاء إخوة يهتمون بالعلم منهم سفيان ابن العلاء، فقد كان عالمًا نحويًا، ونسَّابًا(4)، وأمَّا ابنه معاوية فقد كان يجالس العلماء، ويروي الشعر في مراسة، ونبل، ومن الجدير بالذِّكر أنَّه تأثر بأبيه أشد تأثُّر وذلك من خلال مجالسة العلماء ومحاورتهم، وتحليل الأشعار، ونقدها فقد قال ابن سلام الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء قال: قال لي معاوية بن أبي عمرو بن العلاء: أي البيتين عندك أجود؟ قول جرير:

أَلَسْتُمْ خَيرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا ... وَأَنْدَى العَالَمِيْنَ بُطُونَ رَاحِ(5)

---

(1) مجالس العلماء 1/185.

(2) سير أعلام النبلاء 6/410.

(3) نور القبس 36/23. والنص الموجود في كتب الأحاديث هو "للداخل دهشة فتلقوه بالمرحبا" وروي أن ابن عباس قال: "لكل داخل برقة ...." ويعني ببرقة دهشة، يُنظر: الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث، العامري، أحمد عبد الكريم الغزي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، د.ت، ص180. وغريب الحديث، الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، 1981، 2/467

(4) طبقات الزبيدي، ص40.

(5) ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، 1986م، ص77.

أم قول الأخطل:

شَمْسُ العَدَاوَةِ حَتَّى يُـستَقَادَ لَهُـم وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلامًا إِذَا قَدْ رَأَوا[1]

فقلت: بيت جرير أحلى، وأسير وبيت الأخطل أجزل وأرزن، فقال صدقت، وهكذا كانا في أنفسهما عند الخاصة، والعامة[2]. وقد نَعَت السُّيوطي أبا عمرو بن العلاء بأبي العلماء، وكهفهم، ويد الرُّواة، وسيفهم[3].

يمكن لنا القول أنَّ للبيئة التي نشأ فيها أبو عمرو دورًا رئيسًا في غزارة علمـــه، وصـــقل شخصيته المعرفية، فقد ولد بمكة المكان الذي بزغ فيه نور الإسلام، ونزل فيه القـــرآن الكـــريم المُعْجِز، وبعد أنْ ترعرع في ربوع مكة التي تتمتع بأهمية كبيرة قبل الإسلام، وبعده، وتزود من ثقافتها، وارتوى من معين العربيَّة الذي لا ينضب منذ الطفولة، وفي أسرة ذات أصالة عريقـــة، ولها مكانتها العلمية؛ فقد عنيت بالقرآن الكريم، والحديث النبوي، واللغة العربيَّة عامـــة، وكـــان اهتمام أبي عمرو بن العلاء بالعلم منذ الصغر، فقد قال: "أَخَذْتُ في طَلَبِ العِلْمِ قبلَ أنْ أُخْتَنَ"[4]، وهذا دليل على أنَّه صاحب نفس توَّاقة للعلم منذ صغره، وقد كان محط اهتمام العلماء؛ فقد روى أبو عمرو أنَّ سعيد بن جُبَيْر كان يهتم به، ويُرشده، فيقول أبو عمرو: "كان سعيد بن جبيـــر إذا رآني بمكة قاعداً مع الشباب ناداني: يا أبا عمرو قم عن هؤلاء، وعليك بالشيوخ"[5]، وكان قـــد قرأ القرآن الكريم على عبد الله بن كثير، وعبد الله على ابن مجاهد، وابن مجاهد على ابن عباس وابن عباس على أُبَي بن كعب، وأُبَي على النبي ﷺ[6]، وبعدها انتقل إلى البصرة موطن العقول

(1) ديوان الأخطل، ص٣٣٩.

(2) طبقات فحول الشعراء ٤٩٤/٢.

(3) المزهر ٣٥٥/٢.

(4) طبقات الزبيدي، ص٣٧.

(5) نور القبس ٢٦/٢٣.

(6) السابق ٢٦/٢٣.

العربيَّة، وقبلة طلاب العلم آنذاك، ومجالس الأدباء، ومنارة العلم، وفيها اشتد عوده، ومضى في مجالسة العلماء، وحرص كل الحرص على حضور حلقات العلم بشتى أنواعها الدينيَّة، والشعريَّة، والأدبيَّة، واللُغوية، وساعد انتقاله إلى البصرة بشكل كبير في اكتمال ثقافته، وعليه – فلا غرو– أنَّ يتخذ أبو عمرو البصرة موطناً له، حيث صار فيها شيخًا يلتف حوله طلاب العلم، روى أبو العيناء عن الأصمعي، قال لي أبو عمرو بن العلاء: لو تهيأ أنْ أفرغ ما في صدري من العلم في صدرك، لفعلت، ولقد حفظت في علم القرآن أشياء، لو كُتبت، ما قدر الأعمش على حملها[1].

ما أُثِرَ عن أبي عمرو بن العلاء:

لقد اهتم أبو عمرو بن العلاء بالكتابة، والتدوين اهتمامًا كبيرًا فقد علا كعبه في القراءة وأيام العرب والشعر وغيرها من علوم العربيَّة، حتى ملأ بيته إلى السقف، ثمَّ تنسك فأحرقها[2]، وقال أبو عبيدة: "فلما رجع إلى علمه الأول لم يكن عنده إلا ما حفظه بقلبه، وكانت عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية"[3]. لقد حَفِلَتْ كتب التراجم بهذا الخبر المتناقض في معناه؛ لأنَّه من الصعوبة الاقتناع بأنَّ التنسُك يقود الإنسان إلى حرق ثروة علمية ضخمة، وهذه الثروة بما فيها من علوم القراءة، والتفسير، وعلوم القرآن، وأخبار العرب، وأشعارهم، وعلوم العربيَّة لم تأت إلا بعد عناء كبير في طلب العلم، فليس من السهولة أنْ يتنازل أبو عمرو عن هذه الثروة الضخمة لمجرد إنَّه تَنَسَّك بل على العكس إنَّ التنسُكَ والعبادة يقودان الإنسان إلى طلب العلم والمعرفة والحرص على هذه الثروة العظيمة، والإنسان بطبيعة الحال كثير النسيان، لذا يلجأ

---

(1) سير أعلام النبلاء ٤٠٨/٦.

(2) يُنظر: السابق ٤٠٨/٦، ونور القبس ٢٥/٢٣.

(3) يُنظر: مرآة الجنان ٢٤٥/١، وشذرات الذهب ٢٤٩/٢.

عادة لما يدون في مطويّاته وكتبه ومؤلفاته إذا نسي شيئًا، فالاقتناع بهذا الخبر، والتسليم به من الصعوبة بمكان.

ويعلق عبد الله الاسطى على هذا الخبر بأنّه ربّما أعاد صياغة ما كتبه من أشعار وأخبار ولغة، وأحرق ما استغنى عنه، فاعتبر المؤلفون ذلك إحراقًا لجميع مؤلفاته[١].

وعلى الرُّغم من عدم وصول كتب أبي عمرو إلينا، إلا أنَّ المصادر أثبتت بعضًا من مؤلّفاته نذكر منها: كتاب النوادر[٢]، وكتاب الوقف والابتداء[٣]، وكتاب قراءة أبي عمرو رواية اليزيدي[٤]، وكتاب القراءات[٥]، وكتاب الإدغام الكبير[٦]، وكتاب الأمثال[٧]، ولكن هذه الكتب لم تصل إلينا.

نظرة العلماء إلى أبي عمرو بن العلاء:

لقد حظي أبو عمرو بن العلاء بمكانة مرموقة رفيعة لم ينلها إلا القليل من علماء عصره، وقد روي لنا الكثير من الأقوال التي تؤكد هذه المكانة المرموقة، فقد قال أبو عبيدة[٨]: "كان أبو عمرو أعلم النّاس بالقراءات، والعربيّة، والشعر، وأيام العرب، وكانت دفاتره ملء بيت إلى السقف، ثمّ تنسك، فأحرقها، وكان من أشراف العرب، ومدحه الفرزدق، وغيره، وقال يحيى بن

---

(١) يُنظر: **أبو عمرو بن العلاء ومكانته اللُّغويّة**، الأسطى، عبد الله، الدار الجماهيرية العربيّة الليبية – طرابلس، ط١، ١٩٨٦م، ص٨٩.

(٢) يُنظر: **الفهرست**، ص٤٠٥.

(٣) يُنظر: **تاريخ التراث العربي**، سزكين، فؤاد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٠م، ٢٢/١.

(٤) يُنظر: السابق، ٢٣/١.

(٥) يُنظر: **الفهرست**، ص١٧١.

(٦) يُنظر: **تاريخ التراث العربي**، ٥٢/١.

(٧) يُنظر: **الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة**، الأصفهاني، حمزة بن الحسن، تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م، ٦٠٥/٢.

(٨) **سير أعلام النبلاء** ٤٠٨/٦.

معين: ثقة، وقال أبو عمرو الشيباني، ما رأيت مثل أبي عمرو، وقال نصر بن علي الجهضمي: عن أبيه، عن شعبة، قال: انظر ما يقرأ به أبو عمرو مما يختاره، فاكتبه، فإنَّه سيصير للناس أستاذاً، وقال إبراهيم الحربي، وغيره: كان أبو عمرو من أهل السنة"، وقال عنه ابن خالويه: "ليس أحد فسر الدجال أحسن من تفسير أبي عمرو قال: والدجال المموه يقال: "دَجَلْتَ السَّيْفَ مَوَّهْتَهُ وطَلَيْتَهُ بِماءِ الذَّهبِ"[1].

السَّماع اللُّغوي عند أبي عمرو بن العلاء:

مما لا شك فيه أنَّ المسائل السَّماعيَّة المباشرة التي توصلت إليها الدِّراسة، والتي ستتبينها في الحدُّ الداخلي للسَّماع تقر بالسَّماع المباشر لأبي عمر عن الأعراب، فأبو عمرو يُعدُّ من العلماء الذين قعَّدوا لعدد من قضايا اللغة عن طريق السَّماع المباشر، وأحد الأجلاء الذين وطَّنوا المنابت والأصول اللُّغويَّة من محيطها، بوصفه أصلاً لا غنى عنه من أصول النَّحو العربي، حيث لا يمكن لنا التعرُّف على حقيقة النظام اللُّغوي ومعرفة آليات تقعيده دون الرجوع إليه، وحتى يكون للغة معيار لابُدَّ من وضع أصل يقاس عليه في كل حين. ويقول الجاحظ: "فأما أبو عمرو فكان أعلم النَّاس بأمور العرب مع صحة سماع، وصدق لسان"[2]، وكان معيار الفصاحة عند أبي عمرو كثرة الاستعمال؛ أي ما يكثر استعماله يعتبر فصيحًا، وغير ذلك يسمى لغات، ولا يقاس عليه، فقد قال ابن نوفل: "سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء: أخْبِرْني عمَّا وضعت مما سميت عربيّة، أيدخل فيه كلام العرب كله، فقال: لا، فقلت: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب، وهم حُجَّة، فقال: أحمل على الأكثر، وأسمي ما خالفني لغات"[3]. وأخبرنا أبو عمرو

---

(1) لسان العرب مادة (دجل).

(2) البيان والتبيين ١/١٦٩.

(3) طبقات الزبيدي، ص٣٩.

بأنّه لم يصلنا إلا القليل مما قالته العرب حيث قال: "ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير"[1].

وبما أنّ أبا عمرو لم تصلنا آثاره العلمية، فإنّ الدّراسة بحثت عن السّماع اللُّغوي المباشر وسبر أغواره عند أبي عمرو في أخباره المتناثرة في بطون الكتب، وهذه المسائل السّماعيّة لا تعدو كونها روايات تاريخية يعتريها بعض المبالغات، ويشوبها الخلط، وحتى تتضح حقيقة هذه الرّوايات، والتوصل إلى كُنْهِ المسائل السّماعيّة عند أبي عمرو وجب علينا الوقوف على حدود السّماع عند أبي عمرو بن العلاء.

حدود السّماع عند أبي عمرو بن العلاء:

أولاً: الحدُّ الخارجي: وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ- **الحيّز الزّمانيّ:** يمتد الحيّز الزّمانيُّ لأبي عمرو بن العلاء عن العرب بما لا يعدو سبعين سنة، وهي الفترة الممتدة تقريبًا من طفولته، وحتى وفاته (٨٥-١٥٤هـ)، هذا بالنظر إلى الاختلاف في تاريخ ميلاد أبي عمرو بين العلاء، وتاريخ وفاته، فقد اخْتُلِفَ في تاريخ ميلاده، ووفاته؛ لذلك الحيّز الزّمانيّ مسألة تقديرية نسبياً.

ب- **الحيّز المكاني:** وينقسم إلى قسمين:

١- سماع أبي عمرو عن الأعراب في البصرة (المِرْبَد):

كان أبو عمرو بن العلاء يهتمُّ بالسّماع عن الأعراب في المِرْبَد، ووجَدَت الدّراسة فيما رجعت إليه من مظانٍّ ما يَدلُّ على اهتمام أبي عمرو بالسّماع عن الأعراب في المِرْبَد، فقد سأل أبو عمرو بن العلاء تلميذه الأصمعي، من أين أقبلت يا أصمعي؟ قال: من المِرْبَد، فقال: هات ما معك، يقول الأصمعي: فقرأت عليه ما كتبت في ألواحي، ومَرَّتْ به ستة أحرف لم يعرفها، فقال

---

[1] الخصائص ١/٣٨٦.

له أبو عمرو: شَمَّرْتَ في الغريب يا أصمعي"[1]، ويبين ثنايا هذا الخبر يتبين اهتمام أبي عمرو بأخبار المِربَد التي يحملها طلابه، فهو عندما قال له: هات ما معك يريد منه ما حصل عليه من علم جديد من خلال مشافهته للأعراب الحاضرين في المِربَد، ولا يريد البضاعة التي تباع، وتشترى في المِربَد، وروى المرزباني أنَّ الأصمعي قال[2]: حدثنا المازني، قال: حدثنا الأصمعي، قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: لقيت الفرزدق في المِربَد، فقلت: يا أبا فراس، أحَدَثْتَ شيئًا، فقال: خُذْ.

كَمْ دُونَ مَيَّةَ مِنْ مُستَعْمَلٍ قَذِفٍ ... ومِنْ فَلاةٍ بِها تُستَوْدَعُ العِيسُ[3]

قال: فقلت: سبحان الله، هذا لِلمُتَلَمِّسِ، فقال: اكتُمْها، فلَضَوالُّ الشعر أحب إلي من ضَوالِّ الإبل.

ويتبين من خلال هذين الخبرين أنَّ أبا عمرو بن العلاء كان من المهتمين بالسَّماع عن الأعراب الذين يأتون إلى المِربَد وعن الشعراء الذين يعرضون قصائدهم في المِربَد.

٢- رحلة أبي عمرو بن العلاء إلى البادية:

مما لا شك فيه أنَّ تنقلات أبي عمرو بين مكة والمدينة والبصرة والكوفة واليمن والشام، وإقامته في بوادي الحجاز كانت عاملاً مهماً في سماعه عن الأعراب.

ويعد أبو عمرو بن العلاء من أكثر الرُّواة الذين قاموا برحلات إلى البادية، فإنَّ المصادر تطالعنا فيما رجعت إليه الدِّراسة من مظانَّ بكثير من الأخبار عن رحلات أبي عمرو إلى البادية، فهو ولد، ونشأ في مكة، ثمَّ انتقل مع أسرته إلى البصرة بعد أنْ تَتَلْمذَ في مكَّةَ على أيدي

---

(1) الأمالي، القالي، أبو علي إسماعيل بن قاسم، دار الجيل، بيروت – لبنان، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب السلفية، ٢٠١٠م، ص١٨٢.

(2) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص١١١.

(3) ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٨٧م، ص٣٣٤.

علماء مُخَضْرَمينَ، ثمَّ عاد إلى مكة حاجًا بيتَ الله الحرام، وكان إذا لم يَحُجَّ يبعث أخــاه مُعــاذًا يسأل له عن الحروف، وفي ذلك يقول الأصمعيُّ: "قال معاذ بن العلاء أخو أبــي عمــرو بــن العلاء: كان أبو عمرو إذا لم يحج استبضعني الحروف أسأل عنها الحارث بن خالد بن العــاص بن هاشم بن المغيرة الشاعر، وآتيه بجوابها قال: فَقَدِمْتُ عليه سنة من السنين، وقــد ولاَّهُ عبــد الملك بن مروان مكة، فلما رآني قال: يا معاذ هات ما معك من بضائع أبي عمــرو، فجعلــتُ أعجبُ من اهتمامه بذلك، وهو أمير[1]، ويُضاف إلى ذلك هربه مع أبيه خارج العراق خوفًا من الحجاج، فاستغل رحلته هذه في السَّماع عن الأعراب[2]، ورحلته إلى الشام مع جرير يريــدون هشام بن عبد الملك[3]، ورحلته إلى اليمن، فقد ذكر رحلته إلى اليمن بقوله: "كنت باليمن..."[4]، وكان أبو عمرو يقوم بِدَوْرَيِّ الرَّاوي، واللُّغوي في آنٍ واحدٍ.

ج- الأعرابي:

تطالعنا كتب التراجم عن الأعراب الذين سمع عنهم أبو عمرو بن العلاء، ومــن هــؤلاء الأعراب:

- **أبو الخيرة نهشل بن زيد** [5]:

وهو أعرابي بَدَوي من بني عَدِي دخل الحاضرة، وأفاد وأخذ النَّاس عنه، وصــنف فــي الغريب، وله كتاب الحشرات.

- **أبو مَهْدِيَّةَ:**

---

(1) يُنظر: الأغاني، الأصفهاني، أبو فرج، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط٢، ٣/٣١٠.

(2) يُنظر: سير أعلام النبلاء ٦/٤١٠.

(3) يُنظر: نور القبس ٢٣/٣٢.

(4) جمهرة اللغة، مادة (ر – م – ي).

(5) الفهرست، ص٦٨.

أعرابي صاحب غريب روى عنه البصريون[١].

- **شُبَيْلُ بنُ عَزْرَة الضُّبَعِيُّ:**

من خطباء الخوارج، وعلمائهم، وهو صاحب قصيدة الغريب، وكان في البداية رافضيًا نَحو سبعين سنة، ثمَّ انتقل خارجيًا صفيريًا، ومات بالبصرة، وله بها عقب[٢].

- **ذو الرُّمَّة[٣]، رؤبة بن عبد الله العجاج التميمي السعدي، أبو محمد، راجز المُنْتَجَعُ[٤]:**

وكثيرًا ما كان يحتج بقول أعرابي لا يذكر اسمه، وتارة يذكر اسم القبيلة كأن يقول سألت رجلاً من بني سعد، وتارة يذكر اسم المنطقة، كأن يقول: سألت رجلاً من ذات عرق، أو لقيت أعرابيًا في مكة، وتارة يقول: عن شيخ من أهل نجد، والشاهد من هذا الكلام أنَّ سماع أبي عمرو عن الأعراب المجهولين أكثر بكثير من الأعراب الذين ذكرت أسماؤهم.

ثانياً: الحدُّ الداخلي لسماع أبي عمرو بن العلاء عن الأعراب (المتن):

عمدت الدِّراسة إلى جمع الثروات اللُّغويَّة المبثوثة في بطون الكتب ممّا أُثِرَ عن أبي عمرو بن العلاء ومما سمعه عن الأعراب سماعًا مباشرًا بنفسه؛ وإن لم تصلنا مآثره بسبب حرقه ما جمعه وفقدان مؤلفاته، ولكن لنا في تَلاَمِذتهِ خير عِوَض؛ لأنَّهم حفظوا لنا ما رَوَوْهُ عنه، ودونوه في كتبهم، فكانت سجلاتهم ناطقة بتراث أبي عمرو؛ لأنَّه إمامهم، وقدوتهم، حيث اعتمدت الدِّراسة على الرِّوايات الصحيحة التي ثبت فيها السَّماع المباشر عن الأعراب سواء

---

(١) الفهرست، ص٦٩.

(٢) الفهرست، ص٦٨، والبيان والتبيين ٣٤٣/١.

(٣) الرُّمة: الحبل.

(٤) تنظر ترجمة هؤلاء الأعراب في فصل عيسى بن عمر مبحث الأعرابي.

أكان ذلك في المربَد، أم في بوادي الصحراء، وفيما يلي بيان هذه الرّوايات التي تدلُّ على سماع أبي عمرو عن الأعراب فيما رجعت إليه للدّراسة من مظانٍّ:

١- حدثنا أبو بكر بن دُرَيْدٍ حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء

قال: "لقيت أعرابيًا بمكة، فقلت: ممَّن أنت؟ قال: أسديٌّ

قلت: ومن أيِّهم؟ قال: نمريٌّ

قلت: من أيِّ البلاد؟ قال: من عُمَان

قلت: فأنّى لك هذه الفصاحة؟ قال: إنَّا سكنا أرضًا لا نسمع فيها ناجخة التيار.

قلت: صِف لي أرضك.

قال: سيف أفيح، وفضاء ضحضح، وجبل صردح، ورمل أصبح. قلتُ: فما مالــك، قــال: النخل

قلت: فأين أنت عن الإبل؟ قال: إنَّ النخل حِملُها غذاء، وسَعَفُها ضياءٌ وجِذْعُها بناءٌ، وكَرَبُها صلاءٌ، ولِيفُها رشاءٌ، وخُوصُها وعاءٌ، وقَروُها إناءٌ"[1].

٢- قال ابن جني: "سأل أبو عمرو أبا الخيرة، عن قولهم: استأصل الله عرقاتهم، فنــصب أبــو الخيرة التاء من عرقاتهم، فقال له أبو عمرو: هيهات أبا الخيرة، لان جلدك! وذلك أنَّ أبــا عمرو استضعف النصب بعد ما كان سمعها منه بالجر، قال: ثمَّ رواها أبو عمرو فيما بعــد بالنصب والجر"[2].

٣- حدثنا أبو بكر بن دريد قال: أخبرنا عبد الرحمن عن عمه عن أبي عمرو بن العلاء قــال: "رأيت باليمن غلامًا من جرم ينشد عنزًا، فقلت: صِفها يا غلام فقال: حسراءُ مقبلةً شــعراءُ

---

(١) المزهر ١/١٢٠، الأمالي في لغة العرب، القالي، أبو إسماعيل بن القاسم البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٧٨م، ٣/١٧.

(٢) الخصائص ١/٣٨٤.

مدبرةٌ ما بين غَثْرَةِ الدُهْسَةِ، وقُنوء الدُبسة سَجحاء الخَدَّين خَطْلاء الأُذُنين فشقاء الصُورين كأنَّ زنمتيها تتوا قُلَنسية يا لها أم عِيال، وثِمال مال"[1].

٤- حدثنا أبو بكر بن دُرَيدٍ حدثنا أبو حاتم قال: "سمعت الأصمعي يقول: جاء عيسى بن عمر الثقفي، ونحن عند أبي عمرو بن العلاء، فقال: "يا أبا عمرو ما شيء بلغني عنك تجيزه قال: وما هو قال: بلغني أنَّك تجيز ليس الطيبُ إلا المسكُ بالرفع. قال أبو عمرو: ذهب بك يا أبا عمرو! نمت، وأدلج النَّاس، ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب، ولا في الأرض تميمي إلا وهو يرفع، ثمَّ قال أبو عمرو: قم يا يحيى، يعني اليزيدي، وأنت يا خلف، يعني خلفًا الأحمر، فاذهبا إلى أبي المهدي، فلقناه الرفع، فإنَّه لا يرفع، واذهبا إلى أبي المنتجع، فلقناه النصب، فإنَّه لا ينصب قال: فذهبا، فأتيا أبا المهدي، فإذا هو يصلِّي، فلمَّا قضى صلاته التفت إلينا، وقال: ما خطبُكَما قُلنا: جئنا نسألك عن شيء من كلام العرب قال: هاتيا، فقلنا: كيف تقول ليس الطيبُ إلا المسكُ، فقال أتأمرانِّي بالكذب على كبرة سني فقال له خلف: ليس الشرابُ إلا العسلُ قال اليزيدي: فلما رأيت ذلك منه قلت له: ليس ملاك الأمر إلا طاعة الله، والعمل بها، فقال: ليس هذا لحني، ولا لحن قومي، فكتبنا ما سمعنا منه، ثمَّ أتينا المنتجع، فقال له خلف: ليس الطيبُ إلا المسكَ، فلقناه النصب، وجهدنا به، فلم ينصب، وأبى إلا الرفع، فأتينا أبا عمرو، فأخبرناه، وعنده عيسى بن عمر لم يبرح، فأخرج عيسى خاتمه من يده، وقال: ولك الخاتم بهذا، والله فقت النَّاس"[2].

٥- قال الأصمعي: عن أبي عمرو "كنت هاربًا من الحجاج، فبينما أنا أطوف بالبيت إذ سمعت منشدًا ينشد:

---

(١) المزهر ٢/٤٦٠.

(٢) المزهر ٢/٤٤١.

رُبَّمَا تَجْزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الأَمـرِ   لَـهُ فَرْجَـةٌ كَحَـلِّ العِقَـالِ[1]

فقلت: له ما الخبر، فقال: مات الحجاج قال، فما أدري بأي قوليه كنت أفرح بقوله فَرجة، أو بقوله مات الحجاج"[2].

٦- قال أبو بكر الزبيدي: "سئل أبو عمرو بن العلاء عن اشتقاق الخيل، فلم يعرف، فمرَّ أعرابي محرم، فأراد السائل سؤال الأعرابي، فقال له أبو عمرو: دعني فإني ألطف بسؤاله، وأعرف، فسأله فقال الأعرابي: استفاد من الاسم من فعل السير، فلم يعرف من حضر ما أراد الأعرابي، فسألوا أبا عمرو عن ذلك فقال: ذهب إلى الخُيلاء التي في الخيل والعُجب، ألا تراها تمشي العَرَضنة خُيلاء، وتكبراً"[3].

٧- حدثنا بشر الأسدي عن الأصمعي قال: "كنت عند أبي عمرو بن العلاء، وعنده غلام أعرابي، فسئل أبو عمرو: لم سُمِّيت الخيل خَيْلاً؟ فقال: لا أدري، فقال الأعرابي: لاختيالها، فقال أبو عمرو: اكتبوا، وهذا صحيح؛ لأنَّ المختال في مشيته يتلون في حركته ألوانًا، والأخيل: طائرٌ، وأظنُّهُ ذا ألوان، يقال: هو الشُقراق، والعرب تتشاءم به..." [4].

٨- قال ابن منظور في لسان العرب: قال أبو عمرو بن العلاء: "سألت رجلاً من سعد بن بكر من أهل ذات عرق، فقلت هذا الكوكب الضخم ما تسمونه؟ قال الدريء، وكان من أفصح النَّاس"[5].

---

(1) ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع وتحقيق سجيع جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص١٠٨.

(2) يُنظر: الزاهر في معاني كلمات النَّاس ٢/٢٠٠.

(3) المزهر ١/٢٨٠.

(4) معجم مقاييس اللغة مادة (خيل).

(5) لسان العرب مادة (درأ).

٩- قال ابن منظور في لسان العرب: قال أبو عمرو بن العلاء: "بعض العرب يبدل الجيم إلى الياء المشددة قال، وقلت لرجل من حنظلة مِمَّن أنت؟ فقال فقيمج فقلت من أيّهم؟ قال مرج يريد فقيمي مري"[1].

١٠- قال أبو عمرو: "سألت أعرابيًا عن أخيه، فقال: خرج يتقنز؛ أي يتقنص"[2].

١١- قال الأصمعي: عن أبي عمرو بن العلاء: "قال: سمعت أعرابيًا يقول: فلان لغوب، جاءت كتابي، فاحتقرها، فقلت: أتقول جاءته كتابي؟ فقال: أليس بصحيفة، فقلت: ما اللغوب؟ فقال: الأحمق"[3].

١٢- قال أبو عمرو: "سألت رجلاً من هُذيل عن حرف غريب فقال: هذا كلام عقمي، يعني إنَّه من كلام الجاهلية لا يُعرف اليوم"[4].

١٣- حكى أبو سعيد السيرافي عن أبي عمرو: "إنَّه سمع أعرابيًا يقول لآخر انطلقْ معي أهبك نبلا"[5].

١٤- قال أبو عمرو بن العلاء: سمعت ذا الرُّمة يقول: قاتل الله أمة بني فلان ما أفصحها قلت لها: كيف كان المطر عندكم؟ فقالت: غثنا ما شئنا"[6].

١٥- قال أبو عمرو بن العلاء: "تغدَّى عندي أعرابي فصيح، من بني أسد، فلما رفع يده، قلت له: ازدد. فقال: والله ما طعامك، يا أبا عمرو بذي تَوْبة أي: بطعام يستحيا من أكله"[1].

---

(١) السابق، مادة (ج).

(٢) تاج العروس، مادة (قنز).

(٣) تاج اللغة وصحاح العربيّة، مادة (لغب).

(٤) تهذيب اللغة ١/١٩٠.

(٥) المخصص، ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللُّغوي الأندلسي، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٦م، ٣/٤١٨.

(٦) تاج العروس، مادة (غيث).

١٦- وقال أبو عمرو بن العلاء: سمعت امرأة من حِمْيرَ تُرقِّصُ ولدها وتقول[٢]:

يَــا رَبَّنَــا مَــنْ سَــرَّهُ أَنْ يَكْبُــرا   فَهَــبْ لَــهُ أَهْــلاً وَمَــالاً حِيَــرا

١٧- قال أبو عمرو بن العلاء: "أتيت دار قوم باليمن أسأل عن رجل، فقال لي رجــل مــنهم: اسمُك في الريم؛ أي اعلُ في الدرجة، والريم الزيادة يقال لي عليك ريم على كذا وكذا"[٣].

١٨- حدثنا محمد بن الحسن البلعي قال حدثنا أبو حاتم سهل بن محمد قال: حدثنا أبو عبيدة عن يونس قال: "مضيت إلى عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي فقلت له: كيف تقــرأ: (فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ)[٤]؟ فقال: فإذا برَق البصر، وفتح الراء، فقمت من عنده إلى أبي عمرو فقال: من أين بك؟ قلت: من عند عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، سألته كيف تقــرأ: (فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ)[٥]، فقال: فإذا برَق البصر، فقال أبو عمرو: وأين يُراد بــه! يقــال بَرَقــت السماء وبَرَق النبت، وبَرَقت الأرض، فأمّا البصرُ، فبرِق، كذا سمعنا"[٦].

١٩- قال أبو عمرو بن العلاء: "سمعت أعرابيًا يقول لم أرَ كاليوم قطُّ يدخل عليهم مثــل هــذا الرطب لا يَذُمُّون، أي لا يتذممون، ولا تأخذهم ذمامة حتى يهدوا لجيرانهم، والذّام مشدد، والذام مخفف جميعًا العيب..."[٧].

---

(١) السابق، مادة (وأب).

(٢) تهذيب اللغة ١٥٠/٥.

(٣) الأمالي في لغة العرب ١٦١/١.

(٤) سورة القيامة، الآية (٧).

(٥) سورة القيامة، الآية (٧).

(٦) مجالس العلماء، ص١٨٨.

(٧) لسان العرب، (ذمم).

٢٠- قال أبو عمرو بن العلاء سمعت أعرابيًا يقول: "مكثت ثلاثًا لا أذوق فيهن شيئًا، فقلت: أنعت لي، فقال: لمّا أول يوم فكان شهوة، وكان الثاني جوعًا، والثالث مرضًا"[1].

٢١- قال أبو عمرو بن العلاء: "سمعت أعرابيًا فصيحًا من بلعنبر يقول: جوارٍ مغنوجة، وأنشدني:

اسْتَجْهَلَتْهُ فِي أَزِقَّتِهَا وَرَاجِحَاتُ التُّلَى مَغْنُوجَةُ عَينِ التُّلى الأعجاز"[2].

٢٢- قال أبو عمرو بن العلاء: قرأ عليَّ أعرابيٌّ بالحرم: (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طيبى لهم). قلت له: طوبى قال: طيبى لهم، فعدت، فعاد، فلما طال علي قلت طوطو قال لي طي طي"[3].

٢٣- قال أبو عمرو بن العلاء: "رأيت عمانيًا راكبًا، وأبوه يمشي، فقلت له: أتركب، وأبوك يمشي! فقال: إنَّه لا يأتبل، أي لا يثبُتُ على الإبل"[4].

٢٤- قال الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء: "إنَّه سمع رجلاً من خَولان باليمن يقول: وقد مات لهم سيد: أي عِيْرٍ انقعر منا، أي: أيُّ سيد"[5].

٢٥- قال الأصمعي: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: "سمعت في شعر العرب: وكأنَّها تفاحة مطيوبة"[6].

---

(١) البصائر والذخائر، التوحيدي، أبو حيان، علي بن محمد بن العباس، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٨م، ٢٢٢/٤.

(٢) أساس البلاغة ٧١٤/١.

(٣) المخصص ٤٨٥/٤.

(٤) جمهرة اللغة ١٠٢٧/٢.

(٥) السابق، ٧٧٧/٢.

(٦) المنصف شرح كتاب التصريف، ص٢٨٦.

٢٦- عن أبي بكر عن أبي العباس عن أبي عثمان عن الأصمعي عن أبي عمرو أنّ رجلاً من أهل نجد أنشده:

حَتَّى كَأَنْ لمْ يَكُنْ إلاّ تَذَكُّرُهُ ... والدَّهْرُ أَيَّتَما حالٍ دَهَارِيرُ[١]

تشترك المسائل السَّماعيَّة السابقة بجملة من الخصائص أمكن إجمالها بما يلي:

١- الاختصار النسبي في مجمل هذه المسائل؛ حيث تأتي بالخبر مباشرة.

٢- ظهور المكان في معظم المسائل.

٣- غياب الزمن الذي ذكرت فيه المسائل.

٤- يتنوع السَّماع عند أبي عمرو بن العلاء في الأماكن التي سمع فيها، فقد سمع في مكة، وفي البصرة وفي المناطق القريبة من مكة (ذات عرق)، وفي اليمن، وفي عمان.

٥- الأعرابي الذي سمع عنه الأعرابي في المسائل: (٢، ٤، ١٤) معرفة، فقد ذكر اسم الأعرابي صراحة، والأعرابي الذي سمع عنه أبو عمرو في باقي المسائل نكرة، لكنّه في بعض المسائل: (٨، ٩، ١٢، ١٥، ١٦، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٦) ذكر اسم القبيلة التي ينتسب إليها الأعرابي، فيقول من أهل نجد، ومن هذيل، وفي بعض المسائل يذكر اسم البلد، أو ما يَدلُّ على البلد مثل (الحرم) كناية عن مكة، وهذه المسائل هي: (١، ٣، ٥، ٦، ١٧، ٢٢)، وفي بعض المسائل يكون مجهول الزمان، والمكان، وهذه المسائل هي: (٧، ١٠، ١١، ١٣، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٥).

٦- وقع السَّماع في جميع هذه المسائل بالعبارات التي تعتبر من محددات السَّماع، والتي تدل على السَّماع المباشر من قبل الراوي نفسه، وهي:

---

(١) الخصائص ١٧١/٢.

أ- (سمعت وسمعنا) تشترك فيهـا المسائل (٥، ١١، ١٣، ١٤، ١٦، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٤، ٢٥).

ب- (قلت .... فقال) تشترك فيه المسائل (١، ٣، ٤، ٩، ١٤، ٢٢، ٢٣).

ج- (سألت وسأل) تشترك فيها المسائل (٢، ٦، ٧، ٨، ١٠، ١٢، ١٧).

د- (أنشده) تشترك فيها المسائل (٢٦).

هـ- تختلف المسائل في النَّص المسموع من خلال ما يَدلُّ عليه النَّص المسموع من جوانب لغوية حيث توزع موضوع المتن على الجوانب اللُّغويَّة كما يلي:

أ- **الجانب النحوي:**

تمثل هذا الجانب:

- **المسألة** (٢)، السماع فيها عن معرفة، وهي نصب جمع المؤنث السالم الذي يراه أبو عمرو بالكسر، وهذا ما يوافق القياس عند نحاة البصرة، أمّا الكوفيون، فقد أجازوا الفتح بدليل قولهم: (ألا يزجر الشيخ الغيور بناتَه ...) [١]، وكان أبو عمرو قد سمعه من أبي الخيرة بالكسر، ولكن عندما سمعه قالها بالفتح قال له: لان جلدك يا أبا الخيرة أي أخطأت، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه ما الذي جعل أبا عمرو يسأل أبا الخيرة بما إنَّه قد سمعها منه سابقًا بالكسر؟ أهو شعوره بضعف أبي الخيرة؟ لذلك أراد أن يختبره، وما الذي جعل أبا عمرو يروي هذا الخبر بالنصب والجر؟ بعدما خطأً أبا الخيرة، وجواب ذلك يمكن أن يكون قد سمع هذا ممن يثق أبو عمرو بعربيّته غير أبي الخيرة، أو أنْ يكون قد قَوِيَ في نفسه ما سمعه من أبي الخيرة[٢].

---

(١) **الخصائص** ٣/٣٠٤.

(٢) يُنظر: تفصيل في المسألة في **الخصائص** ١/٣٨٤

- المسألة (٤)، السّماع فيها عن معرفة، حيث يتبين للقارئ في هذه المسألة وجود لغتين من لغات الأعراب الفصحاء لغة تجعل ليس عاملة؛ أي ترفع الاسم وتنصب الخبر، وهي لغة أهل الحجاز، فتقول ليس الطيبُ إلا المسكَ، ولغة أخرى، وهي لغة تميم التي تلغي عمل ليس لاقترانها بـ(إلا) التي ألغت عملها، فيأتي الاسمان مرفوعان على أنّهما مبتدأ وخبر، وتقول ليس الطيبُ إلا المسكُ.

- المسألة (٢٠)، السّماع فيها عن نكرة، حيث خاطب فيها أبو عمرو بن العلاء الأعرابي بقوله انعت لي، أي إنّه حذف المعدود وأبقى على العدد، وهذا يَدلُّ على أنَّ هناك فئة من الأعراب تحذف المعدود إذا كان مفهومًا للمخاطب، وآية ذلك أنَّ أبا عمرو عندما قال للأعرابي انعت لي، فقام الأعرابي بتوضيح ما قاله وذكر المعدود، وهو يوم، وقد وردت بلفظ آخر وهو "مكثتُ ثلاثًا لا أذوقهنَّ طعامًا ولا شرابًا، أي لا أذوق فيهنّ"[1]. وهذا يَدلُّ على أنَّ العرب تعمد على لغة الإيجاز في حديثها.

ب- الجانب الصرفي:

تمثل هذا الجانب:

- المسألة (٦)، السماع فيها عن نكرة، حيث تبين أنَّ مصطلح الخيل اشتُقَّ من الخُيَلاء لاشتراكهما في الصفات وفي ذلك يقول السُّيوطي كان الزَّجاج يزعم أنَّ كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف وإنْ نقصت حروف إحداهما عن حروف الأخرى فإنَّ إحداهما مشتقة من

---

(١) يُنظر: جمهرة اللغة ١٢٩٢/٢.

الأخرى فتقول: الرحل مشتق من الرحيل والثور إنما سمي ثورًا لأنّه يثير الأرض، وقال فالمجرة لِمَ سميت مجرة قال: لأنَّ الله جرها في السماء جرًا[1].

- المسألة (٢٢)، والسماع فيها عن نكرة، فالمراد منها تأصيل كلمة (طوبى) فهو يعتقد أنَّ أصلها (طيبي) ثمَّ قُلِبَتْ الياء (واوًا) وضمَّ ما قبلها، فجاء باعتقاده هذا على لسان الأعرابي إظهارًا للحجة وتأكيدًا على ما يقول. وعلى الرُغم من أنَّك تعدم أصلاً لهذه المفردة في العربيَّة الفصحى حيث خرجت عن نطاق العربيَّة، فقد قال ابن خالويه: "وليس في كلام العرب: صفة على فِعْلى، إنَّما تكون على فُعْلى مثل (حبلى) ومثل هذا (طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ)[2]، إنَّما هو من الطيب، فانقلبت الياء واوًا لانضمام ما قبلها، فلذلك قرأها الأعرابي مكسورة -(طيبى لهم) بكسر الطاء"[3].

- المسألة (٢٥)، والتي جاءت على الأصل من غير إعلال، والقياس فيها مطيبة، ولكنَّها جاءت مطيوبة كمخيوط وهذا مضطرد[4]، وهذه المسألة محط اختلاف بين العلماء، فقد قال أبو العباس إنَّما أجازوا رد مبيع إلى أصله في الضرورة، ولم يجعلها لغة بينما سيبويه قال بأنّها لغة لبعض العرب[5]، وقد زعم الخليل، وسيبويه أنَّك إذا قلت: "مقول ومبيع"، فالذاهب للالتقاء الساكنين واو "مفعول"، وقال الخليل: إذا قلت: "مبيوع" فألقيت حركة الياء على الباء، وسكّنت الياء التي هي عين الفعل، وبعدها واو "مفعول"، فاجتمع ساكنان، فحذفت واو

---

(١) يُنظر: المزهر ١/١٨٠.

(٢) سورة الرعد، الآية (٢٩).

(٣) ليس في كلام العرب، ص٢٥٦.

(٤) تاج العروس ٣/٢٨٤.

(٥) توضيح المقاصد ٣/١٦١٢.

"مفعول"، وكانت أولى بالحذف؛ لأنَّها زائدة، وكان حذفها أولى ولم تحذف الياء؛ لأنَّها عين الفعل، وكذلك "مقول" الواو الباقية عين الفعل والواو المحذوفة واو "مفعول". وكان أبو الحسن يزعُم أنَّ المحذوفة عين الفعل والباقية، واو "مفعول" فسألته عن "مبيع"، فقلت: ألا ترى أنَّ الباقي في "مبيع" الياء، ولو كانت واو "مفعول" لكانت: "مبوعًا"؟، فقال: إنَّهم لمّا أسكنوا ياء "مبيوع"، وألقَوْا حركتها على الباء، انضمَّت الباء، وصارت بعدها ياء ساكنة فأبدلت مكان الضمة كسرة للياء التي بعدها، ثمَّ حذفت الياء بعد أنْ أُلزمت الباء كسرة للياء التي حذفتها، فوافقت واو "مفعول" الباء مكسورة، فانقلبت ياء للكسرة التي قبلها، كما انقلبت واو "ميزان، وميعاد" ياء للكسرة التي قبلها، وكلا الوجهين حسن جميل، وقول الأخفش أقيس، وقال أبو الفتح: إنَّما وجب إسكان عين الفعل من "مبيوع، ومقوول" عندهم جميعًا؛ لأنَّ "قيل، وبيع" عندهم معتلان، فأرادوا إعلال اسم المفعول منهما"[1].

ج- الجانب الصوتي:

وتمثل هذا الجانب:

- المسألة (٩)، والسّماع فيها عن نكرة ويعتبر هذا الجانب من خلال ما رجعت إليه الدّراسة من مظانّ الأقل سماعًا عند أبي عمرو عن الأعراب، والذي يخبر أنَّ بعض الأعراب يبدلون صوت الياء جيمًا، وهي لهجة لبني حنظلة يتداولونها فيما بينهم، ويشار إلى أنَّ أبا عمرو من خلال هذه المسألة إنَّه يعرف هذه اللهجة مسبقاً، وآية ذلك إنَّه عندما قال له فقيمبح لم يستغرب بل استوضح أكثر ليعرف من أين هو تحديدًا.

د- الجانب الدلالي والمعجمي:

---

[1] المنصف، ص٢٨٧-٢٨٨.

تمثل هذا الجانب بقية المسائل (١، ٣، ٥، ٧، ٨، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٦)، ويعد هذا الجانب الأكثر سماعًا من بين الجوانب اللُّغويَّة عند أبي عمرو.

- **المسألة (١)**، جاء لتفسير معنى النَّاجخة: الصوت، والتَّيار: الموج، والسِّيف: شاطئ البحر، وأفيح: واسع، والفضاء الواسع من الأرض، والصحيح: الصحراء، والصَرْدح: الصلب، والأصبح: الذي يعلو بياضه حمرة، والرشاء: الحبل، والقرو: وعاء من جذع النخل يُنبذ فيه، وقال الكسائي القرو: القدح[1].
- **المسألة (٣)**، الاحتجاج بالسَّماع في المسألة جاء لتفسير معنى الحسراء، التي قل شعر مقدمها، والشعراء: التي قد كثر شعرها، والدهسة لون الأرض، والقَنْو شدة الحمرة، والسجحاء سهلة الخدين، والخطلاء الطويلة الأذنين المضطربتهما، والقعساء المتباعدة بين طرفي القرنين، والصور: القرن، والزنمتان اللحمتان المعلقتان تحت حنك الشاة، والنتو ذؤابة القلنسوة[2].
- **المسألة (٥)**، الاحتجاج بالسَّماع في المسألة جاء لتفسير معنى فَرجة بفتح الفاء، وهي من الفَرَج، وهي الخُلُوص من الشدائد، أمّا بضم الفاء فُرجة، فهي من فُرجة الحائط[3]، ولكن قال ابن السكيت: إنَّ فَرجة وفُرجة تؤديان المعنى ذاته، وهما لغتان لمعنى واحد، وقال هو لك فَرجة، وفُرجة، وزاد الأزهري فِرجة بالكسر[4].

---

(١) الأمالي في لغة العرب ١٧/٣.

(٢) ديوان المعاني، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٤م، ٤٨٥/٢-٤٨٦.

(٣) شذرات الذهب ٢٣٨/١.

(٤) يُنظر: خزانة الأدب ١٠٥/٦.

- المسألة (٧)، الاحتجاج بالسَّماع في المسألة جاء لبيان سبب تسمية الخيل بهذا الاسم وهـو اختيالها في المشي والخيل هي الحركة في تلون[١] أي أنَّ الخيل عندما تمشي يتغير لونها، يقال تخيلت السماء، إذ تهيأت للمطر، ولابُدَّ أنْ يكون عند ذلك تغير لون للسماء[٢]، وهـذا يَدلُّ على أنَّ العرب تسمي الشيء بما يَدلُّ عليه من صفاته.

- المسألة (٨)، الاحتجاج بالسَّماع في المسألة جاء لتفسير كلمة الدريء، وهو كوكب سمي بهذا الاسم لتلألئه[٣].

- المسألة (١٠)، الاحتجاج بالسَّماع في المسألة جاء لتفسير كلمة يتقنز: يتقنص.

- المسألة (١١)، الاحتجاج بالسَّماع في المسألة جاء لتفسير كلمة اللغوب: الأحمق.

- المسألة (١٢)، الاحتجاج بالسَّماع في المسألة جاء لتفسير كلام عقمي، يعني إنَّه من كـلام الجاهلية لا يعرف اليوم.

- المسألة (١٣)، الاحتجاج بالسَّماع في المسألة جاء لبيان أنَّ كلمة أهبك، وهي مـن الهبـة حيث قال الخليل، وهبت لك الشيء أهبه وهبًا وهِبَةً، والموهوب الولد ويجوز أنْ يكون مـا يوهب لك[٤].

- المسألة (١٤)، الاحتجاج بالسَّماع في المسألة جاء لتفسير كلمة غثنا، وهي هنـا بمعنـى العشب لأنَّ الأعراب تسمي الشيء باسم مسببه، وقال صاحب المصباح المنيـر، "وسـمي النبات غيثاً تسمية باسم السبب، ويقال رعينا الغيث"[٥].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة (خيل).

(٢) السابق، مادة (خيل).

(٣) تاج العروس، مادة (درأ).

(٤) العين، مادة (وهب).

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٢/٤٥٨.

- المسألة (١٥)، الاحتجاج بالسَّماع في المسألة جاء لتفسير كلمة تؤبة في قوله وما طعامك بذي تؤبة أي لا يستحيا من أكله.

- المسألة (١٦)، الاحتجاج بالسَّماع في المسألة جاء لتفسير كلمة حِيرٌ والحِير: الكثير من الأهل والمال[١].

- المسألة (١٧)، الاحتجاج بالسَّماع في المسألة جاء لتفسير كلمة الريم: الزيادة.

- المسألة (١٨)، الاحتجاج بالسَّماع في المسألة جاء لتفسير كلمة برق البصر بالكسر يبرق برقًا، إذا تحير فلم يطرف أمّا بَرَق فهي بمعنى تلألأ[٢].

- المسألة (١٩)، الاحتجاج بالسَّماع في المسألة جاء لتفسير كلمة لا يذمُّون، أي: لايتذممون، والذام مشددة ومخففة العيب.

- المسألة (٢١)، الاحتجاج بالسَّماع في المسألة جاء لتفسير كلمة جوار مغنوجة فيهن غنج، الغنج: شكل الجارية الغنجة[٣].

- المسألة (٢٣)، الاحتجاج بالسَّماع في المسألة جاء لتفسير كلمة لا يأتبل، أي لا يثبت على الإبل.

- المسألة (٢٤)، الاحتجاج بالسَّماع في المسألة جاء لتفسير كلمة أي عير انقعر: أيُّ سيد مات.

---

(١) تهذيب اللغة ١٥٠/٥.

(٢) يُنظر: المخصص ١٠٤/١، والصحاح، مادة (برق)، وتاج العروس، مادة (برق).

(٣) المحيط في اللغة، مادة (غنج).

- المسألة (٢٦)، الاحتجاج بالسّماع في المسألة جاء لتفسير العجز من البيت الشعري الدهر أيتما حال دهارير: أي والدهر (الزمن) في كل وقت وعلى كل حال دهارير أي متلون ومتقلب بأهله[1].

وقفات في السّماع اللّغوي عند أبي عمرو بن العلاء:

من النصوص التي كان لها الأثر الكبير على الفكر اللُّغوي العربي ما أورده أبو نصر الفارابي في كتابه "الألفاظ والحروف" موضحًا فيه منهج العلماء الأوائل في تقعيد اللغة، ولذلك لابُدَّ أنْ نتبين إلى أيِّ حد التزم أبو عمرو بن العلاء في الأخذ عن هذه القبائل، وهل أخذ أبو عمرو عن الحضر، أو عمن أقام في الحضر مدة طويلة، أو عن القبائل التي نهى أبو نصر الفارابي الأخذ عنها، حيث يقول أبو نصر الفارابي:

"والذين عنهم نُقِلَت اللغةُ العربيَّة، وبهم اقتُدي، وعنهم أُخِذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس، وتميم، وأسد فإنَّ هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أُخِذ ومعظمه، وعليهم اتُّكل في الغريب، وفي الإعراب والتصريف، ثمَّ هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجُّملة، فإنَّه لم يؤخذ عن حضري قطُّ، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم، فإنَّه لم يُؤخذ لا من لخم، ولا من جذام؛ لمجاورتهم أهل مصر والقبط، ولا من قضاعة، وغسان، وإياد؛ لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية ولا من تغلب، واليمن فإنَّهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكر؛ لمجاورتهم للقبط، والفرس، ولا من عبد القيس، وأزد عمان؛ لأنَّهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند، والفرس، ولا من أهل اليمن؛ لمخالطتهم للهند والحبشة، ولا من بني حنيفة، وسكان اليمامة، ولا من ثقيف، وأهل الطائف؛ لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم،

---

[1] الخصائص ٢/١٨٠.

ولا من حاضرة الحجاز؛ لأنَّ الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم، وفسدت ألسنتهم، والذي نقل اللغة، واللسان العربي عن هؤلاء، وأثبتها في كتاب فصيَّرها علمًا، وصناعة هم أهل البصرة والكوفة فقط من بين أمصار العرب"[1].

ويتبين من خلال هذا النّص أنَّ معيار العلماء في اختيار البيئات اللُّغويَّة الموثوق في فصاحة لغتها، يعتمد على مدى توغل أبنائها في البداوة، وانصرافهم عن مداومة الاختلاط بغيرهم من الأمم الأخرى اختلاطًا يؤثّر في لغتهم، ويمثّل هذا النَّص الصورة التي رسخت في أذهان النَّاس عن اللغة العربيَّة نفسها التي سمعها العلماء القدماء، ومن أجل الكشف عن هذه الصورة التي رسمها الفارابي لابُدَّ من عرضها على ما قام به العلماء، ومنهم أبو عمرو هل هو موافق لما جاءت به هذه الصورة، فالسَّماع اللُّغوي عند أبي عمرو إذا ما قورن بهذه الصورة التي رسمها الفارابي نجد أبا عمرو قد خالف هذا النَّص من خلال استشهاده، وسماعه عن قبائل وشعراء لا يؤخذ كلامهم في التقعيد اللُّغوي.

لم يعتد الفارابي بكلام أهل اليمن في التقعيد اللُّغوي بقوله: ولا من أهل اليمن؛ لمخالطتهم للهند والحبشة، بينما نجد أبا عمرو يسمع عنهم، ويعتد بكلامهم في التقعيد اللُّغوي، وآية ذلك ما تم ذكره سابقًا عن سماعه عن أهل اليمن، ومن ذلك قال الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء: "إنَّه سمع رجلاً من خولان باليمن يقول، وقد مات لهم سيد: أي عير انقعر منّا، أي: أي سيد"[2]. وروي عن العلماء البصريين أنَّهم كانوا يأخذون "اللغة من حرشة الضباب وأكلة اليرابيع"[3]، إذًا

---

(1) المزهر ١/١٦٧-١٦٨.

(2) جمهرة اللغة، ٢/٧٧٧.

(3) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٧/٢٢٢.

هذا يَدلُّ على أنَّ العلماء البصريين كانوا حريصين على عنصري التوغل في البداوة، والبعد عن الاختلاط والاتصال بسكان الحواضر، والأرياف.

أمّا اليمن بسبب قربها الجغرافي من الهند والحبشة، واختلاط أهلها بهم لم تؤخـذ اللغـة عنهم، ومع ذلك فإنَّ أبا عمرو سمع عن أهل اليمن واحتج بكلامهم في أكثر من رواية، فبجبرية من المنطق تشد القارئ إلى القول بسماع أبي عمرو عن أهل الحضر، وهذا ما يرفضه العلماء. يُضاف إلى ذلك قول أبي عمرو نفسه عن أقاصي اليمن بأنَّ عربيتهم ليست بعربيتنا "ما لـسان حمير، وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا"[1]، وقد يقول قائل بأنَّ أبا عمرو لم يأخذ عن أقاصي اليمن، بل أخذ عن أقربهم للبادية، حتى وإنْ كان هذا صحيحًا ألا يخـتلط أهـل الـيمن بعضهم ببعض شمالاً، وجنوبًا، وغربًا، وشرقًا، وإذا ما قورن نص أبي عمرو هذا الذي يفهم منه ضمنًا عدم الأخذ عن أهل اليمن، وحِمْير بل إنَّ عربيتهم لا علاقة لها بعربيتنا، فكيف يمكن لهذا القول أنْ يصمد أمام المسائل التي أثرت عن أبي عمرو في السَّماع عن أهل الـيمن، وحِمْيـر تحديدًا، فقد قال أبو عمرو بن العلاء: سمعت امرأة من حِمْير تُرَقِّصُ ولدها، وتقول[2]:

يــا رَبَّنَــا مَــنْ سَــرَّهُ أنْ يَكْبُــرَا فَهَــبْ لَــهُ أهْــلاً وَمَــالاً حِيَــرا

واحتج بهذا الشاهد على أنَّ حِيرَ تعني الكثير من المال والأهل، فكيف يمكن للقـارئ أنْ يوفق بين ما قاله أبو عمرو عن شروط السَّماع، ومخالفته لهذه الشروط، ألا يجعل هذا التناقض الظاهر عند أبي عمرو القارئ في حيرة وشك بصحة كثير من المسائل السَّماعيَّة التي أثرت عن أبي عمرو.

---

(1) السابق، ١٦/٢٧٣.

(2) تهذيب اللغة ٥/١٥٠.

حدد أبو نصر الفارابي القبائل التي يؤخذ بكلامها في التقعيد اللُّغوي، فقال: "والذين عنهم نقلت اللغة العربيَّة، وبهم اقتُدِي، وعنهم أُخِذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس، وتميم، وأسد، فإنَّ هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ، ومعظمه، وعليهم اتُّكل في الغريب، وفي الإعراب، والتصريف، ثمَّ هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم..." (1). والهدف من تطبيق معيار القبيلة على صاحب النصّ المستشهد به هو الثقة في اللسان العربي غير المشوب بشائبة(2).

ولكن إذا تأملنا المسائل التي تدل على السَّماع المباشر عند أبي عمرو نجد أنَّ أكثر ما سمعه سماعًا مباشرًا تراوح ما بين اليمن، ومكة (الحرم)، أمّا هذه القبائل (قيس، وتميم، وأسد وهذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين)، التي أشار إليها الفارابي، فإنَّ الاحتجاج بلغتهم والسماع عنهم قليل، ومن ذلك احتجاج أبي عمرو بلغة أهل عُمان، ولم تكن هذه اللغة ضمن دائرة الاحتجاج اللُّغوي عند الفارابي.

يُضاف إلى ذلك أنَّ العلماء كانوا حريصين في السَّماع على التوغل في البداوة، والبعد عن الاختلاط، والاتصال بسكان الحواضر، والأرياف، حيث عدوا لغة البداوة هي القدوة المثلى والنموذج الرفيع(3)، وألاّ يعرف الأعرابي القراءة والكتابة، لكن في المأثور عن أبي عمرو بن العلاء نجده يحتج بأعراب البصرة الذين أتَوْا من البادية، وأقاموا بالحاضرة (البصرة)، والبصرة مُجتَمع قد تلاقت فيه أطياف من الأعراق والعادات والديانات واللغات(4)، ويقول الحلواني: أما

---

(1) المزهر، 1/167.

(2) عصور الاحتجاج في النحو العربي، 1/230.

(3) العربيّة، يوهان فك، عبد الحليم نجّار، دار الكتاب العربي، 1951م، ص13.

(4) يُنظر: اللحن في الأصوات العربيَّة على ألسنة العجم القدامى، الأقطش، عبد الحميد، مجلة أبحاث اليرموك "سلسلة الآداب واللُّغويات"، مجلد 16، العدد ، ص49-88، إربد – الأردن، 1998م، ص50.

أهل الحضر فإنهم لا ينفكّون يتأثرون بكل طارئ"[1]، ويقول الجاحظ: "أهل الأمصار إنّما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب؛ ولذلك تجد الاختلاف في ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر، فسكان البصرة يستخدمون كلمة "قِدْر" والجمع "قُدُور" لأنّ العرب الذين نزلوا البصرة كانوا يستخدمون الكلمتين، بينما يستعمل أهل مكة كلمة "برمة" والجمع "برام"، وسمّى أهل مكة "البيت إذا كان فوق البيت عليه" وجمعها "علالي"، بينما أطلق عليها أهل البصرة: "الغُرفَة"، والجمع: الغُرفات والغُرَف"[2]، وقد دفعت هذه النظرة إلى لغة أهل الحضر، بل إلى واقعهم اللُّغوي المختلف عن الواقع اللُّغوي البدوي بالعلماء إلى القول بفساد لغتهم ولينها والإعراض عن أخذها عنهم.

وعليه فإنّ أبا عمرو احتج بكلام أبي الخيرة في استأصل الله عرقاتهم، وأبو الخيرة أعرابي بدوي صنف في الغريب، وله كتاب الحشرات، ولم يقف الأمر على حدود الجهل، والأميّة عند أبي الخيرة، فلم يكن جاهلاً، ولا أميًا حسب بل تعداه إلى تأليف الكتب، يُضاف إلى ذلك إقامته بالحاضرة، وهذا مخالف لما وضعه العلماء من شروط السَّماع اللُّغوي، وآية ذلك ذو الرُّمَّة يتوسل إلى حماد الراوية بعدما عرف الأخير إنّه يكتب، ثمّ يقول له "اكتمْ عليّ"[3]، وما كان ذو الرُّمَّة ليفعل ذلك في الحكاية إلا ليقينه بأنّ معرفة الكتابة سبب في إخراج شِعْرِه من دائرة الاحتجاج اللُّغوي. وأبو مهديّة أعرابي صاحب غريب روى عنه البصريون وأقام في البصرة، والمنتجع من طيئ أقام في البصرة، سمع عنهما أبو عمرو، واحتج بكلامهما في مسألة: "ما الطيب إلا المسك"؛ المسألة الخلافية بينه وبين عيسى بن عمر، لكنّ هذين الأعرابيين يُعدّان من

---

(1) أصول النحو العربي، الحلواني، محمد خير، الأطلسي، الرباط – المغرب، ص٤٥.

(2) يُنظر: البيان والتبيين، ١/٢٥.

(3) أدب الكاتب، ص٦٢.

الأعراب الذين أقاموا بالبصرة، والبصرة حاضرة لا تصلح للسَّماع، فإذا كانت بوادي البصرة، وما جاورها لا تصلح للسَّماع، فلا يؤخذ عن أهلها باعتبار ديمومة اختلاطهم بأهل الحاضرة (البصرة)، فماذا بالنسبة للأعرابي الذي أقام بالحاضرة نفسها (البصرة) هل يجوز السَّماع عن هؤلاء في العرف اللُّغوي عند العلماء؟ الذين بينوا أثر الحاضرة في ليونة لغة أهلها، وقبولهم للتأثر، والتغير، فهذا الأصمعي يرفض الاحتجاج بلغة ذي الرُّمة؛ لأنَّه أطال المكث في الحضر، فقال عنه: "طالما أكل المالح، والبقل في حوانيت البقالين"[1]، وذلك كناية عن طول مكثه في الحاضرة مما أثَّر في توهين لغته وفسادها.

رفض أبو عمرو بن العلاء الاحتجاج بأشعار المولدين في التقعيد اللُّغوي بقوله: "لقد حسن هذا المولد حتى هممت أنَّ آمر صبياننا بروايته يعني بذلك شعر جرير والفرزدق"[2]، فالمُولد والعربيّ غير المحض أو عربيّ النشأة[3]. وسئل أبو عمرو عن المُولَّدين، فقال: "ما كان من حسن، فقد سبقوا إليه، وما كان من قبيح، فهو من عندهم"[4]، وهذا تأكيد منه على عدم اعتداده بالشعر إلا إذا كان للمتقدمين، ولأنَّ المُولَّدين لن يأتوا بجديد في الشعر العربي، وإنْ جاؤوا بجديد، فإنَّ هذا الذي جاؤوا به إنَّما هو تقليد لمن سبقهم من الشعراء المتقدمين، كما رفض الاحتجاج بأشعار الإسلاميين، فقد قال الأصمعي: "جلست إليه عشر حجج، فما سمعته يحتج ببيت إسلامي"[5].

---

(1) المزهر ٢/٢٣٢.
(2) السابق ٢/٤١٤.
(3) عصور الاحتجاج في النحو العربي ١/٢٢٢.
(4) عصور الاحتجاج في النحو العربي ٢/٤١٤.
(5) إنباه الرُّواة ٣/٣٢.

وكان يقول أبو عمرو بن العلاء: "فتح الشعر بامرئ القيس، وختم بذي الرمة"[١]، وقال أيضًا: "خُتِم الشعر بذي الرُّمَة والرجز برؤبة بن العجاج"[٢].

من خلال ما تقدم نَوَدُّ التحدث عن السَّماع عند أبي عمرو، واحتجاجه بالشعر من خلال جانبين: الأول هو رفضه للاحتجاج بأشعار المولدين، والإسلاميين، والجانب الثاني هو احتجاجه بشعر ذي الرُّمة مع إنَّه كان معاصرًا للأخطل وجرير، والفرزدق، أمّا عن رفضه سماع أشعار المولدين، والاحتجاج بشعرهم في اللغة، فإنَّ هذا الأمر فيه جانب من المبالغة؛ لأنَّ أبا عمرو كان يعجب بشعرهم، فقد شبه الفرزدق بزهير[٣]، وكان لشعره عند علماء اللغة منزلة كبيرة، فقد قيل: "لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة"[٤]، هذا إنْ دلَّ على شيء، فإنَّما يَدلُّ على قوة شعر الفرزدق، وكان جرير من فحول شعراء الإسلام، ويشبه من شعراء الجاهلية بالأعشى، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول[٥]: هما بازيان[٦] يصيدان ما بين العندليب[٧] إلى الكُركي[٨]!، وقال أبو عبيدة: الأخطل أشبه بالجاهلية وأشدهم أسر شعر، وأقلهم سقطاً[٩]، وجاء رجل إلى يونس، فقال له: "من أشعر الثلاثة قال الأخطل قلنا: من الثلاثة قال: أي ثلاثة ذُكروا فهو أشعرهم قلنا: عمن

---

(١) الأعلام ١٢٤/٥.

(٢) وفيات الأعيان ١٦/٤.

(٣) الشعر والشعراء ٤٦٧/١.

(٤) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، الأنصاري، جمال الدين، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، ٤٥/١.

(٥) الشعر والشعراء ٤٥٧/١.

(٦) جنس من الطيور الصغيرة أو المتوسطة الحجم.

(٧) طوير يصوت ألواناً.

(٨) طائر كبير أغبر اللون طويل العنق والرجلين أبتر الذنب قليل اللحم يأوي إلى الماء أحياناً.

(٩) الأغاني ٣٠٣/٨.

تروي هذا قال: عن عيسى بن عمر، وابن أبي إسحاق الحضرمي، وأبي عمرو بن العلاء[1]، وكان يعجب كثيرًا بشعر الأخطل، ولكن لم يأخذ به في الاحتجاج، فقال الأصمعي: "إنَّ أبا عمرو كان يفضل الأخطل، وسمعه يقول: لو أدرك الأخطل من الجاهلية يومًا واحدًا ما قدمت عليه جاهليًا، ولا إسلاميًا"[2]، ومع هذا الإعجاب الذي أبداه أبو عمرو بن العلاء بشعر الفرزدق، وجرير، والأخطل إلا إنَّه ضيَّق على نفسه دائرة الاحتجاج بشعرهم حسبما روي عنه في كتب اللغة، وعده ابن سلاَّم الجمحي[3] في الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين[4].

جميع هذه الصفات تشير إلى أنَّ هؤلاء الشعراء كانت لهم مكانة مرموقة في سماء الشعر العربي، ومع ذلك لم يحتج أبو عمرو بشعرهم حسبما روي عنه إنَّه رفض الاحتجاج بشعرهم مع شدة إعجابه بشعرهم، ولكن إذا رجعنا إلى المأثور اللُّغوي عند أبي عمرو بن العلاء، فإنَّنا سوف نفند هذه المقولات التي تخبر برفض احتجاجه بأشعار المولدين، والإسلاميين ومن ذلك –قال أبو عمرو: أز الكتائب أزاً: أضاف بعضها إلى بعض[5]. وأنشد للأخطل:

وَنَقْضُ العُهُودِ بِإِثْرِ العُهُودِ ... يَؤُزُّ الكَتَائِبُ حَتَّى حَمِينَا

وغيرهم من الشعراء الذين احتج بشعرهم أبو عمرو مثل جرير والفرزدق، ولم نذكر مواطن الاستشهاد في هذه الدِّراسة؛ لأنَّها اقتصرت على السَّماع المباشر مثل سمعت، وسمعنا، ولكن ممكن أنَّ تندرج تحت علم الرِّواية (السَّماع غير المباشر)، ولكن لا ضير من الإشارة إليها

---

(1) السابق ٢٩٣/٨-٢٩٤.

(2) السابق ٤١٤/٢.

(3) محمد بن سلاَّم بن عبد الله بن سالم أبو عبد الله البصريّ الجمحيّ مولى قدامة بن مظعون الجمحي. (إنباه الرواة ٢٠٣/٢).

(4) طبقات فحول الشعراء، ص٢٤٨ وما بعدها.

(5) تاج العروس، مادة (أزز).

في هذا المقام؛ لإثبات استشهاده بشعر الإسلاميين، والمُولَّدين حتى تُفنِّدَ المقولات التي تؤكد عدم احتجاجه بشعرهم، ومن ذلك أيضًا قال أبو عمرو الأَنَةُ، والمَئِنَةُ، والعَدَقةُ، والشَوْزُبُ واحد، وقال دكين[1]:

يَسقِي على دَرَّاجَةٍ خُروسِ

مَعْصُوبَةٍ بَينَ رَكايا شُوسِ

مَئِنَةٍ مِنْ قِلَتِ النُفُــــوسِ[2]

وأبو عمرو بن العلاء لم يلتزم بالتحديد الزمني للشعراء والرُجَّاز الذي يحتج بقولهم حيث قال: "ختم الشعر بذي الرمة والرجز برؤبة بن العجاج"[3].

ولكــن ذكــرت حليمـــة أبو العسل[4] إنَّ أبـــا عمـــرو احتج بشعـــراء جاؤوا بعـــد (ذي الـــرمة ١١٧هـــ)[5]، مثل (الطرماح ١٢٥هـــ)[6]، و(خلف بن خليفـــة الأقطـــع ١٢٥هـــــ)[7]، و(الكميت الأسدي ١٢٦هــ)[1]، ومن الرُجاز بعد (رؤبة بن العجاج ١٤٥هــ)[2]، و(أبو الـــنجم العجلي ١٣هــ)[3]، و(القحيف العقيلي ١٣٠هــ)[4]، و(أدهم بن أبي الزعراء ١٣هــ)[5].

---

(١) دكين بن رجاء الفقيمي: راجز إسلامي، اشتهر في العصر الأموي، مدح عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة. الأعلام ٢/٣٤٠.

(٢) لسان العرب، مادة (أنن).

(٣) وفيات الأعيان ٤/١٦.

(٤) يُنظر: المأثور من اللغة عن أبي عمرو بن العلاء في معاجم العربيَّة لسان العرب أنموذجاً، أبو العسل، حليمة، جامعة اليرموك، ٢٠١٠م، ص١٤٨.

(٥) غيلان بن عقبة بن هنيس بن مسعود العدوي، من مضر، أبو الحارث، ذو الرُمَّة، شاعر، من فحول الطبقة الثانية في عصره. الأعلام ٥/١٢٤.

(٦) الطرماح بن حكيم بن الحكم، من طيئ: يُكنى أبا نفر وكان جده قيس بن جُحدر، ولد في الشام ثم انتقل إلى الكوفة. الشعر والشعراء ١/١٢٧.

(٧) خلف بن خليفة الأقطع: شاعر أموي مطبوع، راوية، من قيس بن ثعلبة بالولاء، اتهم بسرقة في صباه فقطعت يده وكانت له أصابع من جلد يلبسها. وكان لسنا بذيئاً من الظرفاء. فهرس شعراء الموسوعة الشعرية ١/١٢٣٣.

وقد تم ذكر مخالفة أبي عمرو بن العلاء للتحديد الزمني الذي حدده للشعراء، والرجاز في ضوء الاحتجاج بشعرهم، وأرجازهم؛ لأنَّ الاحتجاج بأقوال العرب، وأشعارهم، وأرجازهم يدخل فيه السَّماع المباشر، وغير المباشر (الرِّواية)، والقواعد العامة التي وضعها العلماء، ومنهم أبو عمرو في الزمان، والمكان الذي يصلح للاحتجاج بأقوال أهله وأرجازهم، وأشعارهم يكون مطبقًا على السَّماع المباشر، وغير المباشر، والمقصود من هذا الكلام أنَّ أبا عمرو خالف المنهج الذي وضعه لنفسه في الاحتجاج اللُّغوي.

الجانب الثاني الذي نود سبر غوره هو سماع أبي عمرو، واحتجاجه بشعر ذي الرُّمة الذي كان يطيل المكث في الحضر، فقد قال عنه الأصمعي: "طالما أكل المالح والبقل في حوانيت البقالين"[٦] كناية عن طول مكثه في الحاضرة (البصرة)، يُضاف إلى ذلك معرفة ذي الرُّمة القراءة، والكتابة، فقد روي عن أبي عمرو إنَّه رأى ذا الرُّمة في دكان طحان بالبصرة يكتب قال: فقلت: ما هذا يا ذا الرمة! فقال: اكتم علي يا أبا عمرو[٧]، وما كان قوله لأبي عمرو اكتم

---

(١) الكميت بن زيد، من بني أسد ويُكنى المستهل وكان معلماً، شاعر الهاشميين من أهل الكوفة اشتهر في العصر الأموي. الشعر والشعراء ١٢٦/١.

(٢) رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي، أبو الجحاف، أو أبو محمد: راجز، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة. فهرس شعراء الموسوعة الشعرية ١٢٨٦/١.

(٣) الفضل بن قدامة العجلي، أبو النجم، عمل في موضع يُقال له الفرك أقطعه إياه هشام بن عبد الملك، كان ينزل سواد الكوفة، وهو أبلغ من العجاج في النعم. الشعر والشعراء ١٣٠/١.

(٤) القحيف بن خمير بن سليم العقيلي: شاعر، عده الجمحي في الطبقة العاشرة من الإسلاميين. وكان معاصراً لذي الذمة. المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء ٤٠/١.

(٥) أدهم بن أبي الزعراء سويد بن مسعود ابن جعفر الطائي: من شعراء ديوان الحماسة، كان في العصر الأموي، وأدرك دولة بني العباس، له رجز في وقعة (المنتهب). المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء ١١/١.

(٦) المزهر ٢٣٢/٢.

(٧) الخصائص ٢٩٨/٣.

علي إلا ليقينه بأنَّ معرفة العلماء بأنَّ ذا الرمة يقرأ، ويكتب سوف تخرج شعره من دائرة الاحتجاج اللُّغوي، إذاً ذو الرُّمَّة يتصف بطول الإقامة في الحضر، ومعرفته القراءة والكتابة، وقد وضعه ابن سلام الجمحي في الطبقة الثانية من الشعراء الإسلاميين أي بعد جرير، والأخطل، والفرزدق الذين صنفوا في الطبقة الأولى الأخطل والفرزدق[1]، إذا هو شاعر من الشعراء الإسلاميين وحسبما روى عنه الأصمعي إنَّه لا يحتج بأشعار الإسلاميين، ويقول الشلقاني: "أبو عمرو بن العلاء يضع الشعراء أمام اعتبارات علمية، وأقيسة خاصة للرواية عنهم، فمعيار الاحتجاج عنده ليس الكثرة، وطول القصائد، وشهرة الشاعر، وإنّما مقاييس الفصاحة عنده أنْ يكون الشعر جاهليًا، ومدى قربه من البادية"[2]، فهل يتوافق هذان المعياران مع احتجاجه بأشعار الإسلاميين. وهذه جملة من الأسباب تثير تساؤلات في نفس القارئ بسبب إدخال أبي عمرو بن العلاء شعر ذي الرُّمة في دائرة الاحتجاج اللُّغوي على الرُّغم من وجود هذه الأسباب التي تدعو إلى إخراج شعره من دائرة الاحتجاج اللُّغوي.

---

(١) طبقات فحول الشعراء، ص٢٤٨ وما بعدها.

(٢) يُنظر: مصادر اللغة، الشلقاني، عبد الحميد، منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس – ليبيا، ط١، ١٩٧٧م، ص٣٣٧.

نظرة عامة في السّماع اللّغوي عند أبي عمرو بن العلاء:

من خلال هذا العرض للسّماع اللُّغوي عند أبي عمرو يمكن الخروج بما يلي:

- يتحدد السّماع اللُّغوي عند أبي عمرو بسبعين سنة كحدٍ أقصى.
- الرحلات التي قام بها أبو عمرو بن العلاء كان معظمها للمناطق الخارجة عن مناطق السّماع مثل اليمن، وعُمان، والشام.
- لم تعثر الدّراسة إلا على بضع وعشرين رواية تشي بالسّماع المباشر، فيما رجعت إليه من مظانٍّ، فلا يوجد لدينا مصدر من مؤلفات أبي عمرو يمكن اعتماده في الدّراسة؛ لذا لجأت الدّراسة إلى بطون الكتب من أجل استخراج المسائل السّماعيَّة المباشرة، والمسائل التي تم العثور عليها في بطون الكتب تشير إلى أنّ أبا عمرو بن العلاء احتج بمناطق لا يقبل السّماع عن أهلها مثل اليمن وعُمان.
- الفكرة السائدة في بطون الكتب أنّ أبا عمرو لم يحتج بالإسلاميين ولا بالمولدين، ولكن ثبت إنّه احتج بكلامهم سواء أكان ذلك سماعًا مباشرًا أم غير مباشر.
- المسائل التي استشهد فيها أبو عمرو معظمها يدخل في الجانب المعجمي.
- احتج أبو عمرو بأعراب البصرة كأبي مهدية وأبي الخيرة.
- مجاوزة أبي عمرو بن العلاء للحدود الزمنية التي وضعها للاحتجاج بقول الشعراء والرُّجاز.
- تأكد سماع أبي عمرو في مكة في أكثر من رواية والمناطق المحيطة بمكة مثل ذات عرق فهي إحدى المحطات الشهيرة على طريق الحج.

الفصل الثالث

السّماع اللّغوي عند الخليل بن أحمد الفراهيدي

أولاً: الخليل بن أحمد:

اسمه ونسبه:

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم بن فرهود بن فهم بن مالك بن نضر بن الأزد وقيل في نسبه الفراهيدي الأزدي، ولد سنة (١٠٠هـ) في عُمان، ونزل البصرة عاش ومات فيها سنة سبعين ومئة للهجرة، وقيل سنة خمس وسبعين ومئة للهجرة، وقيل سنة ستين ومئة للهجرة، ومات وهو ابن أربع وسبعين سنة[١].

شيوخه:

لا شك أنَّ عالمًا جليلاً كالخليل، وعبقريًا من عباقرة زمانه، وشيخ العربيَّة لم يكن ليبلغ هذه المراتب العلية لولا علماء أجلاء كان لهم الدور في صنع هذا العالم الفذ، وحسبنا أن نذكر منهم:

- **أَيّوبُ بنُ أبي تَميمَةَ السَّخْتِيانيُّ (ت ١٣١هـ):**

مولى من موالي قضاعة، مات سنة إحدى وثلاثين ومئة، قال الحسن[٢]: أيوب سيد شباب أهل البصرة، وقال هشام بن عروة[٣]: ما رأيت بالبصرة مثل ذاك السختياني، وقال شعبة: أيوب سيد الفقهاء[٤].

---

(١) يُنظر: ترجمته في: طبقات النحويين واللُّغويين، ٥١، وإنباه الرُّواة ٣٤١/١، ومعجم الأدباء ١٢٦٠/٣، ووفيات الأعيان ٢٤٥/٢-٢٤٨.

(٢) الحسن بن يسار البصري أبو سعيد إمام أهل البصرة وحضر الأمة في زمانه (إنباه الرواة، ٣٢/٣).

(٣) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام، حدّث عن عمه عبد الله بن الزبير بن العوام وأبيه (إنباه الرواة، ٢٧٨/٣).

(٤) طبقات الفقهاء، الشيرازي، أبو إسحاق، هذبه: محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور) تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، ط١، ٨٩/١.

- نَصرُ بنُ عاصِمِ اللَّيثِيُّ (ت ٩٠هـ):

كان فقيهاً عالمًا بالعربية من قدماء التابعين، وكان يسند إلى أبي الأسود في القرآن والنحو، وله كتاب في العربيَّة، وقد كان إماماً بالبصرة، وقرأ القرآن على أبي الأسود الدؤلي[١]، وقيل أخذ عن يحيى بن يعمر العدواني، وكان يرى رأي الخوارج، ثمَّ ترك ذلك، وقال فيه أبياتا[٢].

- عبدُ اللهِ بنُ أبي إسحاقَ (ت ١١٧هـ)[٣]:

- عِيسَى بنُ عُمَرَ (ت ١٤٩هـ):

من أئمة اللغة، وهو شيخ الخليل، وسيبويه، وأبي عمرو بن العلاء، وأول من هذَّبَ النَّحو ورتَّبَهُ، وعلى طريقته مشى سيبويه وأشباهه، وهو من أهل البصرة، ولم يكن ثقفياً؛ وإنّما نزل في ثقيف، فَنُسِبَ إليهم، وسلفه من موالي خالد بن الوليد المخزومي، وكان صاحب تقعر في كلامه، مكثراً من استعمال الغريب، له نحو سبعين مصنفاً احترق أكثرها، منها "الجامع" و"الإكمال" في النَّحو، قال الأنباري: لم نرهما ولم نر أحدًا رآهما[٤].

- أبو عمرو بن العلاء المازني البصري (ت ١٥٤هـ)[٥]:

- يُونُسُ بنُ حَبِيبِ الضَّبِّيُّ (ت ١٨٢هـ)[٦]:

---

(١) ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني واضع علم النحو (الأعلام، ٣/٢٣٦).

(٢) يُنظر: بغية الوعاة ٢/٢١٣، ونزهة الألباء، ص٣٢، ومعجم الأدباء، ٦/٢٧٤٩.

(٣) تُنظر ترجمته في فصل عيسى بن عمر مبحث شيوخه.

(٤) الأعلام ٥/١٠٦.

(٥) تُنظر ترجمته في فصل عيسى بن عمر مبحث شيوخه.

(٦) تُنظر ترجمته في فصل أبي عمرو بن علاء مبحث تلامذته.

تلامذته:

أخذ عن الخليل عدد من علماء العربيّة، وحسبنا أن نذكر منهم:

- سِيْبَوَيْهِ (ت ١٨٥هـ)[١]:
- النَّضْرُ بنُ شُمَيْلٍ (ت ٢٠٣هـ):

النضر بن شميل بن يزيد المازني التميمي، أبو الحسن: أحد الأعلام وأكثرهم معرفة بأيـام العرب، ورواية الحديث، وفقه اللغة، ولد بمرو من بلاد خراسان، وانتقل إلى البصرة مـع أبيه سنة (١٢٨هـ)، وأصله منها، فأقام زمنًا، وعاد إلى مرو فـولي قـضاءها، واتـصل بالمأمون العباسي فأكرمه، وقربه، وتوفي بمرو. من كتبه: "الصفات"، في صفات الإنـسان والبيوت، والجبال، والإبل، والغنم، والطير، والكواكـب، والـزروع، و"كتـاب الـسلاح" و"المعاني" و"غريب الحديث" و"الأنواء"[٢].

- عَلِيُّ بنُ نَصْرٍ الجَهْضَمِيُّ (٢٥٠هـ):

البصريُّ الحافظ الثقة أحد أوعية العلم، كان من أصحاب الخليل في العربيَّة ورفقاء سيبويه روى عن يزيد بن زريع وطبقته وعنه أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم، قال أبو بكر ابن أبي داود[٣] كان المستعين طلب نصر بن علي[٤] ليوليه القضاء فقال لأمير البصرة حتى أرجع فاستخير الله فرجع وصلى ركعتيـن وقال اللهم إنْ كان لي عندك خيـر فاقبـضني إليك ثمَّ نام فنبهوه فإذا هو ميت -رحمه الله تعالى- مات سنة إحـدى وخمـسين ومئتـين للهجرة[٥].

---

(١) تُنظر ترجمته في فصل عيسى بن عمرو، مبحث تلامذته.

(٢) الأعلام ٣٨/٨.

(٣) عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني أبو بكر بن أبي داود من كبار حفّاظ الحديث (الأعلام، ٩١/٤).

(٤) نصر بن علي الجضهميّ اللغوي البصري من أصحاب الخليل (إنباه الرواة، ٣٩٧/٢).

(٥) يُنظر: شذرات الذهب ١٢٣/٢، وبغية الوعاة ٢١١/٢.

- مؤرِجُ أبو فَيْدِ السَّدُوسيُّ (ت ٢٥٢هـ):

أبو فيد مؤرج بن عمرو بن الحارث، السدوسيُّ النحويُّ البصريُّ، أخذ العربيَّة عن الخليل ابن أحمد، وروى الحديث عن شعبة بن الحجاج، وأبي عمرو بن العلاء وغيرهما، وكان يقول: قدمت من البادية ولا معرفة لي بالقياس في العربيَّة، وأول ما تعلمت القياس في حلقة أبي زيد الأنصاري بالبصرة، وله عدة تصانيف منها: كتاب الأنواء وهو كتاب حسن، وكتاب "غريب القرآن، وكان قد رحل مع المأمون من العراق إلى خراسان، وسكن مدينة مرو، وقدم نيسابور، وأقام بها، وكتب عنه مشايخُها[1].

صفاته:

كان الخليل مثالاً للعفة والصدق، وكان من أزهد النَّاس، وأعلاهم نفساً، وأشدهم تعففاً، عاش حياة الفقر والتقشف[2]، نشأ الخليل إباضياً[3]، ثمَّ لازم أيوب السختياني، وكان سنياً ومحدثاً وفقهياً في البصرة[4]، ويبدو إنَّه كان صاحب الأثر الكبير في تحوله إلى مذهب أهل السنة[5]، وكان عابدًا تقيًا فقد قال فيه سفيان بن سعيد الثوريُّ: "من أحب أنَّ ينظر إلى رجل خلق من ذهب ومسك فلينظر إلى الخليل"[6]، وكان "رأساً في لسان العرب دينًا ورعًا قانعًا متواضعًا كبير

---

(1) وفيات الأعيان ٣٠٤/٥.

(2) مراتب النحويين، ص٢٩.

(3) يُنظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٥، ص٤٧.

(4) يُنظر: شذرات الذهب، ص١٨١.

(5) يُنظر: الخليل بن أحمد عبقري العلماء، د. فجال، محمود، جامعة الملك سعود – السعودية، الندوة الدولية، جامعة آل البيت، ٢٠٠٦م، مجلد ٢، ص٥٨٣.

(6) نزهة الألباء، ص٤٧.

الشأن"[1]، وقال فيه النضر بن شميل: "أقام الخليل في خص[2] له بالبصرة لا يقدر على فلسين، وتلامذته يكسبون بعلمه الأموال[3]، وكان كثيرًا ما ينشد:

وإذا افْتَقَرْتَ إلى الذَّخائرِ لَمْ تَجِدْ ذُخْراً يَكُونُ كَصَالِحِ الأَعْمَالِ[4]

وفيما يروى عن الخليل إنّه كان يحج عامًا، ويغزو عامًا حتى جاءه الموت[5].

نظرة العلماء للخليل:

تكاد المصادر تجمع على أنّ الخليل مثل انعطافه علمية في تاريخ العلوم عند العرب، فهو مبتكر علم العروض، وأول من وضع معجماً لغوياً عرفته العربيَّة يضم بين طياته معظم الكلام العربي، وفيه يبين الخليل فضل اللغة حروفاً ومقاطع ومفردات، وأهمية دراستها للإطلاع على سر العربيَّة وبراعة المستوى الأدائي فيها، ومجمل الحكاية في كتاب سيبويه عنه، وكان للخليل أثر عظيم في صنيع الحياة العقلية العربيَّة والإسلامية، فالدارس لعدد من علوم العربيَّة كالنحو، والصرف، والعروض لابُدَّ أنْ يقف بداءة عند الشخصية المؤسسة لهذه العلوم، ومن كانت له اليد الطولى، والقدم الراسخة في رسم معالم هذه العلوم، وإذا تتبع القارئ كلام العلماء عن الخليل، فسيجد إنّه يحتل المرتبة الأولى في كثير من العلوم؛ فهو أول من وضع علم العروض[6]، وهو

---

(1) **سير أعلام النبلاء** ٧/٤٣٠.

(2) البيت الصغير المتواضع من الشجر أو القصب.

(3) هذا البيت للأخطل التغلبي غياث بن غوث بن الصلت، أبو مالك (٩٠هـ).

(4) **ديوان الأخطل**، غياث بن غوث، شرحه وصنف قوافيه: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٩٤م، ص٢٥٧.

(5) **مراتب النحويين**، ص٣٠.

(6) يُنظر: **إشارة التعيين في تراجم النحاة اللُّغويين**، اليماني، عبد الباقي، تحقيق: عبد المجيد دياب، مركز الملك فيصل بالرياض، ط١، ١٩٨٥م، ص١١٤.

أول من ضبط اللغة، وأول من حصر أشعار العرب[1]، وقد نقل ابن عماد الحنبلي انعقاداً على إنّه "لم يكن أحدٌ أعلم بالنّحو من الخليل"[2]، ولقد اعتمد سيبويه في تأليف كتابه على علم الخليل مصرحاً بذلك في داخل كتابه باسمه كثيراً[3]، وأحياناً يشير إليه إشارة مكتفياً بقوله (سألته)، أو (قال)، فالخليل هو الأصل في كتاب سيبويه[4]. وقد بلغ تقدير العلماء له تقديراً عظيماً حتى قال الكسائي فيه: "مات والله الفهم يوم مات الخليل، ولو رأيته لم يعظم في عينيك بشر بعده"[5].

وقال الإمام النووي في حديثه عن الخليل: "إمام أهل اللغة والعربيَّة مطلقاً"[6]، وقد قال الإمام الشافعي "قد كنت أُحبُّ أنْ أرى الخليل"[7].

من خلال ما تقدم يتضح للقارئ المنزلة الرفيعة التي نالها الخليل بين العلماء، وهذه المنزلة سطع بريقها في سماء العلم، وجعلته في طليعة الذين تسنوا ذروة التميز في العلم، وحفظ له التاريخ هذه المنزلة المرموقة، فاعترف له النّاس عبر العصور بالنبوغ النادر، والعطاء الوافر، فهو من العباقرة الذين قلما يجود الدهر بأمثالهم حيث يمثل إشراقة أنارت طريق العربيَّة لمن جاء بعده، فتنعقد على آثاره حلقات الدرس اللُّغوي العربي.

---

(1) **نزهة الألباء**، ص٥٠.

(2) يُنظر: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ٢٧٧/١.

(3) سمعنا من العرب كما أنشد الخليل (**الكتاب** ٢٥٨/٢)، زعم الخليل (**الكتاب** ١٥/١)، هذا قول الخليل رحمه الله (**الكتاب** ١٩/١).

(4) يُنظر: **بغية الوعاة**، ٢٢٩/٢.

(5) **مجالس العلماء**، ص٢٥٨.

(6) **تهذيب الأسماء واللغات**، النووي، أبو زكريا محيي الدين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٩١/٤.

(7) **معجم الأدباء**، ص٣٠٠.

ما أثر عن الخليل من كتب:

اشتغل الخليل بعلم اللغة، والموسيقى، والرياضيات، وتذكره كتب الطبقات بين رواة الحديث من الثقات، وله من التصانيف: كتاب الإيقاع، كتاب الجمل، كتاب الشواهد، كتاب العروض، كتاب العين، كتاب فائت العين، كتاب النغم، كتاب اللفظ والشكل[١]، وقد عفا الزمان عليها جميعًا فلم يبق منها إلا "معجم العين".

خلاف العلماء حول نسبة كتاب العين للخليل:

اختلفت أنظار العلماء في نسبة كتاب العين أهو للخليل أم لغيره؟ فانقسم العلماء إلى ثلاثة أقسام في نسبة العين للخليل:

أمّا القسم الأول: فيمثله مجموعة من العلماء جلهم من القدماء قد أنكروا نسبة العين للخليل إنكاراً تاماً[٢]، ومن هؤلاء العلماء: أبو حاتم[٣]، وأبو علي القالي[٤]، وابن النديم[٥]، أبو الطيب اللُغوي[٦]، وابن جني[٧]، والفخر الرازي[٨]، وبما أنّ فكرة الإنكار التي نادى بها هؤلاء العلماء

---

(١) الوافي بالوفيات، الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، مركز الطباعة الحديثة، بيروت، ١٩٨٤، ٣٩١/١٣.

(٢) يُنظر: مقدمة تاج اللغة وصحاح العربيّة ص٦١، والفهرست، ص٦٣، والمزهر ٦٦/١، ومراتب النحويين، ص٥٧، والخصائص ٢٨٨/٣.

(٣) سهل بن محمد بن عثمان، من كبار العلماء باللغة والشعر من أهل البصرة، كان المبرد يلازم القراءة عليه. (الأعلام ١٤٣/٣).

(٤) إسماعيل بن القاسم بن هارون العلامة، اللُغوي، ولد سنة ثمانين ومائتين، وأخذ العربيّة عن ابن دريد، وأبي بكر بن الأنباري، وابن درستويه، ونفطويه، وغيرهم. (سير أعلام النبلاء ٤٥/١٦).

(٥) محمد بن إسحاق أبي يعقوب أبو الفرج المعروف بابن النديم، وكان كثير البحث والتفتيش عن الأمور القديمة، كثير الرغبة في الكتب وجميعها وذكر أخبارها وأخبار مصنيفها، ومعرفة خطوط المتقدمين. (إنباه الرواة ٢٨٨/١).

(٦) عبد الواحد بن علي الحلبي، أديب، أصله من عسكر مكرم سكن في حلب، وقتل فيها. (الأعلام ١٧٦/٤).

(٧) عثمان بن جني أبو الفتوح الموصلي النحوي اللُغوي صاحب التصانيف البديعة في علم الأدب. وأبوه جني مملوك رومي لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي، وفي ذلك يقول عثمان ابن جني:

فإن أصبح بلا نسب فعلمي في الورى نسبي (إنباه الرواة ٢٠/٢)

(٨) محمد بن عمر بن الحسين، الرازي البكري الطبرستاني الأصولي المفكر، ولد سنة أربع وأربعين وخمس ومئة. (سير أعلام النبلاء ٥٠٠/٢١).

متفقة عندهم جميعًا فإننا سنذكر بعض الآراء التي نادت بذلك، والأسباب التي دعتهم للإنكار، فأمّا الرأي الأول فهو لابن النديم حيث يقول: "ولم يروِ هذا الكتاب عن الخليل أحد ولا رُوِيَ في شيء من الأخبار إنّه عمل هذا البتة"[1]، وجاء في المزهر "لما ورد كتاب العين من بلد خراسان في زمن أبي حاتم أنكره أبو حاتم وأصحابه أشد الإنكار ودفعه بأبلغ الدفع، وكيف لا ينكره أبو حاتم على أنَّ يكون بريئاً من الخلل سليمًا من الزلل، وقد عمَّر أصحاب الخليل بعد مدة طويلة لا يعرفون هذا الكتاب، ولا يسمعون به منهم النضر بن شميل، ومؤرج ونصر بن علي وأبو الحسن"[2]، وذكر ابن حني في الخصائص: "وأما كتاب العين ففيه من التخليط والخلل والفساد ما لا يجوز أنَّ يحمل على أصغر أتباع الخليل فضلاً عن نفسه، ولا محالة أنَّ هذا تخليط لحق هذا الكتاب من قبل غيره رحمه الله"[3]، ومن الأدلة التي ساقها هؤلاء لإثبات صدق دعواهم ما يلي[4]:

١- أنَّ نسخة العين التي وقعت بين أيدي العلماء المنكرين تحتوي على هفوات، وسقطات، وأغلاط لا تليق بأي حال بعالم كالخليل فهو عبقري من عباقرة عصره، ورائد العلوم ورأسها كالنحو واللغة والشعر.

٢- ظهر كتاب العين بعد وفاة الخليل بسنتين تقريباً فلو كان للخليل لعلم به العلماء ولزينوا كتبهم بما في العين من علم.

٣- كيف يروي الخليل عن أبي عبيدة وقد توفي الخليل سنة (١٧٠هـ) وفي بعض الرّوايات سنة (١٧٥هـ)، وأبو عبيدة يومئذ ابن ستة عشرة سنة.

---

(١) الفهرست، ص٦٣.

(٢) المزهر ٦٦/١.

(٣) الخصائص ٢٨٨/٣.

(٤) ينظر: نظرات في معجم العين، البوقاعي، د. محمد، جامعة سيدي محمد بن علي، المغرب، الندوة الدولية (الخليل بن أحمد الفراهيدي، جامعة آل البيت، مجلد ١، ٣٩٥).

٤- عدم معرفة تلامذة الخليل بهذا الكتاب وروايته من قبل رجل مجهول[١] غير معروف في ذاك الزمان.

تلكم إذن هي أهم الأدلة التي اعتمدها المنكرون في رفضهم انتساب العين للخليل، ويقول محمد البوقاعي[٢] أنَّ هذه الحجج قابلة للنقض ولا تصمد كثيرًا عند النقد العلمي الرصين، فإنَّ ما اعترى كتاب العين من الخطأ والتصحيف والتحريف، وهذا ما لا يتفق مع علم الخليل فقد يكون مرده إلى النساخ، بدليل اختلاف النسخ بعضها ببعض، وقد يكون مرده إلى أنَّ الخليل لم يحش كل عمله بيده، وإنّما ترك بعضه أو جله لبعض تلامذته؛ لعجز، أو مرض، موت... الخ، ولعل ظهور العين بعد موت الخليل بسنتين كان مدعاة للعبث بمحتوياته وتغير ما فيه من آراء.

ومن الأدلة الواضحة على وجود نسخ محرفة للعين نسخة العين التي رويت في مصر والذي رواها منذر بن سعيد البلوطي، وهو أندلسي قاضي الجماعة بقرطبة حيث خرج حاجاً سنة (٣٠٨هـ)، وقيل أنَّ هذه النسخة محرفة، حيث أمر الحكم المستنصر بالله بمقابلة كتاب العين للخليل في دار الملك بقرطبة، فأحضر من الكتاب نسخاً كثيرة، ومن جملتها نسخة القاضي، فظهر فيها التغيير والتصحيف في مواضع، وجاءت بعض الأبيات فيها مكسورة، وقد أمر الحكم بجمعه في كتاب مختصر العين للزبيدي[٣].

أمّا ما قيل بعدم معرفة تلامذة الخليل بالعين فينقضه أنَّ للنضر بن شميل كتابًا اسمه (المُدخَل على كتاب العين)[٤]، وهو من أخلص طلبة الخليل وهذا يعني إنَّه على دراية تامة

---

(١) الليث بن المظفر.

(٢) يُنظر: نظرات في معجم العين، مجلد ١، ص٣٩٥.

(٣) يُنظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي في المصادر الأندلسية، البدوي، د. آمنة سليمان محمد، الجامعة الأردنية – الأردن، الندوة الدولية، جامعة آل البيت، ٢٠٠٦م، مجلد ٢، ص٥٦١.

(٤) يُنظر: نظرات في معجم العين، البوقاعي، مجلد ١، ص٣٩٥.

بالعين، وإنَّه لا توجد لأبي إسحاق الزجاجي حكاية إلا منه ثمَّ أنَّ أبا علي القالي قد أتى في كتابه (البارع) بكل ما في العين وزاد عليه[1]، يُضاف إلى ذلك كتاب الخليل نفسه (فائت العين)، وهذا يَدلُّ دلالة واضحة على أنَّ بداية تأليف العين للخليل، وإنَّه استدرك على بدايته بهذا الفائت، وأنَّه كان يحسِّن كتابه، ويجوِّده إلا أنَّ المنية عاجلته، فلم يستطع إخراجه للناس كما يريد[2].

أمّا القسم الثاني من العلماء، فيرى أنَّ الخليل صاحب الفكرة، ولكن الخليل لم يمله بيده، إنَّما أملاه من أمره الخليل بإملائه؛ لذلك وقع فيه التصحيف، والتحريف، والخطأ، وهذا مما يترفع عنه الخليل، ومن أبرز هؤلاء العلماء الذين نادوا بهذا القول: أبو العباس ثعلب[3]، والأزهري[4]، ويتضح ذلك في قوله: "لم أر خلافاً بين اللُّغويين أنَّ التأسيس المجمل في أول كتاب (العين)، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، وأنَّ ابن المظفر أكمل الكتاب عليه بعد تلقفه إياه عن فيه"[5].

أمّا القسم الثالث فقد أقَرَّ أنَّ كتاب العين هو من تأليف الخليل ومن هؤلاء العلماء الزجاجي[6]، وابن درستويه[7]، والمبرد[8]، وهذا القسم من العلماء جاء على الأصل في الحكم

---

(1) نظرات في معجم العين، ص٣٩٦.

(2) يُنظر: الاستشهاد بالحديث على اللغة في كتاب العين، نقد، د. سمير محمد عبيد، جامعة البحرين – البحرين، الندوة الدولية، جامعة آل البيت، ٢٠٠٦م، مجلد ١، ص١٦٣.

(3) أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني أبو العباس المعروف بثعلب أمام الكوفيين في النحو واللغة. (الأعلام ٢٦٧/١).

(4) محمد بن أحمد الأزهري بن الأزهر بن نوح حاتم بن سعيد بن عبد الرحمن، الأزهري أبو منصور اللُّغوي الأديب الشافعي المذهب الهروي، مات سنة سبعين وثلاثمائة للهجرة. (الأعلام ٢٩٥/١).

(5) تهذيب اللغة ٣٥/١.

(6) عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي أبو القاسم النحوي تلميذ الشيخ أبو إسحاق الزجاج. (البلغة ٣٢/١).

(7) عبد الله بن جعفر بن درستويه بن المرزبان الفارسي النحوي، أخذ عن المبرد وكان شديد الانتصار للبصريين. (البلغة ٢٩/١).

(8) أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر إمام النَّحو، أبو العباس، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي، البصري، النحوي، صاحب (الكامل)، أخذ عن: أبي عثمان المازني، وأبي حاتم السجستاني. (سير أعلام النبلاء ٥٧٦/١٣).

على كتاب العين، وبما إنَّه جاء على الأصل فلا داعي لذكر آرائهم؛ لأنَّ ما جاء على الأصل لا تسأل عن علته[1].

ويتضح من خلال ما تقدم أنَّ سبب اختلاف العلماء في نسبة العين للخليل هي نسخ الكتاب التي اعتورها الخطأ، والتصحيف، والتحريف، وظهور العين بعد موت الخليل بسنتين كان مدعاة للعبث بمحتوياته.

السَّماع اللُّغوي عند الخليل:

يعد الخليل بن أحمد أقدم عالم نحوي وصلت إلينا آثاره العلمية، وله السبق في كثير من المسائل اللُّغويَّة، وقد كان كثير الحفظ للغة ولم يكن يكتب على الورق من اللغة إلا القليل فقد سُئِلَ سيبويه ذات مرة[2]: "هل رأيت مع الخليل كتباً يملي عليك منها؟ فأجاب: "لم أجد معه كتباً إلا عشرين رطلاً فيها بخط دقيق: ما سمعته من لغات العرب، ما سمعته من النَّحو، فأملَّ من قلبه"، هذا يَدلُّ على سعة الحفظ عند الخليل، وقد وصفه سيبويه في كتابه: إنَّه ممن يوثق بعلمه وروايته عن العرب[3]، وهذا يَدلُّ على أنَّ الخليل لم يرو إلا الصحيح الموثوق عن العرب، واعتمد الخليل في تأصيل قواعد النَّحو، وتشييد بنيانه على السَّماع والتعليل والقياس، وإن كان الراجح إنَّه للعلة والقياس أقرب؛ فقد كان "الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النَّحو وتعليله"[4]، إذ "استنبط من علل النَّحو ما لم يستنبطه أحد، وما لم يسبقه إلى مثله سابق"[5]، فقد كان الخليل في بعض الأحيان يخالف كلام العرب إلى القياس، ومن أمثلة ذلك ما قاله سيبويه

---

(1) المزهر ٧٠/١.
(2) تهذيب التهذيب ١٤٢/٣.
(3) يُنظر: الكتاب ٥٤/٢.
(4) معجم الأدباء، ٧٣/٣.
(5) مراتب النحويين، ص٦٦.

للخليل عندما سأله عن مسألة الخفض على الجوار، وهي مشهورة عند العرب في مثـل (هـذا حجر ضب خرب) أنّه قال: "لا يقولون إلا هذان جحرا ضب خربان، من قبل أنَّ الضب واحـد والجحر جحران. وإنّما يغلطون إذا كان الآخر بعدة الأول، وكان مذكرًا مثله أو مؤنثًا، وقـالوا هذه جحرة ضباب خربة؛ لأنَّ الضباب مؤنثة؛ ولأن الجحرة مؤنثة والعدة واحـدة فغلطـوا"[1]، ويفهم من كلام الخليل، إنّه إذا اختلف المضاف والمضاف إليه من حيـث العـدة، أو التـذكير والتأنيث، فإنَّ العرب يجرون الصفة على المضاف؛ لأنَّ الخلاف بين المضاف والمضاف إليـه لافت. أمّا إذا كانت العدة واحدة، واستويا في التذكير والتأنيث، فإن التشابه بينهمـا يوقـع فـي الغلط، وموطن الشاهد في هذا المقام أنَّ الخليل كان يخالف بعض كلام العـرب إلـى القيـاس، وعليه يقول حنا حداد: "لا يقر الخليل الحمل على الجوار في حالة الجر ولا يجيزه إلا إذا كـان المتجاوران متساويين في التعريف والتنكير والتذكير والتأنيث والجمع والإفراد"[2]، ويقول سعيد الأفغاني: "إنَّ الخليل إمام البصريين أهدر الكثير من كلام العرب لتسلم له القواعـد"[3]، وهـذه جملة من الأقوال ترشد القارئ إلى القول باعتماد الخليل على القياس ومخالفته لبعض الـسماع معتدًا بذلك بما يملك من قواعد.

ولعل اهتمام الخليل بالقياس والعلة نابع من إعمال العقل في العلم، ونمط تفكيره الرياضي، الذي قاده إلى إقامة علم العروض، ثمَّ معجم العين الذي سيكون محور الدراسة فيه؛ لأنّه الأثـر العلمي الوحيد الذي وصل إلينا من مؤلفات الخليل، وتحاول الدّراسة أنَّ تقف على جانب السّماع في منهجه العلمي، فتحاول أنَّ تجلو عن الأمر ما التبس فيه، على الرُّغم من أنَّ المـصادر مـا

(1) الكتاب، ١/٤٣٧.

(2) الحمل على الجوار بين القبول والاعتراض، حداد، حنا، مجلة أبحاث اليرموك "سلسلة الآداب واللُّغويات"، مجلد ١٠، العدد ٢، ٢١٥-٢٤٧، اربد - الأردن، ١٩٩٢م، ص٢٣٣.

(3) يُنظر: في أصول النَّحو، الأفغاني، سعيد، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، ١٩٩٤م، ص٧٢.

انفكت ملحة على اهتمام الخليل بالسَّماع عن العرب، وأفنى جانباً من حياته في السَّماع عن الأعراب في بوادي الحجاز ونجد وتِهامة.

حدود السَّماع اللُّغوي عند الخليل:

ينقسم السَّماع اللُّغوي عند الخليل إلى حدين:

أولاً: الحدُّ الخارجي: وينقسم إلى حيزين (زماني ومكاني):

أ- الحيِّز الزماني:

يمتد الحيِّز الزماني للسَّماع اللُّغوي المباشر عند الخليل عن العرب بما لا يعدو ستين عامًا، وهي الفترة الممتدة تقريباً من طفولته، وحتى وفاته (١١٥-١٧٥هـ)، وهي نسبياً ذات الفترة التي يطلق عليها الزمن الحرج في تاريخ الدولة الإسلامية، ذلك الزمن الذي شهد تبدل الولاة، وانقلاب الدولة الأموية، وزوال حكم بني أمية لصالح العباسيين، وكان ذلك في سنة (١٣٢هـ)[١].

ب- الحيِّز المكاني: وينقسم قسمين:

١- سماع الخليل عن الأعراب في البصرة (المربَد):

لم تجد الدِّراسة فيما رجعت إليه من مظانٍّ رواية واحدة تشي، ولو من بعيد بخروج الخليل إلى المربَد لملاقاة الأعراب والسماع عنهم، وهذا مبرر كافٍ -كما ترى الدِّراسة- لإنكار اهتمام الخليل بالسَّماع عن الأعراب ممن قدموا الأسواق في زمنه.

٢- رحلة الخليل إلى البادية وسماعه عن الأعراب:

لم تعثر الدِّراسة فيما رجعت إليه من مظانٍّ في أخبار الخليل على خبر واحد يثبت مجاوزته البصرة للسَّماع عن الأعراب، سوى ذلك الخبر المبتور الذي تداولته أغلب الكتب،

---

[١] تاريخ الإسلام، الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان - بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ٢/٢٤٢.

والذي جاء فيه أنَّ الخليل رحل إلى بوادي الحجاز ونجد وتهامة، ولم يشر أحد ممن ترجم للخليل إلى تفاصيل هذه الرحلة، أو خصها بذكر، فما عرف عن فقر الخليل يجعل هذه الرحلة محط تساؤل وشك في نفس القارئ، فقد روي عن الخليل أنَّ سليمان بن علي والي الأهواز بعث إليه رسولاً يلتمس فيه الشخوص إليه، وتأديب أولاده، فأخرج الخليل إلى رسوله خبزًا يابسًا، وقال: ما عندي غيره، وما دمت أجده فلا حاجة لي بسليمان، فقال الرسول فماذا أبلغه عنك، فأنشد يقول:

أَبْلِغْ سُلَيْمَانَ أَنِّي عَنْكَ فِي سِعَةٍ   وفِي غِنًى غَيْرَ أَنِّي لَسْتُ ذَا مَالِ
سَخِيٌّ بِنَفْسِي أَنِّي لا أَرَى أَحَدًا   يَمُوتُ هَزْلاً وَلاَ يَبْقَى عَلَى حَالِ[1]

هذا يَدلُّ على فقر الخليل وزهده في هذه الدنيا، لذا فإن هذا الخبر يلح بنفي الرحلة عن الخليل نفياً قاطعاً، إذ لا يعقل على من عاش بالبصرة لا يقدر على فلسين، ولا يملك إلا خبزاً يابساً يتقوت به، أنَّ يكون قادراً على تدبير نفقاته الحياتية، والعلمية في رحلة طويلة كهذه المنسوبة إليه، ويبدو أنَّ سماع الخليل عن الأعراب في مساكنهم -إنْ وجد- فهو كغيره لم يتجاوز طريق الحج في معرض زيارته لبيت الله الحرام بمكة، فقد ذكرنا سابقًا إنَّه كان يحج عامًا ويغزو عامًا.

وإن ثبت سماع الخليل على طريق الحج فهذا يثير جدلاً واسعًا في نفس المتلقي وذلك لأنَّ القبائل التي تقطن المناطق الواقعة على طريق الحج من البصرة إلى مكة، لم تكن مناطق يظعن عنها ساكنوها، إذ تشير المصادر إلى أنَّ أكثرها بلاد خضرة وماء، وهذا ما يدفع إلى الاعتقاد بأنَّ سكانها كانوا دائمي الإقامة فيها، على الأغلب، فلا يرحلون عنها. سُئل أعرابي عن قرية ضرية، فقال: "مساقط الحمى حمى ضرية، بأرض لعمر الله ما نريد بها بدلاً عنها، ولا حولاً، قد

---

[1] بغية الوعاة ١/٥٥٨.

نفحتها العذوات، وحفتها الغلوات، فلا يملولح ترابها، ولا يَمْعَرُّ جنابها، ليس فيهما أذى، ولا قذى... ونحن فيها بأرفه عيش، وأرغد معيشة"(١)، وكان لبني سُليم مزارع ونخيل وفواكه من موز وتين ورمان وعنب وسفرجل، ولهم إبل وشاة كثيرة، فهم ثابتون بها، والآخرون بادون إليها، ويميرون طريق الحجاز ونجد في طريق الحاج(٢).

إنَّ الاستقرار المكاني لسكان تلك المناطق يفرض على سكانها ديمومة الاحتكاك بغيرهم، مما يعرض لغتهم للاختلاط بغيرها، فلا تبقى صافية محتفظة بفصاحتها، لذا فإنَّ سماع الرُّواة عن أهلها مفتقر إلى حدود السلامة اللُّغويَّة التي اشترطوها.

ويقول علي الفريح(٣): إنَّ القبائل العربيَّة المعتمدة في التقعيد اللُّغوي كأسد وتميم لم تكن متقوقعة على نفسها بل كانت تختلط بغيرها من القبائل العربيَّة(٤) وهذا الاختلاط يجعلها معرضة لقبول الليونة في لغتها.

وذكر بعض المؤرخين وجود صلة نسب بين قبيلة أسد وبين جذام ولخم، كما ذكروا أنَّهم انتشروا في اليمن(٥) وهنا ثمة تساؤل حول فصاحة قبيلة أسد، فقبيلة أسد من القبائل المعتمدة في التقعيد والاحتجاج اللُّغوي، وقبيلة لخم وجذام من القبائل التي نهى أبو نصر الفارابي في السَّماع عنها، وصلة النسب تؤدي على الاختلاط الدائم بين تلكم القبائل بعضها مع بعض.

---

(١) معجم البلدان ٤٥٨/٣.

(٢) كتابة أسماء جبال تِهامة وسكانها، الأصبع السلمي، عرام، تحقيق: عبد السلام هارون، ١٩٥٢، مطبعة أمين عبد الرحمن، القاهرة – مصر، ص٦٤-٦٥.

(٣) علي أحمد الفريح العبدي.

(٤) يُنظر: السَّماع اللُّغوي، الفريح، علي، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ٢٠٠٩م، ص٩٠.

(٥) يُنظر: لهجة قبيلة أسد، غالب، علي ناصر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق، ط١، ١٩٨٩م، ص١١.

الأعرابي:

يقول أبو الطيب اللُّغوي[1]، إنَّ الخليل سمع اللغة عن جماعة من ثقات الأعراب وعلمائهم، من أمثال أبي مهدية، وأبي طفيلة، وأبي البيداء الرياحي، أبي الخيرة، وأبي مالك عامر بن كركرة، وأبي الدقيش القناني الغنوي، وأشار ابن النديم إلى أخبار هؤلاء في الفهرست[2].

- أبو مهدية، صاحب غريب أقام بالبصرة، وروى عنه البصريون.
- أبو طفيلة، تكاد تكون أخباره معدومة باستثناء أنَّ الأصمعي روى عنه، والخليل.
- أبو البيداء، أعرابي نزل البصرة، وكان يعلم الصبيان بأجر، وكان شاعراً.
- أبو الخيرة، أعرابي بدوي من بني عدي دخل الحاضرة، وأفاد، وأخذ النَّاس عنه، وصنَّف في الغريب.
- أبو مالك عمرو بن كركرة، وهو أعرابي كان يعلم في البادية ويورق في الحضر.
- أبو الدقيش القناني الغنوي، وهو أعرابي من أفصح النَّاس.

فقد أخذ الخليل عن هؤلاء واختلف إليهم، وهذا يؤكد على عدم تسليم الخليل للعرب في كل ما يقولونه، حيث كان يلجأ إلى القياس، ويبدو أنَّ قول أبي الطيب في سماع الخليل عن هؤلاء الأعراب فيه من التوسع قدر كبير؛ فمن يطالع معجم العين يجد الخليل لا يستشهد بأقوال: أبي مهدية، وأقوال أبي مالك عمرو بن كركرة، وأقول أبي طفيلة، ويجده يستشهد بقول: أبي الدقيش القناني الغنوي[3]، فقد ورد الاستشهاد بقوله بنيف وخمسين موضعاً، يليه أبو الخيرة الأعرابي[4]

---

(1) مراتب النحويين، ص٣٩-٤٠.

(2) يُنظر: أخبار هؤلاء في الفهرست، ص٤٤-٤٦.

(3) يُنظر: على سبيل المثال: معجم العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد، تحقيق: إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي، دار مكتبة الهلال، ٢/٢٧٨، ٢٨٠.

(4) معجم العين، الفراهيدي، ٣/٣١٦.

فقد ورد الاستشهاد بقوله في سبعة مواضع، ولكن ما تهدف الدّراسة إلى بحثه، وسبر أغــواره، ودراسته دراسة علمية هو السّماع المباشر الذي سمعه الخليل بنفسه؛ لأنّه ليس كــل استــشهاد استشهد به الخليل في العين يعني سماعًا مباشرًا.

ويبدو أنّ السمة البارزة في أخبار هؤلاء الأعراب أنّهم أقاموا فــي الحــضر، ويعرفــون القراءة والكتابة، ومنهم من يؤلف الشعر، ويعرف غريب الحديث، ويعلم الصبيان بأجر، وكــل هذه السمات تفسد السّماع عنهم، هنا يبرز سؤال يلقي بظلاله على القارئ ألا تعد هذه الــصفات التي يمتلكها هؤلاء الأعراب من شعر، وتعليم، وقراءة، وكتابة مخالفة لشروط السلامة اللُّغويّــة التي اشترطها العلماء في السّماع عن الأعراب؟ فالأعرابي الذي يسمع عنه ويؤخذ كلامه فــي التقعيد اللُّغوي يجب أنّ يكون أميًا لا يعرف القراءة والكتابة جاهلاً بالمدينة ومظاهرهــا، وهــذا مناف لصفات هؤلاء الأعراب، ويقول الرافعي: "متى طال مكث الأعرابي في الحضر ضــعفت طبيعته ورق لسانه"[1]، بالإضافة إلى أنّ أبا الطيب اللُّغوي نعتهم في كتابه بالعلماء، وقــد روي عن علماء اللغة أنّهم إذا وجدوا أعرابيًا يفهم قولهم: ذهبت إلى أبو زيد، ورأيت أبي عمرو، لــم يسمعوا منه؛ لأنّ هذا يَدلُ على طول مكث الأعرابي في الحضر فضعفت سليقته ولان لــسانَه، فكيف إذا كان عالمًا؟ ويقول الجاحظ: "ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم ذهبت إلى أبو زيد ورأيت أبي عمرو ومتى وجد النحويون أعرابيًا يفهم هذا وأشباهه بهرجوه ولم يسمعوا منه لأنّ ذلك يَدلُ على طول إقامته في الدار التي تفسد اللغة وتنقص البيان"[2]، ومما يروى عن الأصمعي إنّه شك في لفظ استخذى (خضع) وأحب أنّ يستثبت: أهي مهموزة أم غير مهموزة، قال: فقلت لأعرابي: أتقول استخذيت أم استخذأت؟ قال: لا أقولهما! فقلت: ولِمَ؟ قــال: لأنّ العــرب لا تــستخذي (لا

---

(1) تاريخ آداب العرب ١/٢٨٦.

(2) البيان والتبيين ١/٩٩.

تخضع)! وقال الأصمعي لأعرابي: أتهمز الفارة؟ قال: تهمزها الهرة[1]، وهذا يَدلُّ على أنَّ الأعرابي لم يعرف ما يقصده الأصمعي لذلك أجاب بهذه الإجابة ولو عرف ما يقصده الأصمعي لما سمع عنه الأصمعي.

ثانياً: الحدُّ الداخلي لسماع الخليل عن الأعراب (المتن):

رجعت الدّراسة إلى أقدم أثَرٍ علمي أثِرَ عن الخليل، وهو معجم العين الذي تركه شاهدًا بالحجة على عبقريته، فالخليل مع عظمته وبراعته وذكائه عَمَدَ في كل ما جمعه من اللغة في معجمه العين[2]، في محاولة حصر الرّوايات التي يثبت فيها أنَّ الخليل سمع مباشرة عن الأعراب، وتتردد في العين عبارات تشي بتحقق معرفة الخليل بأخبار الأعراب، كقوله (هذا كلام العرب) و(هكذا تقول العرب) و(هذا كلام أهل العالية)، فقد ذُكِرَت تلكم العبارات كما هي من دون رواية أو خبر، ومثل هذه العبارات في المعجم نادرة جدًا، أمّا الرّوايات التي تثبت سماع الخليل عن الأعراب مباشرًا، فهي قليلة جدًا إذا ما قورنت بضخامة المعجم واتساع مواده، وهذا إنْ دل على شيء فإنّما يَدلُّ على أنَّ سماع الخليل عن الأعراب نادر جدًا، لكن لابُدَّ من التنويه في هذا المقام إلى أنَّ الليث تلميذ الخليل كان يسأل الخليل، وغير الخليل، ثمَّ يثبت في الكتاب ما بدا له صحيحًا، ومما يؤكد ذلك ما نجده في العين من عبارات مثل قال غير الخليل[3]، وقال آخر[4]، ويبدو أنَّ الخليل هو من رخص لليث فعل ذلك، وهذا ما يفهم من عبارة الليث التي يقول فيها: "... فرجعت من الحج، وصرت إليه (يعني الخليل)، فإذا هو قد ألف الحروف كلها على ما

---

(1) تاريخ آداب العرب، ٢٨٧/١.

(2) يُنظر: الشاهد وأصول النّحو في كتاب سيبويه، الحديثي، خديجة، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٧٤م، ص١٣١.

(3) يُنظر: العين ١٠٨/١، ١٣٨، ٣٣٣.

(4) السابق ٦٣/١، ٦٩، ١٤١.

في الكتاب، وكان يملي علي ما يحفظ، وما شك فيه يقول لي سل عنه، فإذا صح فأثبته إلى أن عملت الكتاب"[1]؛ لذلك تقوم هذه الدّراسة على السّماع المباشر؛ أي الذي يرويه الخليل بعد سماعه عن الأعراب بنفسه، لا ما يسمعه الليث ويرويه في العين، أمّا ما يرويه الخليل عن عالم آخر، أو مجموعة من العلماء الذين سبقوه، أو عن مصدر من مصادر اللغة، فهذا يعد رواية، وليس سماعًا.

ولابُدَّ من الإشارة كذلك إلى أنَّ السَّماع يعتمد على عاملين رئيسين لهما دور كبير في تحديد المادة المسموعة، وهما: الإمكانات الصوتية، وعادات النطق عند المتكلم[2]؛ لأنَّ أي خلل في هذين العاملين يؤدي إلى خلل في نتيجة الحكم الذي سينتج عنه السَّماع، ومثال ذلك ما تقرر جواز عمل لم للنصب، والدليل على ذلك وجود قراءة تنطق قوله تعالى: (أَلَمْ نَشْرَحَ لَكَ صَدْرَكَ)[3] بفتح الحاء منسوبة إلى أبي جعفر[4]، والحقيقة أنَّ أبا جعفر لم يقرأ بفتح الحاء وإنّما أسرف حين بين الحاء وأشبعها في مخرجها، فظن السامع إنّه فتحها[5].

وفيما يلي بيان المسائل التي ثبت فيها سماع الخليل عن الأعراب مباشرة:

١- قال الخليل في تفسير كلمة ذَعَقَ: "ذَعَقَ: الذُّعَاقُ بمنزلة الزُّعَاق قال الخليل: سمعناه فلا ندري ألغةٌ هي أم لثغةٌ، وقال زائدة داءٌ زعاق وذعاق؛ أي قاتل"[6].

---

(١) معجم الأدباء ٢٢٥٨/٥.

(٢) يُنظر: أصول التفكير النحوي، أبو المكارم، علي، دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٦م، ص٣٤-٣٥.

(٣) سورة الشرح، الآية (١).

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، التجارية الكبرى، ط١، ١٩٣٣م، ٧٧٠/٤.

(٥) يُنظر: أصول التفكير النحوي، ص٣٥.

(٦) العين مادة (ذعق).

٢- قال الخليل: "سمعت أعرابيًا فصيحًا من أهل الصَّمان يقول: كل فرجة تكون بين شيئين هو عَقر وعُقر لغتان، ووضع يديه على قائمتي المائدة، ونحو نتغدى فقال: ما بينهما عقر"[١].

٣- قلت للخليل: "من أين قلت (عكش) مهمل، وقد سمت العرب بعكاشة قال: ليس على الأسماء قياس، وقلنا لأبي الدُّقَيْش: ما الدُّقَيْشُ قال: لا أدري، ولم أسمع له تفسيرًا قلنا: فتكنيت بما لا تدري قال: الأسماء والكُنى علامات من شاء تسمى بما شاء لا قياس ولا حتم"[٢].

٤- قال الخليل في تصريف كلمة نَعَسَ: "نَعَسَ يَنْعَسُ نُعاسًا ونُعْسَةً شديدةً فهو نَاعِسٌ وقد سمعناهم يقولون: نعسان ونعسى حملوه على وسنان ووسنى، وربما حملوا الشيء على نظائره، وأحسن ما يكون ذلك في الشعر"[٣].

٥- قلت لأبي الدقيش: "ما العَصَدُ قال: تقليبك العصيدةَ في الطَّنْجِير بالمِعْصَدَةِ تقول: (عَصَدَ يَعْصِدُ عَصْدًا) قلت: هل تعرفه العرب العاربة ببواديها قال: نعم! أمَا سمعت قول غيلان:

على الرَّحْلِ مِمَّا مِنْهُ السَّيْرُ عَاصِدُ"[٤].

٦- قال الخليل: "سمعت كلمة شنعاء لا تجوز في التأليف الرباعي سئل أعرابي عن ناقته فقال: تركتها ترعى الهعخع، فسألنا الثقات من علمائهم، فأنكروا أنَّ يكون هذا الاسم من كلام العرب، وقال الفذُّ منهم: هي شجرة يتداوى بورقها، وقال أعرابي: إنَّما هو الخعخع، وهذا موافق لقياس العربيّة"[٥].

---

(١) العين مادة (عقر).

(٢) السابق مادة (عكش).

(٣) السابق مادة (عصد).

(٤) السابق مادة (الرباعي من العين).

(٥) السابق مادة (قبعثر).

٧- قال الخليل في تفسير القَبَعْثَرى: "الفصيل المهزول، ويجمع على قَبَعْثَرات، وقَبَاعِث وسألت أبا الدقيش عن تصغيره، فقال: قُبَيْعِثَرَة"[١].

٨- قال الخليل: "سألت أبا الدقيش عن المَدْومَة الطواحي، فقال: هن النسور تستدير حوالي القتلى"[٢].

٩- قال الخليل في تفسير كلمة كمخ: "أكمخ الرجل إكماخًا إذا جلس جلوس المتعظم في نفسه، حكاه لنا أبو الدقيش فلبس كساء له، ثمَّ جلس جلوس العروس على المنصة، وقال: هكذا يكمخ من البأو والعظمة. قال:

إذَا ازْدَهاهُمْ يَوْمُ هَيْجَا أكْمَخُوا   بَأَوًا ومَدَّتْهم جِبَالٌ شُمَّخُ

والكواميخ: دخيل، وهو من الأُدم الواحد: كامخ"[٣].

١٠- قال الخليل في تفسير كلمة السلهب: "السلهب الطويل من الخيل والناس، وسمعت أبا الدقيش يقول امرأة سرهبة كالسلهبة في الخيل في الجسم والطول"[٤].

١١- قال الخليل في تفسير كلمة الزلخ: "وسألت أبا الدقيش عن هذا البيت بعينه (من مائة زلخ بمريخ غال)، فقال: الزلخ أقصى غاية المغالي"[٥].

١٢- قال الخليل في تفسير كلمة فَقَسَ: "فقس: المفقاس: عودان يشد طرفاهما بخيط كما يشد في وسط الفخ، ثمَّ يُبَلُّ أحدهما، ثمَّ يجعل بينهما شيء يشدهما، ثمَّ توضع فوقهما الشَّرَكَة

---

(١) العين مادة (طحو).
(٢) السابق مادة (كمخ).
(٣) السابق مادة (سلهب).
(٤) السابق مادة (زلخ).
(٥) السابق مادة (فقس).

فإذا أصابها شيء فقست؛ أي وثبت ثمَّ علقت الشَّرَكَةُ في الصيد، وإذا مات الميِّت يقال: فقس فقوسًا هكذا أخبرنيه أبو الدقيش"[1].

١٣- قال الخليل في تفسير كلمة السَّقْبُ: "والسَّقْبُ: الغصن الطويل الريَّان، وسألت أبا الدقيش عن قول أبي داوود: (... كالقَمَر السَّقْبِ...) قال: هو الذي امتلأ وتم عام في كل شيء من نحوه، والسقب: القرب والجار القريب أحق بسقبه"[2].

١٤- قال الخليل في أَمَرَ: "أمر: الأمر: نقيض النهي والأمر واحد من أمور النَّاس وإذا أمرت من الأمر قلت أؤمر يا هذا فيمن قرأ: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ)[3]، لا يقال أؤمر ولا أؤخذ منه شيئًا، ولا أؤكل إنَّما يقال مُرْ وخُذْ وكُلْ في الابتداء بالأمر استثقالاً للضمتين، فإذا تقدم قبل الكلام واو أو فاء قلت: وأمر فأمر كما قال عزّ وجلّ: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ)[4]، فأمَّا كُلْ من أكل يأكل، فلا يكاد يدخلون فيه الهمزة مع الفاء، والواو ويقولون وكُلا وخُذا وارفعاه فكلاه ولا يقولون فأكلاه، وهذه أحرف جاءت عن العرب نوادر، وذلك أنَّ أكثر كلامها في كل فعل أوله همزة مثل أبل يأبل وأسر يأسر أنْ يكسروا يفعل منه، وكذلك أبق يأبق فإذا كان الفعل الذي أوله همزة، ويفعل منه مكسورًا مردودًا إلى الأمر قيل: أيسر يا فلان ايبق يا غلام، وكأن أصله ائسر بهمزتين، فكرهوا جمعًا بين همزتين، فحولوا إحداهما ياء إذا كان ما قبلها مكسورًا، وكان حق الأمر من

---

(١) العين مادة (فقس).

(٢) السابق مادة (سقب).

(٣) سورة طه: الآية (١٣٢).

(٤) سورة طه: الآية (١٣٢).

أمر يأمر أنَّ يقال اؤمر اؤخذ اؤكل بهمزتين، فتركت الهمزة الثانية، وحولت واوًا الضمة، فاجتمع في الحرف ضمتان بينهما واو، والضمة من جنس الواو، فاستثقلت العرب جمعًا بين ضمتين، وواو، فطرحوا همزة الواو؛ لأنَّه بقي بعد طرحها حرفان، فقالوا مر فلانًا بكذا وكذا وخُذْ من فلان وكُلْ، ولم يقولوا أكل، ولا أمر، ولا أخذ إلا أنَّهم قالوا في أمر يأمر إذا تقدم قبل ألف أمره واو، أو فاء، أو كلام يتصل به الأمر من أمر يأمر، فقالوا الق فلانًا ، وأمره فردوه إلى أصله، وإنَّما فعلوا ذلك؛ لأنَّ ألف الأمر إذا اتصلت بكلام قبلها سقطت الألف في اللفظ، ولم يفعلوا ذلك في كُلْ وخُذْ إذا اتصل الأمر بهما بكلام قبله، فقالوا الق فلانًا، وخُذْ منه كذا، ولم نسمع وأخذ كما سمعنا وأمر قال الله تعالى: (وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا)[1]، ولم يقل وأكلا، فإن قيل لم ردوا مُرْ إلى أصلها، ولم يردوا وكلا ولا وخذ قيل؛ لسعة كلام العرب ربّما ردوا الشيء إلى أصله، وربما بلوه على ما سبق، وربما كتبوا الحرف مهموزاً، وربما تركوه على ترك الهمزة، وربما كتبوه على الإدغام، وكل ذلك جائز واسع"[2].

تشترك جميع هذه المسائل بجملة من الخصائص أمكن إجمالها بما يلي:

٢- الاختصار النسبي، والبعد عن القصص، فجميع هذه المسائل تلقي بالخبر على القارئ مباشرة من دون تعمل.

٣- السَّماع في جميع هذه المسائل سماع مباشر؛ أي السَّماع حصل من قبل الخليل نفسه في سؤال، وجواب في معظم المسائل.

٤- غياب عنصري الزمان، والمكان في جميع هذه المسائل.

---

(١) سورة البقرة، الآية (٣٥).

(٢) العين (أمر).

٥- الأعرابي الذي سمع عنه الخليل نكرة في المسائل (١، ٢، ٤، ٦، ١٤) فقد سمع الخليل هذه المسائل عن أعراب نكرات لم يفصح عن أسمائهم فقال مثلاً سألت أعرابيًا فصيحاً.

٦- الأعرابي الذي سمع عنه الخليل في المسائل (٣، ٥، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣) معرفة، وهو أبو الدقيش القناني الغنوي، وقد نصت المراجع على أنَّ الخليل سمع عنه.

٧- وقع السَّماع في جميع هذه المسائل بالعبارات التي تعتبر من محدداته، وهي:

(سمعت، سمعنا، سمعناهم) ١، ٢، ٤، ٦، ١٠، ١٤.

(قلت .... فقال) ٣، ٥.

(سألت) ٧، ٨، ١١، ١٣.

(هكذا أخبرنيه) ١٢.

(حكاه لنا) ٩.

٨- تختلف المسائل في النَّص المسموع من خلال ما يَدلُّ عليه النَّص المسموع من جوانب لغوية، حيث خلت هذه المسائل من الجانب النحوي، وتركز جلها على الجانب المعجمي، وفيما يلي بيانها:

أ- **الجانب النحوي:** لا يوجد في هذه النصوص المسموعة نص يشي بخبر عن النَّحو.

ب- **الجانب الصرفي:** وتمثل هذا الجانب المسائل (٤، ٧، ١٤):

- **المسألة الرابعة**، فهي متعلقة بالتقلبات الصرفية للفعل نعس، حيث قال: نعس ينعس نعاساً، ونعسة شديدة، فهو ناعس، والسماع فيها عن أعرابي مجهول، وقال إنَّه سمع من العرب أنَّهم يقولون نعسان، ونعسى حملوه على وسنان، ووسنى.

- **المسألة السابعة**، فالسَّماع فيها كان عن أبي الدقيش في مسألة من مسائل علم الصرف، وهي التصغير، ويبدو سؤال الخليل عن تصغير المفردة قبعثرى مبرراً لغرابتها، وعدم جريان قياسها على اللغة.

- **المسألة الرابعة عشرة**، وهي أيضًا متعلقة بعلم الصرف، فقد كان السَّماع فيها عن الأعراب والقرآن الكريم، وهو حذف فاء الفعل في أمر الأفعال أخذ أكل أمر، فتصبح خذ، وكل، ومر، لكن سمع عن العرب، ومن القرآن الكريم إذا سبقت هذه الأفعال بحرف الواو، وحرف الفاء العاطفين؛ أي كانت تابعة لكلام سابق لها، فإن الهمزة تظهر في فعل الأمر وأمر، واستشهد بقوله تعالى: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ)[1]، ولا تظهر خذ وكل، واستشهد على عدم ظهور الهمزة بقوله تعالى: (وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا)[2]، وبرر ذلك لسعة كلام العرب.

ج- **الجانب الصوتي**: وتمثل هذا الجانب المسألتان (١، ٦):

- **المسألة الأولى**، فقد قال الخليل في كلمة الذُّعَاقُ: إنَّه لا يعلم هل هي الزُّعَاقُ، مع ترجيحه لأنْ تكون الزُّعاق نفسها مع احتمالية أنْ تكون لثغة من قبل الناطق بها؛ لذلك ذكرت الدِّراسة في بداية الحديث عن الحدُّ الداخلي للسَّماع (المتن) إنَّه يعتمد على عاملين رئيسين، وهما الإمكانات الصوتية، وعادات النطق عند المتكلم[3]، ويتبين للقارئ إمَّا أنَّ تكون اختلافاً في نطق الفونيم بين الذعاق، والزعاق؛ أي يكون إحدى التنوعات (الألوفونية) لـ(فونيم) الزاي، أو لثغة من قبل الناطق بها، وظهر واضحًا أنَّ الخليل حكم عليها بأنَّها زائدة.

- **المسألة السادسة**، فالسَّماع فيها كان عن أعرابي نكرة، ويبدو أنَّ الخليل لم يقصد السَّماع عنه، بل التفت لما يقوله، ووجده قد نطق كلمة (الهعخع) مخالفة لقواعد القياس،

---

(١) سورة طه، الآية (١٣٢).

(٢) سورة البقرة، الآية (٣٥).

(٣) يُنظر: أصول التفكير النحوي، ص٣٤-٣٥.

لذلك قال: "لا تجوز في التأليف الرباعي"، والظاهر من الخبر أنّ الخليل لم يلتفت إلى الأعرابي بل سأل الثقات ممن عرفهم؛ ليتثبت فلما أنكروها كان هذا كافيًا لرفضها إذا اجتمع قياسه، وسماعه عن الثقات على ذلك، والعلة في الرفض علة صوتية، وهي كراهة تجاور صوتي الهاء والعين في الكلمة الواحدة، وهذا ما ترفضه القوانين الصوتية، وهذا يَدلُّ على أنّ الخليل لا يُسلِّم إلى كل ما يسمع عن الأعراب.

د- **الجانب الدلالي والمعجمي:** وتمثل هذا الجانب المسائل (٢، ٣، ٥، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣) حيث استغرق بقية المسائل الواردة في السَّماع:

- **المسألة (١)**، قد جاءت لتبين معنى كلمة عقر، والتي جاءت بمعنى كل فرجة بين شيئين.
- **المسألة (٣)**، جاءت لتبين إنّه لا معنى لكلمة عكش، ودقش وأنّه لا قياس على الأسماء في العربيَّة، فقد يُطلق على الشخص اسم لا معنى له.
- **المسألة (٥)**، جاءت لتبين معنى كلمة العصد، والتي جاءت بمعنى تقليبك العصيدة في الطنجير بالمعصدة.
- **المسألة (٨)**، جاءت لتبين معنى كلمة المدومة الطواحي، والتي جاءت بمعنى تسور تستدير حوالي القتلى.
- **المسألة (٩)**، جاءت لتبين معنى كلمة كمخ، والتي جاءت بمعنى جلوس المتعظم في نفسه.
- **المسألة (١٠)**، جاءت لتبين معنى كلمة السلهب، والتي جاءت بمعنى الطويل من الخيل والناس.

- **المسألة (١١)**، والتي جاءت لتبين معنى كلمة الزلخ، والتي جاءت بمعنى أقصى غايات المغالي، وهو رفعك يدك في رمي السهم إلى أقصى ما تقدر عليه تريد بعد الغلوة[1].
- **المسألة (١٢)**، والتي جاءت لتبين معنى كلمة فقس، والتي جاءت بمعنى مات.
- **المسألة (١٣)**، والتي جاءت لتبين معنى السقب، هو الغصن الطويل الريان.

القراءات القرآنية:

لا يوجد في هذه النصوص المسموعة نص يشي بخبر عن القراءات القرآنية.

نظرة عامة لسماع الخليل عن الأعراب

بعد عرض حدود السَّماع اللُّغوي عند الخليل أمكن الخروج بما يلي:

- يتحدد السَّماع اللُّغوي عند الخليل بن أحمد الفراهيدي بستين سنة كحد أقصى فمن غير المعقول أنَّ يكون قد سمع عن الأعراب، وهو في سن الطفولة فهذا مناف للمنطق والعقل.
- تبين من خلال ترجمة حياة الخليل، وما عرفناه عن فقره، وزهده إنَّه لم تكن للخليل رحلة تهدف إلى السَّماع عن الأعراب، وهذا ما يقره جملة من الأسباب أهمها فقره، وعدم توافر أي خبر عن رحيله في ترجمته سوى ذلك الخبر المبتور الذي لم يتحدث أي كاتب عن تفاصيله غير أنَّ علم الخليل جاء به من صحارى الحجاز ونجد وتِهامة.
- سماع الخليل عن الأعراب كان نادرًا، إذا ما قورن بحجم المعجم الضخم المحقق في ثمانية مجلدات؛ فلم تعثر الدِّراسة إلا على أربع عشرة مسألة تقر بسلامة سماع الخليل عن الأعراب؛ لمباشرتها وخلوها من القصص، والبساطة، والجوانب التي تعالجها أغلبها متعلق بالجانب المعجمي.

---

[1] العين (زلخ).

- السَّماع في هذه المسائل جميعها يتوفر فيها على ما يَدلُّ على السَّماع بشكل صريح ومباشر مثل سألت أبا الدقيش، حكاه لي، سمعت ... الخ، ولم تتوفر هذه المسائل على أدنى خبر يثبت احتجاج الخليل بالسَّماع على أي مسألة من مسائل النَّحو، وهذه الحقيقة تلقي بظلالها على الذين يؤكدون على أهمية السَّماع عند الخليل، وأن علم الخليل قد جيء بِه من بوادي الحجاز ونجد وتهامة.

- لم يقف الخليل محايدًا فيما سمعه عن الأعراب، ففي المسألة الأولى، والتي لم يقتنع الخليل بأنَّ الذُّعاق تختلف عن الزُّعاق، فقد قال: إمّا أنْ تكون لثغة من قبل الناطق بالكلمة، وإمَّا أنَّ تكون لغة أخرى ورجح إنَّها زائدة، وفي المسألة السادسة حيث قام بالحكم على ما يسمع معتمدًا على العقل والقياس، ولذلك أنكر كلام الأعرابي صاحب اللغة بسبب تعارضه مع منطق اللغة الذي يرفض تتابع حرفي الهاء، والعين في كلمة واحدة يقول في ذلك: "لما كان الهعخع فيما ذكر بعضهم اسمًا خاصًا ولم يكن بالمعروف عند أكثرهم وعند أهل البصر والعلم منهم رُدَّ ولم يُقبل"[1]، إذن فالألفة والانسجام الصوتي بين الحروف والمقاطع الصوتية هو ما استحسنه العرب وأقاموا لغتهم على أساسه، وقال أيضًا: "ويجوز في حكاية المضاعفة ما لا يجوز في غيرها من تأليف الحروف ألا ترى أنَّ الضاد والكاف إذا أُلِّفَتَا فَبُدِئَ بالضاد فقيل: (ضك) كان تأليفًا لم يحسن في أبنية الأسماء والأفعال إلا مفصولاً بين حرفيه بحرف لازم أو أكثر من ذلك الضنك والضحك وأشباه ذلك، وهو جائز في المضاعف نحو الضكضكة[2] من النساء، فالمضاعف جائز فيه كل غث وسمين من الفصول والأعجاز والصدور وغير ذلك[3].

---

(1) مقدمة العين، ص٥٥.

(2) القصيرة.

(3) مقدمة العين، ص٥٦.

- من خلال ما تقدم يتبين منهج الخليل الصوتي في كتابه العين ذلك المنهج الذي أراد من خلاله وضع الضوابط والأسس التي يتم من خلال تطبيقها، والاحتكام إليها تهذيب اللغة، ومعرفة أصالة مفرداتها، والوقوف بوجه من يدخل على العرب ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنيت، ويقول الخليل: "فإنَّ النحارير[1] منهم ربّما أدخلوا على النّاس ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنيت"[2].
- امسك بزمام المنطق اللُّغوي في تأليف معجمه العين حيث بنى معجمه على أساس عقلي صرف متقدم على السَّماع والنقل، وهذا ما ثبت من خلال قلة السَّماع المباشر في معجمه.

---

(1) جمع نحير وهو الرجل الطبن الفطن البصير في كل شيء.

(2) السابق، ص٥٣.

الخاتمة

أهم النتائج التي توصلت إليها الدّراسة:

- يتكون السَّماع اللُّغوي من حدَّيْنِ رئيسين: حدٌّ خارجيٌّ، وحدٌّ داخليٌّ، ويقومُ الحدُّ الخـارجيُّ للسَّماع اللُّغوي على أربعةِ أركانٍ لابُدَّ مِنْ توافرِها جميعًا لتحقيقِهِ وهي: الحيِّـز الزَّمـانيُّ، والمكانيُّ، والراوي، والأعرابيُّ، وتحدَّدَ الحيِّز الزَّمانيُّ للسَّماع اللُّغوي المباشرِ عَنِ الأعرابِ بثلاثمئةِ سنةٍ تقريبًا، وتحدَّدَ الحيِّز المكانيُّ للسَّماع اللُّغوي بأسواقِ البـصرةِ أو الكوفـةِ، أو بمساكنِ القبائلِ الواقعةِ على طريقِ الحجِّ أو قريبًا منهُ، وفي الحالتينِ فإنَّ الأعـرابَ الـذينَ تواجدُوا في الأسواقِ وسمع عنهم العلماء صدرُوا على الأرجحِ عن محيط البصرة أو الكوفة.
- النتيجة الأهم التي تقرها الدّراسة هي أنَّ السَّماع اللُّغوي المباشر عند العلماء (عيسى بن عمر الثقفي، أبو عمرو بن العلاء، الخليل بنُ أحمدِ الفراهيدي) قليل جدًا.
- أعرابَ القبائلِ المنتشرةِ على طريقِ الحجِّ كانُوا دائمي الإقامةِ بمساكنِهم، الأمرُ الذي يؤيـدُ ديمومةَ اختلاطِهم بمحيطٍ لغويٍّ مختلفٍ.
- الأصلُ في وظيفةِ الراوي هو النَّقلُ، فهو ناقلٌ للُّغةِ عن مصدرِها (عـن الأعرابـيِّ) إلـى المشتغلِ بها (النَّحويِّ)، بيدَ أنَّ هذهِ الوظيفةَ لمْ تُجاوِزْ إطارَها النظريَّ، فأغلبُ العلماء كانُوا إمَّا رواةً أو أعرابًا أو علماءَ أخبارٍ أو انسابٍ، الأمرُ الذي يقدحُ بحيادِهم التامِّ وموضوعيتِهم في التعاملِ مع المسموعِ أو روايتِهِ.
- مجيء صورة الأعرابي متناقضة في الرِّواية اللُّغويَّة لأنَّها تقوم علـى ازدواجيـة النزعـة الأعرابية بالعقلية الحضرية فتعلو مرة بنظر أهل الحضر، فتصير قدوة في اللغـة، ومثـالاً يحتذى به، وتتضاءل مرة أخرى لِمَا تنطوي عليه من تَعَمُّلٍ وصَقْلٍ وسذاجة فـي صـورة زئبقية لا يمكن الإمساك بها.

- تركيز العلماء على المظهر الخارجي للأعرابي جعل منه (حالة) أكثر منها (شخصًا).

- الغالبُ أنَّ الاستشهادَ بالسَّماع عَنِ العربِ عند (عيسى بن عمر، أبو عمرو بن العلاء، الخليل بن أحمد) كانَ في قضايا جزئيَّةٍ كبعضِ قضايا الخلافِ النحويِّ الصرفيِّ وبعضُ القضايا الجزئيَّةِ في علمِ الصرفِ أو الأصواتِ، وتركز معظم السَّماع عند ثلاثتهم على القضايا المعْجَمية.

- إمساك الخليل بن أحمد الفراهيدي بزمام المنطق اللُّغوي في تأليف معجمه العين حيث بنى معجمه على أساس عقليٍّ صِرفٍ مُتَقَدِّمٍ على السَّماع، وهذا ما ثبت من خلال قلَّةِ السَّماع المُباشر في معجمه.

- الرِّحلات التي قام بها أبو عمرو بن العلاء كان معظمها للمناطق الخارجة عن مناطق السَّماع مثل اليمن، وعمان، والشَّام.

- الفكرة السَّائدة في بطون الكتب أنَّ أبا عمرو لم يحتجَّ بالإسلاميين ولا بالمُولَّدِيْنَ من شعراء ورجاز، ولكن ثبت إنَّه احتجَّ بكلامهم سواء أكان ذلك سماعا مباشرا أم غير مباشر.

- مجاوزة أبي عمرو بن العلاء للحدود الزَّمَنيَّةِ الَّتي وَضَعَهَا لِلاحْتِجَاجِ بِقَولِ الشُّعَرَاءِ وَالرُّجَّازِ.

- لم تتوصل الدِّراسة إلى خبر صريح يبين سفر عيسى بن عمر إلى البادية للسَّماع عن الأعراب.

- اقتصار السَّماع المباشر عند عيسى بن عمر على أعراب الحاضرة.

- المدقق في المسائل السَّماعيَّة التي توصلت إليها الدِّراسة عند عيسى بن عمر يجد أنَّ هذه المسائل مشتملة على غريب الكلام، وهذا مرده إلى حب عيسى إلى الكلام المقعر والغريب،

فقد جاء في كتب اللغة أنَّ عيسى بن عمر كان صاحب تقعير في كلامه، واستعمال للغريب في كلامه.

- إنَّ الحالة السياسية والفكرية السائدة في البصرة كانت من العوامل المهمة في إعمال العقل والقياس لاسيما ولادة تيارات فكرية جديدة، كان من أبرزها (المعتزلة)، حيث خلَّفت المعتزلة بظهورها إشكالية فكرية حادة، فلم يكن الاعتزال منهجا بل مثَّل طريقة أخرى للتفكير ترفع العقل شعاراً، فبدأت تعبر عن نفسها بالعلة والبرهان والدليل، وقد دخلت هذه المفاهيم شتى ضروب العلوم، وبدأت تلقي بظلالها على التفكير العلمي السائد آنذاك، وقد انعكس ذلك بطبيعة الحال على المشتغلين باللغة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

- **أبو عمرو بن العلاء ومكانته اللُّغويَّة**، الأسطى، عبدالله، الدار الجماهيرية العربية الليبية- طرابلس، ط١، ١٩٨٦م.
- **أخبار النحويين البصريين**، السيرافي، القاضي أبو سعيد الحسن بن عبدالله، تحقيق: طه محمد الزين، ومحمد عبد المنعم خفاجي المدرسيين في الأزهر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٥م.
- **أخبار النحويين**، المقري، أبو الطاهر، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا- مصر، ط١، ١٩٩٠م.
- **أدب الكاتب**، الصولي، محمد بن يحيى: المطبعة السلفية، بغداد، ١٩٢٠م.
- **أساس البلاغة**، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٨م.
- **إشارة التعيين في تراجم النحاة اللُّغويين**، اليماني، عبد الباقي، تحقيق: عبد المجيد ديـاب، مركز الملك فيصل بالرياض، ط١، ١٩٨٥م.
- **إصلاح المنطق**، ابن السكيت، يعقوب ابن إسحاق، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٤٩م.
- **إصلاح غلط المحدثين**، البستي، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، تحقيق: د. محمد علي عبد الكريم الرديني، دار المأمون للتراث، دمشق – سوريا، ١٩٨٦م.
- **إنباه الرُّواة على أنباه النحاة**، القفطي، علي بن يوسف، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٥م.

- **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، الأنصاري، جمال الدين، تحقيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر.
- **إيضاح شواهد الإيضاح**، القيسي، أبو علي الحسن بن عبدالله، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٧م.
- **أصول التفكير النحوي**، أبو المكارم، علي، دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٦م.
- **أصول النحو العربي**، الحلواني، محمد خير، جامعة تشرين – اللاذقية، ١٩٩٧م.
- **أصول النحو العربي**، الحلواني، محمد خير، جامعة تشرين – اللاذقية، ١٩٧٩م.
- **الأصول**، حسان، تمام، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- **الأعراب الرُّواة – صفحات في فلسفة اللغة وتاريخها**، الشلقاني، عبد الحميد، دار المعارف، مصر، د.ط ، ١٩٧٧م.
- **الأعلام**، الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- **الأغاني**، الأصفهاني، أبو فرج، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط٢، د.ت.
- **الاحتجاج بالشعر باللغة**، جبل، محمد حسن حسين، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر، د.ت.
- **الاستشهاد والاحتجاج باللغة**، عيد، محمد: عالم الكتب، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٨م.
- **الاشتقاق**، ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة– مصر، ط٣.

- **الاقتراح في أصول النّحو**، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، علق عليه: د.محمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، كلية الآداب-جامعة طنطا، ٢٠٠٦م.
- **الاقتراح في علم أصول النَّحو**، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ)، تقديم وضبط أحمد سليم الحمصي وزميله، ط١، ١٩٨٨م.
- **الأمالي**، القالي، أبو علي إسماعيل بن قاسم، دار جيل، بيروت – لبنان، مصورة عن طبعة دار الكتب السلفية، ٢٠١٠م.
- **البصائر والذخائر**، التوحيدي، أبو حيان، علي بن محمد بن العباس، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٨م.
- **بغية الوعاة في طبقات اللُّغويين والنحاة**، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ١٩٦٥م.
- **بلاد العرب**، الأصفهاني، الحسن بن عبد الله، تحقيق: حمد الجاسر وياسر العلي، منشورات دار اليمامة، الرياض-السعودية، د.ط ، ١٩٦٧.
- **البلغة في تراجم أئمة النَّحو واللغة** ،الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، تحقيق : محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي – الكويت، ط١، ١٩٨٦م.
- **البيان والتبيين**، الجاحظ، عمرو بن بحر، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط١، ١٩٦٨.
- **تاج العروس**، الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تحقيق: عبد المنعم إبراهيم، و وكريم سيد محمد محمود، بيروت – لبنان، ٢٠٠٧م.
- **تاج اللغة وصحاح العربية**، الجوهري، إسماعيل بن حماد، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط٤، ١٩٨٧م.

- **تاريخ آداب العرب**، الرافعي، مصطفى، راجعه وضبطه: عبد المنشاوي ومهدي البحقيري، مكتبة الإيمان، ط١، ١٩٩٧م.
- **تاريخ الإسلام**، الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان – بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- **تاريخ التراث العربي**، سزكين، فؤاد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٠م.
- **التسمية – ماهيتها وفلسفتها وخصائصها الدلالية**، خريوش، حسين يوسف، منشورات عمادة البحث العلمي، جامعة اليرموك، إربد، ١٩٩١م.
- **تهذيب الأسماء واللغات**، النووي، أبو زكريا محي الدين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **تهذيب التهذيب**، العسقلاني، ابن حجر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٤م.
- **تهذيب اللغة**، الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تحقيق: محمد عوض راغب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، دار عالم الكتب، الرياض- السعودية، د.ط، ٢٠٠٣م.
- **جزيرة العرب**، البكري، أبو عبيد، تحقيق ودراسة: عبد الله يوسف غنيم، ذات السلاسل للنشر، ط١، ١٩٧٧.
- **جمل من أنساب الأشراف**، البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٦م.
- **جمهرة اللغة**، ابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٧م.

- **حاشية العلامة الصبّان على شرح الشيخ الأشموني: على ألفية الإمام ابن مالك**، الشافعي، محمد بن علي الصبّان، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٧٩م.
- **الحلقة المفقودة في تاريخ النّحو العربـــي**، مكرم، عبد العال سالم، مؤسسة الرســالة، ط٢، ١٩٩٣م.
- **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، البغدادي، عبد القادر عمر، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٧٩م.
- **الخصائص**، ابن جني، أبو الفتح عثمان، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب، القاهرة، ١٩٥٢م.
- **الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه**، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.
- **الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة**، الأصفهاني، حمزة بن الحسن، تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م.
- **ديوان الأخطل**، غياث بن غوث، شرحه وصنف قوافيه: مهدي محمد ناصــر الــدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٩٤م.
- **ديوان الأدب**، الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم، تحقيق: الدكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: الدكتور إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة – مصر، ٢٠٠٣م.
- **ديوان الأعشى الكبير**، ميمون بن قيس، شرح وتعليق محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٤م.

- **ديوان الفرزدق**، شرحه وضبطه علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٨٧م.
- **ديوان المعاني**، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٤م.
- **ديوان أمية بن أبي الصلت**، جمع وتحقيق سجيع جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨.
- **ديوان جرير**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٩٨٦م.
- **ديوان ذي الرُمّة**، عنى به وشرح غريبه: عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.
- **رواية اللغة**، الشلقاني، عبد الحميد، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت.
- **الزاهر في معاني كلمات الناس**، الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، تحقيق: حاتم صالح الضامن مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ١٩٩٢م.
- **السَّماع اللُّغوي**، الفريح، علي، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ٢٠٠٩م.
- **سير أعلام النبلاء** الذهبي، شمس الدين، تحقيق شعيب أرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٥م.
- **الشاهد وأصول النَّحو في كتاب سيبويه**، الحديثي، خديجة، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٧٤م.
- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، الحنبلي، عبد الحي بن أحمد، تحقيق: عبد القادر أرناؤوط ومحمود أرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٥م.

- **شرح ديوان الحماسة**، التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي الشهير بالخطيب، د.ط، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦م.
- **شرح صحيح بخاري**، ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشيد، الرياض – السعودية، ط٢، ٢٠٠٣م.
- **شرح نهج البلاغة**، أبو حامد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، د.ط، د.ت.
- **الشعر والشعراء**، ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري، دار الحديث، القاهرة – مصر، ٢٠٠٢م.
- **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، القلقشندي، أحمد بن علي، تحقيق: يوسف علي الطويل، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٧م.
- **صحيح مسلم**، النيسابوري، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت – لبنان، د.ط، د.ت.
- **طبقات الشعراء**، ابن المعتز، عبدالله بن محمد، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط٣، د.ت.
- **طبقات الفقهاء**، الشيرازي، أبو إسحاق، هذَّبه: محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور) تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٧٠م.
- **طبقات النحويين واللُّغويين**، الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، تحقيق: محمد.أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٥٤م.

- **طبقات فحول الشعراء**، الجمحي، محمد بن سلام، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة – السعودية

- **العربيّة**، يوهان فك، عبد الحليم نجّار، دار الكتاب العربي، ١٩٥١م.

- **عصور الاحتجاج في النحو العربي**، عُبادة، محمد، دار المعارف، ١٩٨٠م.

- **عقود الزبرجد في إعراب الحديث النبوي**، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: سلمان القضاة دار جيل، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

- **عيسى بن عمر الثقفي نحوه من خلال قراءاته**، السالم، صباح عباس، منشورات مؤسسة العليمي (بيروت) ودار التربية (بغداد)، ط١، ١٩٧٥م.

- **غاية النهاية في طبقات القراء**، ابن الجزري، شمس الدين، طبعة جديدة مصححة اعتمدت على الطبعة الأولى للكتاب التي عنى بنشرها سنة ١٩٣٢ ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٩٧١م.

- **الفاضل**، المبرد، محمد بن يزيد، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب، القاهرة، ١٩٥٦م.

- **فهرس شواهد سيبويه**، النفاخ، أحمد راتب، دار الإرشاد ودار الأمانة، بيروت، ط١، ١٩٧١م.

- **الفهرست**، ابن النديم، محمد بن إسحاق، دار المعارف، بيروت، ١٩٧٨.

- **فوات الوفيات**، الكتبي، محمد شاكر، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

- **في أصول النّحو**، **الأفغاني**، سعيد، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، ١٩٩٤.

- **كتاب الإبل**، الأصمعي، أبو سعيد عبدالملك بن قريب بن علي بن أصمع، تحقيق: أ.د حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق – سوريا، ط١، ٢٠٠٣.

- **كتاب الحيوان**، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق: عبد السلام هارون، دار جيل، بيروت، ١٩٩٦.

- **كتاب النوادر**، أبو مسحل، عبد الوهاب بن حريش، تحقيق: الدكتور عزة حسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق – سوريا، ١٩٦١م.

- **الكتاب**، لسيبويه، أبي بشر عمرو بن عثمان، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨.

- **كتابة أسماء جبال وتهامة وسكانها**، الأصبع السلمي، عرام، تحقيق: عبد السلام هارون، ١٩٥٢، مطبعة أمين عبد الرحمن، القاهرة– مصر.

- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، الزمخشري، التجارية الكبرى، ط١، ١٩٣٣م.

- **اللامات**، الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي، أبو القاسم، تحقيق: مازن المبارك، الناشر: دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٨٥م.

- **لسان العرب**، ابن منظور، تحقيق: عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

- **اللُّمحة في شرح المُلحة**، الصايغ، محمد بن الحسن، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، نشر عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة – السعودية، ط١، ٢٠٠٤م.

- **لمع الأدلة في أصول النَّحو**، ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد، تحقيق: سعيد الأفغاني، د.ط، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ١٩٥٧، وهو منشور مع كتابه **الإغراب في جدل الإعراب**.

- **لهجة قبيلة أسد**، غالب، علي ناصر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد- العراق، ط١، ١٩٨٩م.
- **ليس في كلام العرب**، ابن خالويه، الحسين أحمد تحقيق: محمد عبد الغفور عطار، مكة المكرمة، ط٢، ١٩٧٩م.
- **مجاز القرآن**، أبو عبيدة، معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- **مجالس العلماء**، الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤م.
- **المحكم والمحيط الأعظم**، ابن سيدا، علي بن إسماعيل، تحقيق عبد الحميـد الهنـداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٠م.
- **المحيط في اللغة**، عباد، إسماعيل، تحقيق: الشيخ محمد حسين آل ياسين، مطبعة دار المعارف، بغداد- العراق، ط١، ١٩٧٥م.
- **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع**، ابن خالويه، مكتبة المتبني، القاهرة، (د.ت).
- **المخصص**، ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللُّغوي الأندلسي، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٦م.
- **المدارس النحوية**، ضيف، شوقي، دار المعارف، مصر، ط٢، (د.ت).
- **المدخل إلى السنن الكبرى**، البيهقي، أحمد بن الحسين الخراساني، تحقيق: الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.
- **مرآة الجنان**، اليافعي، عبدالله بن أسعد، وضع حواشيه إبراهيم منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

- **مراتب النحويين**، أبو الطيب، عبد الواحد بن علي اللُّغوي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة نهضة مصر، ١٩٥٥م.
- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- **مسائل خلافية بين سيبويه والخليل**، قدارة، فخر الدين، دار الأمل للنشر والتوزيع ،إربد- الأردن، ط١، ١٩٩٠م.
- **مصادر الشعر الجاهلي**، الأسد، ناصر الدين، دار المعارف المصرية، ط٧، ١٩٨٨م.
- **مصادر اللغة**، الشلقاني، عبد الحميد، منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس – ليبيا، ط١، ١٩٧٧م.
- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان، د.ت.
- **معجم الأدباء**، الحموي، ياقوت، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- **معجم البلدان**، الحموي، ياقوت، دار الفكر للطباعة، ط٣، ١٩٨٠م.
- **معجم العين**، الفراهيدي، الخليل بن أحمد، تحقيق: إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي، دار مكتبة الهلال.
- **معجم مقاييس اللغة**، ابن فارس، أحمد ابن زكريا أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط١، ١٩٧٩.

- **معرفة القراء الكبار**، الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان، تحقيق: بشار عواد معروف وشعيب أرناؤوط وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤.
- **مغني اللبيب**، الأنصاري، ابن هشام، تحقيق: مازن المبارك ومحمد حمد الله، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨.
- **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، جواد علي، دار الساقي، ط٤، ٢٠٠١م.
- **المفصل في تاريخ النّحو العربي قبل سيبويه**، الحلواني، محمد خير، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٧٩م.
- **المفصّل في تاريخ النّحو**، الحلواني، محمد خير، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٧٩م.
- **المنصف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني**، ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، دار إحياء التراث القديم، ط١، ١٩٥٤م.
- **الموازنة بين أبي تمام والبحتري**، الآمدي، أبو القاسم للحسن بن بشر، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٩٤م.
- **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء**، المرزباني، أبو عبيد الله بن محمد بن عمران ابن موسى، جمعية نشر الكتب العربية، القاهرة - مصر، المطبعة السلفية، ١٣٤٣هـ-١٩٢٢م.
- **نشأة النّحو وتاريخ أشهر النحاة**، طنطاوي، محمد، دار المعارف - مصر، ط٢، د.ت.
- **نور القبس المختصر من المقتبس**، المرزباني، اختصار أبي المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود الحافظ اليغموري، تحقيق: رودلف زلهايم فرانتس شتاينز، ١٩٦٤م.

- **همع الهوامع شرح جمع الجوامع**، السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، المكتبة الوقفية، مصر، د.ت، د.ط.
- **الوافي بالوفيات**، الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، مركز الطباعة الحديثة، بيـروت، ١٩٨٤م.
- **وفيات الأعيان وأبناء الزمان**، شمس الدين، خلكان، أحمد بن محمد خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧٠م.

ثانياً: رسائل الماجستير:

- **الأعرابي في التقعيد اللُّغوي**، شحادات، مجدي حسين ياسين، جامعة اليرموك، رسالة ماجستير، ٢٠٠٧م.
- **السَّماع اللُّغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة**، صالح، عبد الرحمن، جامعة اليرموك، ٢٠٠٧م.
- **المأثور من اللغة عن أبي عمرو بن العلاء في معاجم العربية لسان العرب أنموذجا**، أبو العسل، حليمة، جامعة اليرموك، ٢٠١٠م.
- **المأثور من اللغة عن النضر بن شميل في معاجم العربية**، المناصرة، جامعة اليرموك، رسالة ماجستير، ٢٠١٠م.

ثالثاً: الأبحاث:

- **الاستشهاد بالحديث على اللغة في كتاب العين**، نقد، د.سمير محمد عبيد، جامعة البحرين- البحرين، الندوة الدولية – جامعة آل البيت، ٢٠٠٦م.
- **الحمل على الجوار بين القبول والاعتراض**، حداد، حنا، مجلة أبحاث اليرموك "سلسلة الآداب واللُّغويات"، إربد- الأردن، ١٩٩٢م.

- **الخليل بن أحمد الفراهيدي في المصادر الأندلسية**، البدوي، د.آمنة سليمان محمد، الجامعة الأردنية – الأردن، الندوة الدولية – جامعة آل البيت، ٢٠٠٦م.
- **الخليل بن أحمد عبقري العلماء**، د. فجال، محمود، جامعة الملك سعود– السعودية، الندوة الدولية– جامعة آل البيت، ٢٠٠٦م.
- **اللحن في الأصوات العربية على ألسنة العجم القدامى**، الأقطش، عبد الحميد، مجلة أبحاث اليرموك "سلسلة الآداب واللُّغويات"، إربد– الأردن، ١٩٩٨م.
- **النحاة والقياس**، الزعبلاوي، صلاح الدين، مجلة التراث العربي – مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد ٣٢، السنة الثامنة، ١٩٩٨م.
- **نظرات في معجم العين**، البوقاعي، د. محمد، جامعة سيدي محمد بن عبدالله – المغرب، الندوة الدولية – جامعة آل البيت، ٢٠٠٦م.

ABSTRACT

The Unmediated Narrated Language Within Grammarians' before Sibawayh

This study aims at investigating unmediated listening to language samples as practiced by some well-known Arab grammarians who preceded Sibawayh. They are Isa bin Amr, Abu Amr bin al-Ala, and Al-Khalil ibn Ahmad al-Farahidi. This study tackles this issue by investigating their biographies and their achievements in the field of linguistics. It also highlights their contributions to the field of standardizing Arabic through listening to Bedouin informants.

Thus, this research investigates this phase of language standardization or the establishing of grammatical rules as it mainly relied on an established practice which is "listening" to Bedouin informants. This practice of consulting Bedouin informants suffers from some ambiguities, yet it constitutes one of the missing links in Arabic grammar and syntax. Therefore, this study has attempted to address and clarify such ambiguities and confusions.

The study has concluded that the above-mentioned three linguists and grammarians did not resort to Bedouin informants but to a limited degree. This, however, does not correlate with their vast knowledge and prolific writings in the field. Furthermore, this study has found that many of the issues attributed to them and related to unmediated listening to Bedouin informants violated the norms of classical Arabic language codification and standardization. That is, they violated temporal and spatial strictures and norms of language codification. Second, they listened to some Bedouins living in urban areas.

Finally, this study has traced some inconsistencies in the image of the Bedouin in language narratives. That is, this image was based on the pure Bedouin but some informants were Bedouins living in urban centers.

Keywords: (Unmediated, Narrated Language, Grammarians Sibawayh)